



الإبانة عن أصول الديانة

للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري

المتوفى ٣٢٤هـ

ومعه

التعليقات الأثرية على الإبانة الأشعرية

تأليف

أبو عبد الباري الصومالي

د. محمود الشبلي




الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. وبعد:

فهذه تعليقات مختصرة على كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى ٣٢٤هـ.

و هذا الشرح للكتاب يأتي ضمن سلسلة المنهج العقدي الشافعي، وهو الكتاب الخامس في هذه السلسلة التي تتضمن جملة من كتب العقائد التي صنَّفها فقهاءُ الشافعية ومحدِّثوهم، لتكون سُلَّما لأصحابنا الشافعية في الارتقاء بانتمائهم للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤هـ.

وهذه السلسلة مختارة من مؤلفات الاعتقاد لعلمائنا الشافعية المتقدمين، أي قبل نهاية القرن الخامس الهجري.

وتتضمن هذه السلسلة المنهجية في اعتقاد الشافعية الكتب التالية:

الكتاب الأول: شرح السنة للإمام أبي إبراهيم المزني تـ ٢٦٤هـ.

الكتاب الثاني: اعتقاد أهل السنة للإمام أبي بكر الإسماعيلي تـ ٣٧١هـ.

الكتاب الثالث: اعتقاد السلف للإمام أبي عثمان الصابوني تـ ٤٤٩هـ.

الكتاب الرابع: المنظومة الرائية في السنة لأبي القاسم الزنجاني تـ ٤٧١هـ.

الكتاب الخامس: الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري تـ٣٢٤هـ، **وهو كتابنا هذا.**

الكتاب السادس: الوشيعة في اختصار الشريعة للآجري تـ ٣٦٠هـ[1].

---

(١) اختصرته بحذف الأسانيد والمكرر، وما لم يصح من الأحاديث والآثار، وما يستغنى عنه بغيره من النصوص والآثار والأقاويل، وسميته:" الوشيعة في اختصار الشريعة".

ولو أضيف لهذه السلسلة مختصر "نقض الدارمي" و"الرد على الجهمية" له، ومختصر كتاب "التوحيد" لابن خزيمة، و"مختصر الاعتقاد" للالكائي كان جيدا للغاية، وإلا فهي مراجع مهمة.

ووضعت هذه السلسلة المنهجية في اعتقاد الشافعية لأمور:

الأول: أن كثيرا من أهل قُطرنا ينتمون للشافعي مذهبا فقهيا، وللمذهب الأشعري منهجا عقديا، ويدرسون مختصرات هذا المنهج العقدي، فتراهم يقولون: الشافعي مذهبا، الأشعري عقيدة، ويظنون أن أئمة الشافعية على مذهب الأشعري في العقيدة، ويجهل كثير منهم أن المذهب الشافعي والطبقات الأولى من أئمته وفقهائه أقدم من المذهب الأشعري، وأن لهم مؤلفات في العقيدة تخالف الاعتقاد الأشعري. وحيث لم أر للشافعي مؤلفا مستقلا في العقيدة، وإن كانت أقواله مبثوثة في كتب الاعتقاد السُّنِّي المسندة، فإن مؤلفات الأئمة من تلاميذه وأتباعه تغني عنه، كما يتضح في الآتي.

الثاني: أن أئمة الشافعية أكثر العلماء تأليفا في العقيدة السلفية، ومن ذلك — غير ما تقدم ذكره-:

١. " الرد على الجهمية" للإمام أحمد بن حنبل (تـ ٢٤١هـ) أجل رواة القديم عن الشافعي.

٢. "الرد على الجهمية" لأبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي تـ ٢٨٠هـ .

٣. " نقض الدارمي على بشر المريسي " لأبي سعيد الدارمي أيضا.

٤. " صريح السنة" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (تـ ٣١٠هـ).

٥. " السنة" لأبي عبد الله محمد بن نصر المروزي (تـ ٢٩٤هـ)[١].

---

[١] ذكره ابن الصلاح في طبقات الفقهاء الشافعية (١/٢٧٧ رقم ٧٨) والسبكي في الطبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٤٦ رقم ٥٦) وابن كثير في طبقات الشافعيين (ص ١٨٤).

قال ابن الصلاح: وهو صاحب اختيار، وربما تذرع متذرع بكثرة اختياراته المخالفة لمذهب الشافعي إلى الإنكار على الجماعة العادين له في أصحابنا، وليس الأمر كذلك، لأنه في هذا بمنزلة ابن خزيمة، والمزني، وأبي ثور قبله وغيرهم، فلقد كثرت اختياراتهم المخالفة لمذهب الشافعي، ثم لم يخرجهم ذلك عن أن يكونوا في قبيل أصحاب الشافعي معدودين، وبوصف الاعتزاء إليه موصوفين".

٦. " جزء فيه أجوبة في أصول الدين" لأبي العباس ابن سريج تـ ٣٠٣هـ.

٧. " التوحيد" لإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (تـ ٣١١هـ).

٨. " مقالات الإسلاميين" للإمام أبي الحسن الأشعري تـ ٣٢٤هـ، وفيه جزء في تمذهبه بمذهب أهل الحديث عند اختلاف المذاهب في المسائل الاعتقادية.

٩. " رسالة إلى أهل الثغر" للإم أبي الحسن الأشعري أيضا.

١٠. " التصديق بالنظر إلى وجه الله تعالى" لأبي بكر الآجري (تـ ٣٦٠هـ).

١١. "التنبيه في الرد على أهل البدع والأهواء" لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي (تـ ٣٧٧هـ).

١٢. "الرؤية" لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ (تـ ٣٨٥هـ).

١٣. "أحاديث النزول " لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني أيضا.

١٤. "اعتقاد أهل السنة والجماعة" لأبي القاسم اللالكائي (تـ ٤١٨هـ)

١٥. "اعتقاد الشافعي" لأبي الحسن الكهاري الزاهد تـ٤٨٦هـ.

١٦. "الانتصار لأهل الحديث" لأبي المظفر السمعاني تـ ٤٨٩هـ.

١٧. " الحجة على تارك المحجة " لنصر بن إبراهيم المقدسي تـ ٤٩٠هـ.

١٨. "الحجة في بيان المحجة" لقوام السنة الأصبهاني تـ ٥٣٥هـ.

١٩. " الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار" للعمراني تـ ٥٥٨هـ.

وغير ذلك مما لا تستوعبه هذه المقدمة المختصرة.





الثالث: أنه انتسب للمذهب الشافعي فقها من هو من المعتزلة كالقاضي عبد الجبار[(١)]، وأبي بكر بن الإخشيد المتكلم المعتزلي، وأبي يوسف القزويني المعتزلي المفسر، ونسب إليهم آخرون منهم: على بن الحسين المسعودى[(٢)]، وأبو الحسن الماوردي[(٣)]، والقفال الكبير[(٤)]، وآخرون[(٥)]، كما انتسب إليه أمم من الجهمية والمرجئة والكلابية[(٦)]، وهي مذاهب كانت منبوذة لدى متقدمي الشافعية.

ومنهم من كان ينتقد الشافعي في عقيدته، ويرد عليه في بعض أقواله المخالفة لما انتمى إليه من العقائد الفاسدة كما فعل الرازي في مسائل الإيمان[(٧)].

---

(١) قال السبكي في الطبقات الكبرى (٥/٩٧):" وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، كان إمام أهل الاعتزال في زمانه، وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع".

(٢) ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣/٤٥٦) وقال: وقيل إنه كان معتزلى العقيدة، مات سنة خمس وأربعين أو ست وأربعين وثلاثمائة".

(٣) ذكره ابن الصلاح في طبقات الفقهاء الشافعية (٢/٦٣٨) وجزم بموافقته لهم في مسائل القدر، وقال في تفسير الماوردي:"وتفسيره" عظيم الضرر، لكونه مشحونا بكثير من تأويلات أهل الباطل، تدسيسا وتلبيسا، على وجه لا يفطن لتمييزها غير أهل العلم والتحقيق، مع أنه تأليف رجل لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة حتى يحذر، وهو يجتهد في كتمان موافقته لهم فيما هو لهم فيه موافق".

(٤) ذكر السبكي في الطبقات الكبرى (٣/٢٠) أنه سئل أبو سهل الصعلوكي عن تفسير القفال الكبير فقال:" قدسه من وجه ودنسه من وجه أي دنسه من جهة نصرة مذهب الاعتزال".

(٥) مثل أبي عمرو القرطبي أحمد بن عبد الوهاب بن يونس، وأبي القاسم الربعي علي بن الحسين بن عبد الله بن عربية، وأبي الفضل الهمذاني الفرضي عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد، وغيرهم.

(٦) ذكر السبكي في الطبقات الكبرى (٥/٩٧) أن أبا محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب – رأس هذه الطائفة– كان شافعيا في الفروع.

(٧) قال الرازي في معالم أصول الدين (ص١٣٥):" قال الشافعي: الفاسق لا يخرج عن الإيمان، وهذا في غاية الصعوبة، لأنه لو كان الإيمان اسما لمجموع أمور، فعند فوات بعضها فقد فات ذلك المجموع، فوجب أن لا يبقى الإيمان ".

ولما كثُر المتنسبون للشافعي في الفقه، وتفرقت بهم السبل في الانتماء العقدي لزم بيان المنهج العقدي الصحيح للشافعي ومتقدمي أصحابه، وهو أصح معتقد ينسب للشافعي، والذي من تمسلك به يكون شافعيا في الأصول والفروع.

والمراد بهذه السلسلة المنهجية في الاعتقاد الشافعي إنارة الطريق لمحبي هذا الإمام المطلبي ، ومتبعي مذهبه، وأن يكون أيضا على مذهبه في الاعتقاد، ويكتمل انتسابه لهذا الإمام، والله الهادي للصواب[١].

وقد انتهجت في شرح هذا الكتاب ما يلي:

أولا: ترجمة المؤلف وبيان مكانته العلمية ومراحله العقدية.

ثانيا: تمهيد مختصر حول كتاب الإبانة من حيث ثبوت النسبة، ومنهج مؤلفه.

ثالثا: ذكر أدلة المسائل التي لم يذكر المؤلف دليلها، وربما أضيف أدلة على ما ذكره.

رابعا: تأكيد ما ذكره في الإبانة بما قاله في المقالات ورسالته إلى أهل الثغر[٢].

خامسا: توضيح ما قد يكون غامضا من مناقشاته وردوده على المخالفين، وذكر من ذكر مثل ردوده من أئمة السنة الشافعيين في بعض المواطن من غير إطالة.

وسميته"التعليقات الأثرية على الإبانة الأشعرية"[٣]، والله أسأل أن يجعله خالصا لوجه، نافعا لكاتبه وقارئه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

قلت: إنما كان في غاية الصعوبة بناء على مذهب الرازي وأصحابه من المرجئة في أن الإيمان واحد لا يتجزء، فإما أن يزول بزوال جزء منه كما هو قول الخوارج والمعتزلة، أو يبقى على الكمال ببقاء جزء منه كما هو قول المرجئة في كمال إيمان الفسقة والعصاة.

[١] هذه هي مقدمة الكتاب الأول (التعليقات السنية على العقيدة المزنية)، وتتكرر في أول كل كتاب من هذه السلسلة المنهجية، لترسيخها في أذهان الطلبة، والتذكير بأسبابها وغايتها، مع تعديل ما يلزم تعديله، وإضافة ما يناسب مقام كتاب " الإبانة ".

[٢] وقد كنت أتمنى التأكيد أيضا من (الموجز) لموافقته لما في هذه المصادر الثلاثة كما قيل، لكني لم أقف عليه بأي وسيلة، فمن وقف عليه فليقارن بما في هذه الكتب.

[٣] وقد اعتنى بهذا الكتاب جماعة من أهل العلم، فأفادوا وأجادوا فيما صنعوا، منهم:

ترجمة الإمام الأشعري

ترجم للأشعري غير واحد من أهل العلم، وأطبق على الترجمة له المؤلفون في طبقات الشافعية، وأغلبهم ذكر أنه كان شافعي المذهب، وهذه نتف مختصرة فيه.

اسمه ونسبه ومولده

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري اليماني الأصل البصري، ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ولد أبو الحسن بالبصرة، واختلف في تحديد سنة ولادته على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه ولد سنة ٢٦٠هـ، وهو أشهر الأقوال، وأولاها بالصواب، وانتصر له ابن عساكر في التبيين، وقال: لا أعلم لقائل هذا القول في تاريخ مولده مخالفا"[١].

الثاني: أنه ولد سنة ٢٦٦هـ، ذكره المقريزي في الخطط، ولم أجد له موافقا[٢].

- طبعة: د. فوقية حسين محمود، طبعته دار الأنصار – القاهرة ١٣٩٧هـ بـ ٢٦٠ صفحة.
- طبعة: د. صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي التميمي، في أطروحة دكتوراة، قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، بإشراف د عبد الله بن محمد الغنيمان ١٤٢٨هـ، طبعته دار الفضيلة – الرياض ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م بـ ٨٩٨ صفحة، وهي أكثر الطبعات فائدة وتعليقا وتخريجا على ما فيها من بعض التكر عند اختلاف النسخ.
- طبعة: الجامعة الإسلامية بتقديم وتعليق العلامة حماد بن محمد الأنصاري، وتقريظ كل من العلامة ابن باز والعلامة إسماعيل بن محمد الأنصاري، وهي من أجود الطبعات، وقد جعلتها الأصل في هذه التعليقات مع بعض التصحيح لبعض الكلمات التي يظهر الصواب فيها مع غيره من حيث استقامة المعنى، وذلك مع التنبيه غالبا في الهامش على ذلك.

وغير هذه الثلاثة، وقد أفاض في ذكر الطبعات ومميزات كل منها وعيوبها العصيمي في مقدمة تحقيقه للإبانة، لكن فاته ذكر طبعة الجامعة الإسلامية.

[١] تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ١٤٦).

[٢] الخطط للمقريزي (١٩٣/٤) .

الثالث: أنه ولد سنة ٢٧٠هـ، حكاه ابن خلكان في وفيات الأعيان، والمقريزي في الخطط، والزبيدي في الإتحاف[١].

شيوخه وتلاميذه

درس على كثير من العلماء وتخرج على يديه ثلة كبيرة من المشاهير، ومنهم من كان من تلاميذ وأصحاب والده.

أما شيوخه: فقد روى عن خلق من العلماء ببغداد والكوفة والبصرة والأنبار والأهواز والموصل وغيرها، منهم:

١. أبو خليفة الجمحي، الفضل بن الحباب الجمحي البصري مسند العصر، وكان محدثا متقنا ثبتا إخباريا عالما، توفي سنة ٣٠٥هـ.

٢. القاضي أحمد بن سريج أبو العباس البغدادي إمام أصحاب الشافعي في وقته توفي سنة ٣٠٦هـ.

٣. الإمام الحافظ محدث البصرة أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن الساجي توفي سنة ٣٠٧هـ، وعنه أخذ الأشعري تحرير مقالة أهل الحديث والسلف.

٤. إبراهيم بن أحمد بن إسحاق أبو إسحاق المروزي الفقيه الشافعي إمام عصره في الفتوى والتدريس، انتهت إليه الرئاسة الشافعية بالعراق بعد ابن سريج توفي ٣٤٠هـ.

٥. محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعروف أبو علي الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ، كان إماما في علم الكلام، وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة، وله في مذهب الاعتزال مقالات

---

[١] وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢٨٤) والمقريزي في الخطط (١٩٣/٤) والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤/٢).

مشهورة، وعنه أخذ الأشعري علم الكلام، وكان الجبائي زوج أمه بعد وفاة والده.

وأما تلاميذه: فقد روى عنه خلق كثير من المشارقة والمغاربة، ومنهم:

١. أبو عبد الله بن مجاهد: محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد أبو عبد الله الطائي المتكلم صاحب أبي الحسن الأشعري من أهل البصرة، كان على مذهب مالك في الفقه توفي ٣٧٤هـ تقريبا.

٢. أبو بكر الجرجاني المعروف بالإسماعيلي، صاحب الاعتقاد الذي هو الكتاب الثاني من هذه السلسلة، توفي سنة ٣٧١هـ

٣. أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري الفقيه الشافعي، من المبرزين في الكلام، وله مشاركات في التفسير والمعاني وأيام العرب توفي سنة ٣٨٠هـ

٤. أبو سهل الصعلوكي النيسابوري وهو محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان العجلي الفقيه الشافعي المتكلم المفسر، اللغوي شيخ خراسان، توفي ٣٦٩هـ.

٥. أبو زيد المروزي، محمد بن أحمد بن عبد الله الشيخ، الإمام، المفتي، القدوة، الزاهد، شيخ الشافعية، توفي ٣٧١هـ

مؤلفاته

للإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله مصنفات، ذكرها أهل العلم في ترجمته، وقد وقفت على ستة منها في العقيدة وأصول الدين، وهي:

١. **الإبانة عن أصول الديانة**، وهو كتابنا هذا ضمن هذه السلسلة العلمية، وسيأتي بيان نسبته للمؤلف والتعريف به.

٢. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، وقد طبع بتحقيق نعيم زرزور، وبتصحيح هلموت ريتر، وكلاهما مطبوع.

٣. **رسالة إلى أهل الثغر**: وقد طبع بتحقيق/ عبد الله شاكر محمد الجنيدي، طبعتها عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، بالسعودية ١٤١٣هـ، بـ ١٩٨ صفحة.

٤. **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**: وقد طبع بتصحيح وتقديم د. حموده غرابة، بمطبعة بمصر سنة ١٩٥٥م بـ ١٣٦ صفحة.

٥. **شجرة اليقين**: وقد طبع بتحقيق الدكتورة كونشي كاستيلو سنة ١٩٨٧م ب٩٠ صفحة تقريبا، مع ترجمة إلى الإسبانية.

٦. **الحث على البحث**، أو " **استحسان الخوض في علم الكلام**": وقد طبع، ووقفت منه على قطعة فيها بعض التشويش بقدر ١٩ صفحة، وهي في الحث على علم الكلام ومناقشة من نهى عنه، وزجر من الخوض فيه.

٧. وذكر العلماء كتبا كثيرة من مؤلفاته لم أقف عليها، تجد أسماءها في الكتب التي ترجمت له.

ثناء العلماء عليه

أكثر العلماء في الثناء على أبي الحسن الأشعري، ومن أقوالهم فيه:

قال الخطيب البغدادي:" المتكلم صاحب الكتب، والتصانيف في الرد على الملحدة، وغيرهم من المعتزلة، والرافضة، والجهمية، والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة، وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها، وكان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه من جامع المنصور، وقال بعض البصريين: ولد أبو الحسن الأشعري في سنة ستين ومائتين، ومات سنة نيف وثلاثين وثلاث مائة"[١].

[١] تاريخ بغداد (٢٦٠/١٣ ترجمة ٦١٤٢ ط. بشار).

وقال ابن الصلاح:" إمام المتكلمين، وهو بصري، انتقل إلى بغداد، وبها توفي، قال الخطيب: كان - يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي إمام الشافعيين من جامع المنصور"[١].

وقال الذهبي: "العلامة، إمام المتكلمين ... مولده: سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين ... وكان عجبا في الذكاء، وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم ... رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات، وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تؤول... مات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مائة، حطَّ عليه جماعة من الحنابلة والعلماء، وكل أحد فيؤخذ من قوله ويترك، إلا من عصم الله تعالى اللهم اهدنا، وارحمنا[٢].

وقال ابن كثير:" أحد أئمة المتكلمين صاحب التصانيف في الأصول، والملل والنحل كالموجز، ومقالات الإسلاميين، والإبانة، والتفسير الكبير، وغير ذلك من الكتب النفيسة ... أخذ علم الكلام أولا عن شيخه أبي علي بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة، ثم فارقه الأشعري ورجع عن الاعتزال، وأظهر ذلك إظهارا ... وأخذ من زكريا الساجي أحد أئمة الحديث والفقه، وعن أبي خليفة الجمحي وسهل بن سريج ومحمد بن يعقوب وعبد الرحمن بن خلف الضبي البصريين، وروى عنهم كثيرا في تفسيره، وصنف في حال اعتزاله، بعد رجوعه عن اعتزاله الموجز، وهو ثلاث

---

[١] طبقات الفقهاء الشافعية (٢/٦٠٤).

[٢] سير أعلام النبلاء (١٥/٨٥-٨٦ ط. الرسالة) باختصار.

مجلدات، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة، ومقالات الإسلاميين، وكتاب الإبانة"[١].

وقال السبكي:" شيخ طريقة أهل السنة والجماعة وإمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين والساعى فى حفظ عقائد المسلمين، سعيا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، إمام حبر وتقى بر حمى جناب الشرع من الحديث المفترى وقام فى نصرة ملة الإسلام فنصرها نصرا مؤزرا"[٢].

مذهبه الفقهي

اختلف في مذهبه الفقهي على أقوال:

القول الأول: أنه كان حنفي المذهب، فترجم له القرشي في الجواهر المضية، والكملّائي في البدور المضية، وقال القرشي: قال مسعود بن شيبة فى كتاب التعليم كان حنفي المذهب، معتزلي الكلام، لأنه كان ربيب أبي علي الجبائي، وهو الذى رباه وعلمه الكلام"[٣].

القول الثاني: أنه كان مالكي المذهب، فترجم له المالكيون في تراجم فقهائهم كالقاضي عياض في ترتيب المدارك، وابن فرحون في الديباج، وابن مخلوف في شجرة النور الزكية و د. قاسم علي سعد في جمهرة تراجم الفقهاء المالكية[٤].

---

[١] طبقات الفقهاء الشافعيين (ص ٢٠٨-٢٠٩).

[٢] طبقات الشافعية الكبرى (٣/٣٤٧ ترجمة ٢٢٣).

[٣] الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/٣٥٣-٣٥٤ ترجمة ٩٧٨) والكملائي في البدور المضية (١٢/٣٧٩ ترجمة ٣٦٣٦).

[٤] والديباج لابن فرحون (٢/٩٤) وابن مخلوف في شجرة النور الزكية (١/١١٨رقم ١٧٥) و د. قاسم علي سعد في جمهرة تراجم الفقهاء المالكية (٢/٨٤١ رقم ٧٩٥).

قال القاضي عياض: ذكر محمد بن موسى بن عمران في رسالته أنه كان مالكيا، قال: وذكر لي بعض الشافعية أنه شافعي، حتى لقيت الشيخ الفاضل الفقيه رافعا الحمال الشافعي فذكر لي عن شيوخه أن أبا الحسن كان مالكيا".

القول الثالث: أنه كان شافعي المذهب، فترجم له الشافعية في طبقاتهم، كابن الصلاح والسبكي وابن كثير[١].

قال السبكي: وقد زعم بعض الناس أن الشيخ كان مالكي المذهب، وليس ذلك بصحيح، إنما كان شافعيا، تفقه على أبي إسحاق المروزي، نص على ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين، والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني في شرح الرسالة".

القول الرابع: أنه كان شافعيا مالكيا معا كابن دقيق العيد، وهذا ما رجحه ابن عساكر[٢] والزبيدي[٣].

عقيدته

اتفقت كلمة العلماء والمؤرخين على أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله كان في أول أمره على الاعتزال، وأخذه عن أبي علي الجبائي زوج أمه، وذكر بعضهم أن فترة الاعتزال كانت أربعين سنة.

قال ابن عساكر:" قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماما، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال

---

[١] ابن الصلاح في طبقات الفقهاء (٦٠٤/٢ رقم ٢٣٥) والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣٤٧/٣ رقم ٢٢٣) وابن كثير في طبقات الشافعيين (ص ٢٠٨).

[٢] قال في تبيين كذب المفتري (ص ٤٠٠): وأما علم الفقه فقد كان يذهب فيه مذهب الشافعي، أو مذهب مالك وأهل المدينة، وصنف في أصوله كتبا شحنها بالأدلة المبينة".

[٣] قال في الإتحاف (٦/٢): ولم لا يكون الشيخ عارفاً بالمذهبين يُعني بهما كما كان ابن دقيق العيد".

معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب اللمع وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب كشف الأسرار وهتك الأستار وغيرهما"[1]، وعلى هذا يكون رجوعه عن الاعتزال سنة ٣٠٠هـ تقريبا.

ثم انتقل من الاعتزال إلى متابعة مذهب ابن كلاب البصري، وألف في ذلك جملة من كتبه، وجرى على تأويل بعض الصفات على طريقته في الجملة، ولم تعرف مدة إقامته على هذا المذهب، لكن يشبه أن يكون إلى سنة ثلاثمائة وعشرين للهجرة[2].

هاتان المرحلتان في الجملة موضع اتفاق عند الجمهور، ثم انقسم الناس إلى قولين:

القول الأول: أنه ثبت على هذا المذهب، وهو قول المنتسبين إلى المذهب الأشعري، وقد تتلمذ عليه في المرحلة الثانية جماعة ممن نبغ في الكلام، وسار على نهج ابن كُلَّاب في الصفات، وأشهروا أنه مذهب الأشعري رحمه الله تعالى.

ووافقهم بعض أهل السنة من المذاهب المختلفة – الحنفية والمالكية والشافعية والجنابلة –، وهذه نتف من أقوالهم:

أما الحنفية: فمنهم السجزي الذي يقول في رسالته إلى أهل زبيد:" لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب، والقلانسي والصالحي والأشعري، وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة وهم

---

[1] تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٣٩).

[2] يؤخذ ذلك من عدم ذكر الأشعري في كتابه العمد تأليفه كتاب الإبانة، مع ما ذكره ابن فورك من أن هذه المؤلفات كانت إلى سنة ٣٢٠هـ.

معهم بل أخس حالا منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفا وصوتا، ذا تأليف واتساق، وإن اختلفت به اللغات "[١].

وقال فيها أيضا:" ثم بلي أهل السنة بعد هؤلاء بقوم يدعون أنهم من أهل الاتباع. وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كلاب، وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري، وبعدهم: محمد بن أبي تريد بسجستان، وأبو عبد الله بن مجاهد بالبصرة.

وفي وقتنا: أبو بكر بن الباقلاني ببغداد، وأبو إسحاق الاسفرائيني وأبو بكر بن فورك بخراسان.

فهؤلاء يردون على المعتزلة بعض أقاويلهم. ويردون على أهل الأثر أكثر مما ردوه على المعتزلة "[٢].

وأما المالكية: فمنهم خلف المعلم الذي قال: أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع وثبت على الأصول"[٣].

وأما الشافعية: فمنهم أبو القاسم الزنجاني الذي قال في منظومته الرائية:

"وسقَّف هذا (الأَشْعَرِيُّ) كلامه — وأربى على من قبله من ذوي الدَّبر

فما قاله قد بان للحق ظاهرا — وما في الهدى عمدا لمن ماز وادكر".

---

[١] رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ١١٥-١١٧) والسجزي هو: عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر (تـ ٤٤٤ هـ) تحقيق محمد باكريم.

[٢] رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ٣٤٣-٣٤٥) تحقيق محمد باكريم.

[٣] روى عنه السجزي في رسالته إلى أهل زبيد (ص ٢١٠).

وخلف المعلم هو: أبو سعيد المعروف بابن أخي هشام الخياط، من أهل القيروان، وكان شيخ الفقهاء، وإمام أهل زمانه في الفقه والورع، وكان يعرف بمعلم الفقهاء، لم يكن في وقته أحفظ منه، اختلط علم الحلال والحرام بلحمه ودمه وما اختلف الناس فيه، وما اتفقوا عليه، عالما بنوازل الأحكام حافظا بارعا فراجا للكروب مع تواضع ورقة قلب وسرعة دمعة ونية خالصة (تـ ٣٧١ أو ٣٧٣هـ).

ومنهم أبو عمر البسطامي الذي قال: كان أبو الحسن الأشعري أولًا ينتحل الاعتزال، ثم رجع فتكلم عليهم، وإنما مذهبه التعطيل، إلّا أنه رجع من التصريح إلى التمويه"[١].

ومنهم أبو الحسن الكرجي[٢] الذي قال في منظومته:

وخُبث مقال الأشعري تخنثٌ   يضاهي تلويه تلوى الشغازب

يُزيّن هذا الأشعري مقاله   ويقشبه بالسم يا شر قاشب".

وأما الحنابلة: فأكثر من أن يحصى من قال بهذا، ونضرب مثلا بالفقيه المشهور الموفق ابن قدامة الذي قال:" ومن العجب أن إمامهم الذي أنشأ هذه البدعة رجل لم يعرف بدين ولا ورع ولا شيء من علوم الشريعة البتة، ولا ينسب إليه من العلم إلا علم الكلام المذموم، وهم يعترفون بأنه أقام على الاعتزال أربعين عاما، ثم أظهر الرجوع عنه، فلم يظهر منه بعد التوبة سوى هذه البدعة، فكيف تصور في عقولهم أن الله لا يوفق لمعرفة الحق إلا عدوه، ولا يجعل الهدى إلا مع من ليس له في علم الاسلام نصيب، ولا في الدين حظ"[٣].

---

[١] هو أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم أبو عمر البسطامي الواعظ الفقيه على مذهب الشافعي، ولي قضاء نيسابور، وقدم بغداد، وحدث بها عن: أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي، وسليمان بن أحمد الطبراني، وأبي بكر القباب الأصبهاني، وأحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي.

قال الخطيب في تاريخ بغداد (٣/٤١ ط. بشار): حدثني عنه: الحسن بن محمد الخلال، وذكر لي أنه قدم بغداد في حياة أبي حامد الإسفراييني، قال: وكان إماما نظارا، وكان أبو حامد يعظمه ويجله".

روى الهروي في ذم الكلام (٤/٤٠٧ رقم ١٣٠٤ تحقيق) عن عدنان بن عبدة النميري عن أبي عمر البسطامي به.

[٢] رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص ٣٤٣-٣٤٥).

[٣] المناظرة في القرآن لابن قدامة (ص ٥١-٥٢ تحقيق عبد الله يوسف الجديع).

القول الثاني: أن له مرحلة ثالثة، هي انتقاله لمذهب أهل الحديث في آخر عمره، وأنه ألف في هذه المرحلة الموجز والمقالات ورسالته لأهل الثغر والإبانة، وأن الإبانة آخر كتبه، وأنه مات عليها[١].

وما سيأتي في هذا الكتاب وتعليقاتنا عليه من المقالات ورسالته إلى أهل الثغر يبين لك الفجوة بين قول ابن كلاب وقول الأشعري، بل ستجده يصرح بقول ابن كلاب في بعض هذه الكتب ويميزه عن قول أهل الحديث[٢]، وقد كنت أتمنى الوصول إلى الموجز لمقارنته بهذه الكتب الثلاثة، لكن الكتاب مفقود كما ذكره غير واحد.

وقد ذكرنا طرفا من هذا الاختلاف والترجيح في" الثمر الداني على رائية السنة للزنجاني"[٣].

---

[١] ذكر غير واحد من العلماء أن الإبانة آخر مؤلفات الأشعري، منهم:

- ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٣١/٤) فقال: وهو آخر كتاب صنّفه وعليه يعتمد أصحابه في الذّبّ عنه عند من يطعن عليه".
- ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (١٤٣/١) فقال: صنفه ببغداد في آخر عمره، لما زاد استبصاره في السنة".
- ابن كثير في طبقات الفقهاء الشافعيين (ص ٢١٠) فقال: والحال الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف، ولا تشبيه، جريا على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخرا".
- نعمان الألوسي في جلاء العينين (ص ٤٦٢) فقال: روى غير واحد من المصنفين عن الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه قال في كتابه الإبانة في أصول الديانة" وهو آخر كتاب صنفه".
- محمود شكري الألوسي في غاية الأماني (١٢٠/٢) فقال: مذهب الإمام الأشعري عند المحققين والعلماء المنصفين هو مذهب الإمام، كما يبين ذلك كتابه "الإبانة في أمور الديانة" وهو آخر كتاب صنفه، وعليه تعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه".

[٢] المقالات (١٢٩/١ وما بعدها) فقد شرح مذهب ابن كلاب وبين مخالفته لغيره في هذه المسائل.

[٣] وقد ألفت جملة من الكتب في بين مراحله العقدية، ولعل أوسعها كتاب العصيمي (الإمام الأشعري حياته وأطواره العقدية) وبلغت صفحاتها ٤١٢ صفحة.



وقد نظم هذا الخلاف بعض المعاصرين، ورجَّح القول بالمراحل الثلاثة، فقال:

١. بسمِ الإله نبتدي المقالَ ... نظمًا بحمدِ ربنا تعالى

٢. به عقيدة الإمام الأشعرِي ... تبدو جليةً لأهل النظرِ

٣. فالخُلف بين العلماءِ قد وقعْ ... في نهجِه، فانتشرت بذا البدعْ

٤. فقائلٌ بأنَّه كُلاَّبِي ... مع المحاسِبيّ والأصحابِ

٥. وقائلٌ بأنَّه عنه رجَعْ ... إذ الإبانةُ أتت بعد اللُّمَعْ

٦. وما روَوْا عن الإمامِ الأشعرِي ... يحتاجُ للتثبُّت المقرَّرِ

٧. فلزِمِ التدقيقُ والتحقيقُ ... في نهجِه والبحثُ والتوثيقُ

٨. لكي يُرَدَّ الظنُّ بالحقائقِ ... ويَظهَرَ الحقُّ لكل صادقِ

باب في ذكر أسماء الكتب التي رجَع فيها الإمام الأشعري لعقيدة السلف

٩. ففي كتابه الإبانة اتَّضَحْ ... مقالُه عن العقائدِ وصحْ

١٠. وعنه سائرُ الحفاظ نقلُوا ... وأسندوا مقالَه وأصَّلُوا

١١. فقد جلَّى كتابُه الإبانهْ ... منهجَه الذي ارتضى ديانَهْ

١٢. وفي المقالاتِ وفي الرِّسالهْ ... من قبْلِه جلاَّه لا محالهْ

١٣. وفيه أيَّد طريقةَ السَّلفْ ... أهل الحديثِ لا طريقة الخَلَفْ

١٤. كنَهْجِ أحمدَ ونَهْجِ مالكِ ... تبصرةً منه لكلِّ سالكِ

باب في الردِّ على من قال بأن كتاب الإبانة مصنَّف قبل كتاب اللُّمع

١٥. ولا تقُلْ بأنه قبل "اللمعْ" ... فابنُ عساكر الإمامُ قد منعْ

١٦. والأشعري لم يقُلْه في العمدْ ... وفيه ذِكر "اللمع" اسمًا قد وردْ





باب في ثبوتِ رجوع الأشعري عن عقيدة ابن كُلاَّب إلى عقيدة السلف وصحة نسبة كتاب الإبانة إليه والرد على شبه تحريفه

١٧. واعلم بأن العلماء وثَّقُوا رجوعَه في كتْبهم وصدَّقُوا

١٨. وكلهم قد أثبتوا الإبانهْ بكاملِ التوثيق والأمانهْ

١٩. كابنِ كثيرٍ والإمام الذَّهبِي بل بعضهم من علماءِ المذهبِ

٢٠. كابن خفيف عالم الأشاعرهْ ونحوه الاسماعيلي آزرهْ

٢١. ثم الجويني للإبانة رجعْ ثم البقلاني مثله اقتنعْ

٢٢. كذلك التفتازاني اعترفَ ومثله الإيجي قبلُ أنصفَ

٢٣. ومن يقُلْ بأنهم قد بدَّلُوا أو حرَّفوا فقولُه معلَّلُ

٢٤. فجُلُّهم أئمةٌ أشاعرهْ يردُّ قولَهم ذَوو المكابرهْ

باب في وجوب إعمال الإنصاف والعدل قبل نسبة الأشعري لعقيدة أهل الكلام

٢٥. فإن تكُنْ للأشعري متَّبعَا فاتْبعه فيما عنه قد تراجعَ

٢٦. فليس من عدلٍ ولا من النظرْ نسبتُه لكل ما عنه اعتذرْ

٢٧. فما أتى في كتبه المعتمدهْ فخُذْ به وبالنقول المسندهْ

تعليق على ما في المنظومة:

أولا: ذكر الناظم اختلاف العلماء في مراحل الأشعري الاعتقادية، هل هي مرحلتان أو ثلاثة، وأنه لابد من التحقيق والتثبت في ذلك، وهو ما تضمنته الأبيات(١-٨).

ثانيا: ذكر أن الأشعري بين عقيدة الموافقة لمنهج أحمد بن حنبل ومالك بن أنس وسائر السلف في كتابه "الإبانة" ومن قبله كتابيه "الرسالة إلى أهل الثغر" و"المقالات"، وهو ما تضمنته الأبيات (٩-١٤).

ثالثا: أجاب عن الاختلاف بين " اللمع" و" الإبانة" بأن "اللمع" كان قبل "الإبانة"، وأن ما في الإبانة ناسخ لما في اللمع لتأخره عنه.

واستدل على تأخر الإبانة بأمرين:

الأول: أن ابن عساكر ذكر أن "اللمع" من تأليف الأشعري عند رجوعه عن الاعتزال.

الثاني: أن الأشعري لم يذكر "الإبانة" في مؤلفات التي جمعها في كتابه "العمد" لتأخرها عن تأليفه مع أنه ذكر فيه " اللمع"، وهو ما تضمنه البيتان (١٥-١٦).

رابعا: ذكر الناظم أن الإبانة ثابت النسبة بكامله للأشعري لاتفاق العلماء من الأشاعرة وغيرهم على ذلك، ورجوع الكبار إليه في آخر عمرهم، ثم سرد جملة من هؤلاء العلماء وهم: الحافظ ابن كثير[١]، والإمام الذهبي[٢]، وابن خفيف عالم الأشاعرة[٣]، وأبو بكر الإسماعيلي[٤]، وأبو المعالي الجويني الذي رجع إلى الإبانة[٥].

---

[١] طبقات الشافعيين (ص ٢١٠).

[٢] العلو للعلي الغفار (ص ٢١٩).

[٣] ذكر ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص١٩٠) أنه من أصحاب الأشعري، وذكر قصة جرت بينهما، مع أن ابن خفيف جمع بين الزهد والرواية والتمسك بالسنة كما قال ابن عساكر.

[٤] ذكر ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص١٩٢) أنه من أصحاب الأشعري، ومع ذلك فقد ألف كتاب الاعتقاد، وهو الكتاب الثاني من السلسلة العملية في اعتقاد الشافعية، وجرى فيها على طريقة السلف، وقد توفي هو وابن خفيف سنة ٣٧١هـ.

[٥] رجوع الجويني إلى ما في الإبانة من الاعتقاد كان في مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة تأليف "الرسالة النظامية" فإنه رجع عن التأويل في بعض الصفات إلى التفويض الذي ظنه مذهب السلف وأصحاب الحديث، وذلك أن الجويني قال في الرسالة النظامية (ص ٣٢): وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى.

والذي نرتضيه رأيا، وندين الله عقلا: اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع، والدليل السمعي القاطع في ذلك: أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة ...."، ثم ذكر الاستواء واليدين




والمجيء فقال:" فلتجرى آية الاستواء والمجيء، وقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ و ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وقوله ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾، وما صح من أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه".

وليس ذلك رجوعا كاملا على التحقيق وذلك من وجهين:

الأول: أن التفويض في المعنى ليس مذهب السلف، وإنما التفويض عند السلف في الكيفية، بل يجرى المعنى على ظاهر اللفظ في اللغة كما سيأتي عن الأشعري في "الإبانة".

الثاني: أن الجويني في "الرسالة النظامية" جرى على مذهبه في الكلام ومنع الصفات الاختيارية، وهو ما يسمونه منع حلول الحوادث.

قال الجويني في النظامية (ص ٢٧-٢٨): معتقد أهل الحق: أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت، ولا أصوات منقطعة، وإنما هو صفة قائمة بذاته تعالى يدل عليها قراءة القرآن كما يدل قول القائل: على الوجود الأزلي، ويعتبر المسمى أصوات، والمفهوم منه الرب تبارك وتعالى ".

وهذا قول الكلابية في إثبات الكلام النفسي لله تعالى، ونفي الكلام اللفظي عنه إلا على سبيل المجاز.

المرحلة الثانية: هي الرجوع الكامل من حيث الإجمال، وذلك كما في وصيته عند موته رحمه الله تعالى.

قال ابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص ٧٧): وكان أبو المعالي الجويني يقول لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني وكان يقول لأصحابه يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به".

وانظر المنتظم لابن الجوزي (٢٤٥/١٦) والمفهم لأبي العباس القرطبي (٦٩٢/٦) وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤٧١/١٨ ط. الرسالة) والعلو للذهبي (ص ٢٥٨ رقم ٢٨٠) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٨٥/٥).

وكذا أبو بكر الباقلاني[١]، وذكره أيضا الإيجي[٢]، والسعد التفتازاني[٣].

فهؤلاء ثمانية من العلماء، ومنهم بعض أئمة الأشاعرة فيدل على ثبوت نسبة الكتاب إليه، وهو يرد قول من قال بأنه دخل فيه تحريف أو تبديل، وهو ما تضمنته الأبيات (١٧-٢٤).

قلت: وقد أثبت نسبته أبو بكر البيهقي في كتابه "الإعتقاد" وهو من الأشاعرة، وأبو القاسم ابن عساكر في "التبيين" وهو من الأشاعرة، وابن درباس في " الذب عن الأشعري"، وأبو عثمان الصابوني، وسيأتي ذكر أقوالهم قريبا، وآخرون لا يتسع لهم المقام، وتقدم قريبا عن ابن تيمية وابن العماد الحنبلي ونعمان الألوسي ومحمود شكري الألوسي.

---

(١) رجع الباقلاني إلى إثبات ما في " الإبانة" من الاعتقاد، فأثبت ما أثبته الأشعري من الصفات في التمهيد والإنصاف.

قال في تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص ٢٩٥، ٢٩٦):(باب في أن الله وجها ويدين).

فإن قال قائل: فما الحجة في أن لله عز وجل وجها ويدين؟.

قيل له: قوله تعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ فأثبت لنفسه وجها ويدين ".

وقال أيضا في تمهيد الأوائل (ص ٢٩٨، ٢٩٩):" صفات ذاته هي التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها، وهي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والبقاء والوجه والعينان واليدان ... الخ".

وقال في الإنصاف (ص ٢١، ٢٢):" وأخبر أنه ذو الوجه الباقي بعد تقضي الماضيات، كما قال عز وجل ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ وقال ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ واليدين اللتين نطق بإثباتهما له القرآن، في قوله عز وجل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ وأنهما ليستا بجارحتين، ولا ذوي صورة وهيئة، والعينين اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن، وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام، فقال عز وجل ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ و ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ وأن عينه ليست بحاسة من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس ".

(٢) المواقف في علم الكلام (ص ٢٩٦).

(٣) شرح المقاصد (٤/٧٤).

خامسا: ذكر الناظم أن اتباع الأشعري لا يكون في النظر الصحيح ولا في العقل السليم متابعته على ما رجع عنه، ونسبة ما اعتذر عنه إليه كمذهب له، وهو تضمنته الأبيات الأخيرة (٢٥-٢٧).

وفاته

توفي الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري في بغداد سنة ثلاثمائة وأربع وعشرين للهجرة، وعمره أربع وستون تقريبا على الأرجح.

وقيل: بضع وثلاثين وثلاثمائة ذكره المقريزي وابن خلكان[1]، وقيل: سنة ثلاثين وثلاثمائة ذكره ابن الهمداني في تكمله تاريخ الطبري[2].

---

[1] الخطاط للمقريزي (٤/١٩٣) ابن خلكان في وفيات الأعيان (٣/٢٨٤).

[2] تكملة تاريخ الطبري لابن الهمداني المقدسي (ص ١٣٠) ونقله عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان (٣/٢٨٤).

تمهيد:

يتضمن هذا التمهيد بيان مسألتين مهمتين في دراستنا لهذا الكتاب، وهما:

الأولى: ثبوت نسبة الكتاب للأشعري، وقلما تخلو واحدة من طبعات الكتاب وتحقيقاته من بيان هذه المسألة.

الثانية: ذكر نبذة عن منهجه فيه، ولم تتناولها كثير من الطبعات والتحقيقات.

المسألة الأولى: ثبوت نسبة الكتاب للأشعري

ذكر نسبة هذا الكتاب غير واحد من العلماء والأئمة والمؤرخين للكتب والمؤلفات، ولا خلاف بينهم في ذلك، وإنما شكك في ذلك بعض المعاصرين الذين لم يرق لهم ما فيه من العقائد المخالفة لما هم عليه مع انتسابهم للأشعري، وغفلوا عن توارد الأشاعرة المتقدمين على نسبته إليه.

وقد قال العصيمي في توارد أقوال العلماء في هذه المسألة:" لم أجد كتابا تضافرت الأقوال على نسبته لمؤلفه كما تضافرت الأقوال على نسبة كتاب الإبانة، فلقد شهد العشرات من العلماء على أن الإمام الأشعري قد ألف كتابه "الإبانة"[(١)].

وهذه نتف من تلك الأقوال:

أولا: أبو بكر البيهقي المتوفى ٤٥٨هـ

قال في كتاب (الاعتقاد):" وبمعناه ذكره أيضا علي بن إسماعيل في كتابه "الإبانة"[(٢)].

وقال مرة أخرى: وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل رحمه الله تعالى في كتابه: فإن قال قائل: حدثونا أتقولون: إن كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ؟"[(٣)].

---

(١) تحقيق العصيمي للإبانة (ص ٢٩).

(٢) الاعتقاد للبيهقي (ص ١٠٧) وهذا المعنى في الإبانة (ص ٣٩٣ ط. العصيمي).

(٣) الاعتقاد للبيهقي (ص ١٠٧) وهذا النص موجود في الإبانة (ص ١١٥ مسألة ٤١ الباب السادس في طبعة الجامعة الإسلامية.

وسرد مرة بعض الأدلة إلى أن قال:" وقد احتج علي بن إسماعيل رحمه الله بهذه الفصول، واحتج بها غيره من سلفنا رحمهم الله"[1].

ثانيا: أبو القاسم ابن عساكر تـ ٥٧١هـ

ذكره ابن عساكر في مواضع من كتابه "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري" في سبيل الذب عن الأشعري، ونقل بعض ما فيه، أوقيل فيه.

ذكر عن بعض أهل عصره أنه قال ضمن قصيدة عن الأشعري[2] مطلعها:

قل للمخالف يا لكع　　　كف اللسان عن البدع

وذر التعصب جانبا　　　واللعن للعلماء دع

فظلام جهلك في العقيدة قد تلاشى وانقشع

إلى أن قال:

لو لم يصنف عمره　　　غير الإبانة واللمع

لكفى فكيف وقد تفـ　　　ـنَّن في العلوم بما جمع

وقال مرة: وتصانيفه بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى بـ"الإبانة" عرف موضعه من العلم والديانة"[3].

وقال مرة: ولم يزل كتاب "الإبانة" مستصوبا عند أهل الديانة، وسمعت الشيخ أبا بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشار البوشنجي المعروف بالخركردي الفقيه الزاهد يحكي عن بعض شيوخه أن الإمام أبا عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني النيسابوري قال: ما كان يخرج إلى مجلس درسه إلا وبيده كتاب

---

[1] الاعتقاد للبيهقي (ص ٩٥، ٩٦) وهذا النص في الإبانة للأشعري (الباب الرابع- فقرة ٣١ ص ٨٤، ٩٥) من طبعة الجامعة الإسلامية، و(ص٣٢٣) من طبعة العصيمي، و(ص ٧٦) من طبعة فوقية.

[2] تبيين كذب المفتري (ص ١٧١) .

[3] تبيين كذب المفتري (ص ٢٨) .

الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ويظهر الإعجاب به، ويقول: ماذا الذي ينكر على من هذا الكتاب شرح مذهبه"، فهذا قول الإمام أبي عثمان، وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان[1].

وقد رد ابن عساكر على الأهوازي[2] الذي قال: إن الأشعري لم يكن يعتقد ما في هذا الكتاب "الإبانة" ردا بليغا في مواضع من "التبيين"، ومن ذلك قوله: وما ذكره في معني كتاب "الإبانة" فقول بعيد من أقوال أهل الديانة، كيف يصنف المسلم كتابا يخلده، وهو لا يقول بصحة ما فيه ولا يعتقده.

وقوله لا أحسن الله له رعاية (إن أصحاب الأشعري جعلوا الإبانة من الحنابلة وقاية)، فمن جملة أقواله الفاسدة، وتقولاته المستبعدة الباردة، بل هم يعتقدون ما فيها أشد اعتقاد، ويعتمدون عليها أشد اعتماد، فإنهم بحمد الله ليسوا معتزلة، ولا نفاة لصفات الله معطلة، لكنهم يثبتون له سبحانه ما أثبته لنفسه من الصفات، ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات، وبما وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح الروايات، وينزهونه عن سمات النقص والآفات"[3].

---

[1] تبيين كذب المفتري (ص ٣٨٩).

[2] هو: أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الأهوازي مقرئ الشام في عصره (٣٦٢- ٤٤٦هـ)، صنف كتابا في الصفات أتى فيه بموضوعات، اتهم بوضعها كحديث:" رأيت ربي بعرفات على جمل أحمر عليه إزار "، قال الذهبي في الميزان (١/٥١٢-٥١٣ ترجمة ١٩١٦):" ولو حابيت أحدا لحابيت أبا عليٍّ لمكان علو روايتي في القراءات عنه".

ترجمته: في معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٤٠٢) ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/٢٢٠).

قلت: ألف أبو علي الأهوازي كتابا باسم (مثالب ابن أبي بشر) طعن وحمل فيه على الأشعري، وقد طبع بتحقيق محمد عبد الحميد العويطي.

وتابع الأهوازي على قوله ونقل جملا من كتابه ا يوسف بن عبد الهادي الشهير بـ" ابن المبرد" (تـ ٩٠٩هـ) في كتابيه" كشف الغطا عم محض الخطا"، و" جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر" الذين طبعا مع "مثالب بن أبي بشر" المتقدم، وقد اعتمد عليه وعلى " ذم الكلام" لأبي إسماعيل الهروي.

[3] تبيين كذب المفتري (ص ٣٨٨).

ثالثا: الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي المتوفى ٥٤١هـ.

ذكر عنه ابن درباس في الذب عن الأشعري أنه قال في بيان مسألة الاستواء من تأليفه: رأيت هؤلاء الجهمية ينتمون في نفي علو الله على العرش وتأويل الاستواء إلى أبي الحسن الأشعري، وما هذا بأول باطل ادعوه، وكذب تعاطوه، فقد قرأت في كتابه الموسوم بـ"الإبانة عن أصول الديانة" أدلة من جملة ما ذكرته على إثبات الاستواء"[1].

رابعا: أبو القاسم عيسى بن درباس الشافعي المتوفى ٦٠٥هـ

فقد ألف كتابا في (الذب عن الأشعري) وقال فيه:" اعلموا معشر الإخوان أن كتاب "الإبانة عن أصول الديانة"، الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبه كان يدين الله سبحانه وتعالى بعد رجوعه من الاعتزال بمنِّ الله ولطفه، وكل مقالة تنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله سبحانه منها، وكيف وقد نص فيه على أنه ديانته التي يدين الله سبحانه بها ..." الخ كلامه[2].

خامسا: أبو عبد الله الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ.

قال الذهبي في العلو للعلي الغفار: وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهَّره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه بخطه الإمام محيي الدين النواوي"[3].

سادسا: أبو الفداء إسماعيل بن كثير المتوفى ٧٧٤هـ.

قال في طبقات الفقهاء الشافعيين:" وصنف في حال اعتزاله، وبعد رجوعه عن اعتزاله الموجز، وهو ثلاث مجلدات، كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة، ومقالات الإسلاميين، وكتاب الإبانة".

---

[1] الذب عن الأشعري لابن درباس (ص ١١١-١١٢).

[2] الذب عن الأشعري لابن درباس (ص ١٠٧-١٠٨).

[3] العلو للعلي الغفار (ص ٢١٩).

وقال أيضا: ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله، ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال، التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه، واليدين، والقدم، والساق، ونحو ذلك.

والحال الثالثة: إثبات ذلك كله من غير تكييف، ولا تشبيه، جريا على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخرا، وشرحه القاضي الباقلاني، ونقلها أبو القاسم ابن عساكر، وهي التي مال إليها الباقلاني وإمام الحرمين وغيرهما من أئمة الأصحاب المتقدمين في أواخر أقوالهم"[١].

وغير هؤلاء ممن لا يسعهم هذا المقام المختصر، وقد ذكر غير واحد من العلماء والأئمة كتابه هذا تارة منسوبا للأشعري، وتارة بالنقل عنه في كتبهم، وفي هذا القدر كفاية والله أعلم.

المسألة الثانية: التعريف بكتاب (**الإبانة عن أصول الديانة**).

اشتمل الكتاب على ستة عشر بابا، وقد جعل المؤلف كتابه هذا على قسمين: قسم في بيان المذاهب، وقسم في مناقشة المذاهب.

أما القسم الأول: ففي بيان الأقوال باختصار، وفيه بابان:

الباب الأول: في بيان قول أهل الزيغ والبدع باختصار

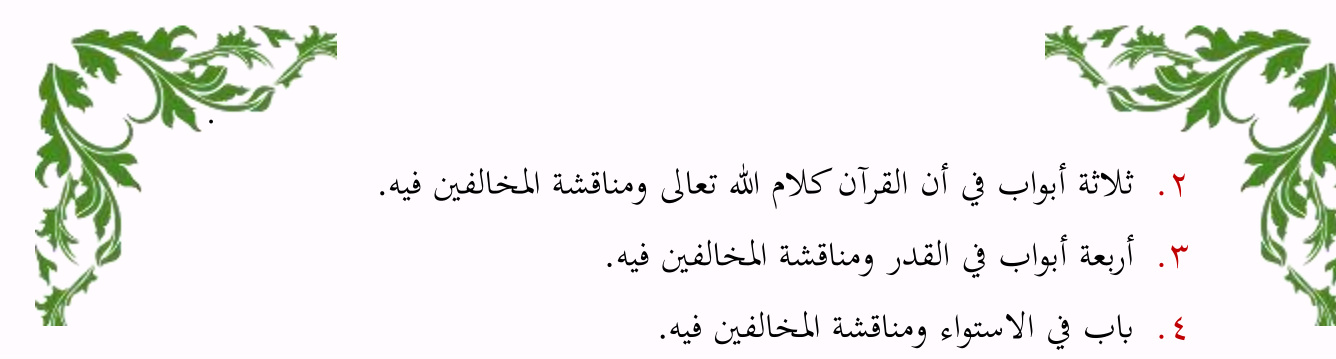
الباب الثاني: بيان قول أهل الحق والسنة باختصار أيضا.

وأما القسم الثاني: ففي مناقشة المذاهب، وهي أربعة عشر بابا، وقد جرى فيها على الاستدلال للمسائل العقدية التي أوردها عند التفصيل في الأبواب التالية، وهي:

١. باب في رؤية الله في الآخرة بالأبصار ومناقشة المخالفين فيها.

---

[١] طبقات الفقهاء الشافعيين (ص ٢٠٩، ٢١٠).



٢. ثلاثة أبواب في أن القرآن كلام الله تعالى ومناقشة المخالفين فيه.
٣. أربعة أبواب في القدر ومناقشة المخالفين فيه.
٤. باب في الاستواء ومناقشة المخالفين فيه.
٥. باب في الوجه واليدين والعينين ومناقشة المخالفين فيها.
٦. باب في إمامة أبي بكر والخلفاء ومناقشة المخالفين فيها.
٧. باب في الشفاعة لأهل الكبائر ومناقشة المخالفين فيها.
٨. باب في عذاب القبر ومناقشة المخالفين فيه.
٩. باب في الحوض ومناقشة المخالفين فيه.

فهذه أربعة عشر بابا، وبعضها أطول في المناقشة من بعض بقدر ما فيها من الخلاف، وما أثير من الشبهات، علما بأن الأشعري لم يقصد استقصاء مسائل الخلاف، وإنما قصد أشهرها وأكثرها شبهة.

وقد سار في كتابه هذا على طريقة المناظرات في الردود مع الابتعاد عن المصطلحات الكلامية غالبا، ومن منهجه فيه:

أولا: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في مسائل الكتاب ورد النزاع إليها.

ثانيا: الاعتماد على الإجماع الثابت عن السلف الصالح وآثار الأئمة المتقدمين.

ثالثا: الاعتماد على اللغة التي نزل بها القرآن، وبيان صحتها شرعا وعقلا.

رابعا: الحجاج العقلي وبيان بطلان اللوازم الباطلة التي يوردها الخصم، مع بيان ما يلزم الخصم من لوازم فاسدة.

مؤاخذات على الكتاب:

ويؤخذ على المؤلف في كتابه أشياء منها:

أولا: الاحتجاج بالروايات الضعيفة، وعدم الاقتصار على الصحاح مع وجودها، ولعل ذلك لأنه لم يكن خبيرا بالأخبار والروايات، ولهذا لم ينسب شيئا للصحيحين.

ثانيا: أنه أجمل في بعض المواضع حتى لا يتضح معتقده فيه، وربما أورد عبارات موهمة مثل كلامه في أزلية الإرادة، فإنه يوهم أنه يثبت إرادة قديمة هي القدرية الكونية، ولا يثبت الإرادة الشرعية، وإن كان كلامه جاء عرضا في سبيل المناظرة.

وقد تمسك بهذه العبارات من قال: إن الأشعري لم يترك قول ابن كلاب على الحقيقة، وإنما ثبت عليه، وكتابه "الإبانة" هذا ألفه على طريقة ابن كلاب، وضربوا مثلا ببعض العبارات في الإرادة[1]، والكلام[2]، والرضا والغضب[3] ونحوها، وكلها مواضع محتملة تبطلها مواضع مفصلة، أو قواعد عامة له في الانتماء لأهل الحديث والبراءة من مذاهب المخالفين لهم.

---

[1] كقوله:" ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن من لم يكن مريدا ثم أراد لحقه النقصان".

[2] كقوله :" فقد وجب يكون الله لم يزل متكلما".

[3] كقوله:" ومن زعم أن غضب الله مخلوق، لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفني، وإن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى".



مقدمة المؤلف

قال الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري رحمه الله:

الحمد لله الواحد، العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد، المتمجد بالتمجيد، الذي لا تبلغه صفات العبيد، وليس له منازع ولا نديد، وهو المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، جلَّ عن اتخاذ الصواحب والأولاد، وتقدَّس عن ملابسة الأجناس والأرجاس، ليست له صورة تقال، ولا حدٌّ يضرب له المثال، لم يزل بصفاته أولا قديرا، ولا يزال عالما خبيرا، استوفى الأشياء علُمه، ونفذت فيها إرادتُه، ولم تعزب عليه خفيات الأمور، ولم تغيره سوالف صروف الدهور، ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب، ولا مسه لغوب ولا نصب، خلق الأشياء بقدرته، ودبَّرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذللها بعزته، فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعزِّ ربوبيته المتعظمون، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون، وذلَّت له الرقاب، وحارت في ملكوته فِطَنُ ذوى الألباب، وقامت بكلمته السماوات السبع، واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جو السماء السحاب، وقامت على حدودها البحار، وهو الله الواحد القهار، يخضع له المتعززون، ويخشع له المترفعون، ويدين طوعا وكرها له العالمون.

نحمَده كما حمِد نفسه، وكما هو أهله ومستحقه، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه، ونستعينه استعانة من فوض الأمر إليه، وأَقرَّ أنه لا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه، ونستغفره استغفار مقر بذنبه، معترف بخطيئته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارا بوحدانيته، وإخلاصا لربوبيته، وأنه العالم بما تظن الضمائر، وتنطوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس، وما تجنُّ البحار، وما تواري الأسراب، ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ

بِمِقۡدَارٍ﴾ الرعد ٨، لا تواري عنه كلمة، ولا تغيب عنه غائبة، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ الأنعام ٥٩، ويعلم ما يعمل العاملون، وما ينقلب إليه المنقلبون، ونستهديه بالهدى، ونسأله التوفيق لمجانبة الردى.

ونشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، ونبيه وأمينه وصفيه، أرسله إلى خلقه بالنور الساطع، والسراج اللامع، والحجج الظاهرة، والبراهين والآيات الباهرة، والأعاجيب القاهرة، فبلّغ عن الله رسالاتة، ونصح له في برياته، وجاهد في الله حق جهاده، وقاتل أهل العناد، حتى تمت كلمة الله عز وجل، وظهر أمره، وانقاد الناس للحق خاضعين حتى أتاه اليقين، لا وانيا ولا مقصرا، فصلوات الله عليه من قائد إلى هدى مبين، وعلى آل بيته الطيبين، وعلى أصحابه المنتخبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين.

عرَّفنا الله به الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وبيَّن لنا به شريعة الإسلام، حتى انجلت عنا طخياء[1] الظلام، وانحسرت عنا به الشبهات، وانكشفت عنا به الغيابات، وظهرت لنا به البينات.

جاءنا بكتاب عزيز ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضل وغوى، وفي الجهل تردى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ الحشر ٧، وقال عز وجل: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١) الطخياء: شدة الظلمة.

النور ٦٣، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ النساء ٨٣، وقال ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الشورى ١٠، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ النساء ٥٩، يقول: إلى كتاب الله وسنة رسوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم ٣ -٤، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ﴾ يونس ١٥، وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ النور ٥١، فأمرهم أن يسمعوا قوله، ويطيعوا أمره، ويحذروا مخالفته، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ المائدة ٩٢، فأمرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت عليهم شقوتهم، واستحوذ عليهم الشيطان سنن نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلدوهم دينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضوها وأنكروها وجحدوها، افتراء منهم على الله ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ الأنعام ١٤٠.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله عز وجل، وأحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، تغر أهلها وتخدع سكَّانها، قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ الكهف ٤٥.

من كان فيها في حيرة أعقبته بعدها عبرة، ومن أعطته من سرَّائها بطنا أعقبته من ضرائها ظهرا، غرارة غرور ما فيها، فانية فَانٍ ما عليها، كما حكم عليها ربها بقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الرحمن ٢٦.

فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة، ولخلود الأبد، فإن الدنيا تنقضي عن أهلها، وتبقى الأعمال قلائد في رقاب أهلها.

واعلموا أنكم ميتون، ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم راجعون ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ النجم ٣١، فكونوا بطاعة ربكم عاملين، وعما نهاكم منتهين.








الباب الأول:

في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة

أما بعد: فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر، مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأوَّلوا القرآن على آرائهم تأويلا لم يُنزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين.

فخالفوا روايات الصحابة رضوان الله عليهم عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات، وتواترت بها الآثار، وتتابعت بها الأخبار.

وأنكروا شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين، وردوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين.

وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون.

ودانوا بخلق القرآن، نظيرا لقول إخوانهم من المشركين؛ الذين قالوا﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ المدثر ٢٥، فزعموا أن القرآن كقول البشر.

وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر، نظيرا لقول المجوس الذين أثبتوا خالقين: أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر.

وزعمت القدرية أن الله عز وجل يخلق الخير، والشيطان يخلق الشر.

وزعموا أن الله عز وجل يشاء ما لا يكون، ويكون مالا يشاء، خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وردا لقول الله عز وجل﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الإنسان ٣٠، فأخبر أنا لا نشاء شيئا إلا وقد شاء الله أن

نشاءه، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ﴾ البقرة ٢٥٣، ولقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ السجدة ١٣، ولقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ هود ١٠٧، ولقوله تعالى مخبرا عن نبيه شعيب أنه قال: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الأعراف ٨٩.

ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم" مجوس هذه الأمة"[١]؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا أقاويلهم.

---

[١] **حسن**: وقد روي عن جابر وأبي هريرة وحذيفة وعائشة وابن عمر وأنس بن مالك، وهذا أحسن ما وقفت عليه من طرقها:

أما جابر: فرواه ابن ماجه (رقم ٩٢) والطبراني في الأوسط (رقم ٤٠٤٦، ٤٤٥٥) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٢٨) والفريابي في القدر (رقم ٢١٩) وابن عدي في الكامل (٣٠٦/١) من طرق عن بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر به.

وسنده حسن لولا ما في عنعنة بقية وأبي الزبير، لكنها مما يتقوى بالمتابعات والشواهد.

وأما أبو هريرة: فرواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٤٢) وابن عدي في الكامل (٣٦٨/٢) والآجري في الشريعة (رقم ٣٨٥، ٣٨٦) وحرب في مسائله (١٠٧٨/٣) من طريقين عن مكحول عن أبي هريرة به مرفوعا.

ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين مكحول وأبي هريرة، وهو يتقوى بالمتابعات والشواهد.

وأما حذيفة: فرواه أبو داود (رقم ٤٦٩٢) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٢٩) من طريقين عن الثوري عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة به.

وعمر مولى غفرة ضعيف، وشيخه مجهول، لكنه مما يتقوى بالمتابعات والشواهد.

وأما عائشة: فرواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٣١) من طريق عبد الله بن خالد القرفساني عن عبد الله بن يزيد عن الحسن البصري عن عائشة به، وعبد الله بن خالد وعبد الله بن يزيد مجهولان.

وأما ابن عمر: فرواه أبو داود (رقم ٤٦٩١) وحرب في مسائله (١٠٥٣/٣) من طريقين عن أبي حازم عن ابن عمر به، ورجاله ثقات لكنه منقطع بين ابن عمر وأبي حازم، وهو لا شك مما يتقوى.

ورواه الفريابي في القدر (رقم ٢١٦، ٢١٨) والطبراني في الأوسط (رقم ٣٤٩٤) والآجري في الشريعة (رقم ٣٨١) وابن عدي في الكامل (١٦٩/٤) من طرق عن زكريا بن منظور عن أبي حازم عن نافع عن ابن عمر به.

وزعموا أن للخير والشر خالقين، كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاء الله كما قالت المجوس.

وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم من دون الله، ردا لقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ الأعراف ١٨٨، وإعراضا عن القرآن، وعما أجمع عليه أهل الإسلام.

وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله عز وجل بالقدرة عليه، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل، فكانوا مجوس هذه الأمة؛ إذ دانوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقاويلهم ومالوا إلى أضاليلهم، وقنَّطُوا الناس من رحمة الله، وآيسوهم من روحه، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها، خلافا لقول الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ النساء ٤٨.

وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها، خلافا لما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امْتَحَشُوا فيها وصاروا حمما"[1].

وشذ عنهم يعقوب بن حميد بن كاسب عند ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٣٨) فرواه عن زكريا بن منظور عن أبي حازم عن ابن عمر، وأسقط ذكر أبي حازم، ورواية الجماعة عن زكريا أصحُّ، لكن في زكريا ضعف.

ورواه الطبراني في الأوسط (رقم ٦٧٧٨) من طريق مولى غفرة، وابن عدي في الكامل (٣٨٥/٨) من طريق عمر بن محمد بن زيد العمري، وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٣٢٧) من طريق ثابت البناني ثلاثتهم عن نافع عن ابن عمر به، وأسانيدهم ضعيفة.

وأما أنس بن مالك: فرواه الطبراني في الأوسط (رقم ٤٢٠٥) عن علي بن عبد الله الفرغاني عن هارون بن موسى الفروي عن أنس بن عياض عن حميد عن أنس به. وسنده حسن.

[1] رواه البخاري (رقم ٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧) ومسلم (رقم ١٨٢) عن أبي هريرة.

ورواه البخاري (رقم ٦٥٦٠، ٧٤٣٩) ومسلم (رقم ١٨٣) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا.

ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ الرحمن ٢٧

وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ ص ٧٥ .

وأنكروا أن يكون له عينان مع قوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ القمر ١٤، وقوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ طه ٣٩.

وأنكروا أن يكون له علم مع قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ النساء ١٦٦.

وأنكروا أن تكون له قوة مع قوله: ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ الذاريات ٥٨.

ونفوا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا"[١]، وغير ذلك مما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية والمرجئة والحرورية، أهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة، وما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدرية، وأنا ذاكر ذلك بابا بابا، وشيئا شيئا، إن شاء الله، وبه المعونة والتأييد، ومنه التوفيق والتسديد.

---

[١] حديث النزول متواتر، ورد عن نيف وثلاثين صحابيا، جمع طرق أحاديثهم الدارقطني في كتاب سماه "أحاديث النزول" فمن رام التفضيل فليرجع إليه، وسيأتي تلخيص ذلك في بابه.




الباب الثاني:

في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيع الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظَّم، وكبير معظَّم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا:

١. أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نرد من ذلك شيئا.
٢. وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا.
٣. وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق.
٤. وأن الجنة حق، والنار حق.
٥. وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.




٦. وأن الله استوى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[١].

٧. وأن له وجها بلا كيف، كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[٢].

٨. وأن له يدين بلا كيف، كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ ص ٧٥، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة ٦٤[٣].

---

[١] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأن الله –سبحانه– على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

وقال في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٣٠-١٣١ الإجماع التاسع): وأنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وقد دل على ذلك بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الملك ١٦، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ فاطر ١٠.

وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر؛ لأنه عز وجل لم يزل مستوليا على كل شيء".

تنبيه: ما جاء في بعض النسخ من قوله هنا (وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء، إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد) ليس من كلام الأشعري، وإنما هو من كلام أبي حامد الغزالي، أقحمه هنا أحد النساخ المجهولين.

وهو بهذا اللفظ في قواعد العقائد (ص٥٢-٥٣) وإحياء علوم الدين (٩٠/١) كلاهما للغزالي، ونسبه إليه ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ٣٠٠) وابن تيمية في شرح حديث النزول (ص١٣١-١٣٢) ومجموع الفتاوى (٥٠٣/٥) والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٤٤/١٩ ط. الرسالة) والسبكي في الطبقات الكبرى (٢٣١/٦) ورزوق التونسي في شرح رسالة أبي زيد القيرواني (٤٦/١).

[٢] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأن له وجها كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾.

[٣] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾.

٩. وأن له عينا بلا كيف، كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ القمر ١٤[١].

١٠. وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا[٢].

١١. وأن لله علما كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ النساء ١٦٦، وكما قال: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ فاطر ١١[٣].

١٢. ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك، كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج[٤].

١٣. ونثبت أن لله قوة، كما قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ فصلت ١٥[٥].

وقال في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٢٧ الإجماع السابع): وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى (يدين مبسوطتين)، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارحا، وأن يديه تعالى غير نعمته.

وقد دل على ذلك تشريفه لآدم عليه السلام حيث خلقه بيده، وتقريعه لإبليس على الاستكبار عن السجود مع ما شرفه به بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ص ٧٥".

[١] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأن له عينين بلا كيف كما قال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾.

[٢] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأن أسماء الله لا يقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.

[٣] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأقروا أن لله –سبحانه– علما كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ وكما قال: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾.

[٤] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأثبتوا السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة". وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٢٧ الإجماع السابع): وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى".

[٥] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأثبتوا لله القوة كما قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾.

١٤. ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأنه لم يخلق شيئا إلا وقد قال له (كن) كما قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ النحل ٤٠ [١].

١٥. وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله الله[٢].

[١] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٧): ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم ،لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٢٥ الإجماع السادس): وأجمعوا على أن أمره عز وجل وقوله غير محدث ولا مخلوق وقد دل الله تعالى على صحة ذلك بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، ففرق تعالى بين خلقه وأمره، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فبين بذلك تعالى أن الأشياء المخلوقة تكون شيئا بعد أن لم تكن بقوله وإرادته، وأن قوله غير الأشياء المخلوقة من قبل أن أمره تعالى للأشياء".

[٢] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٦): وقالوا أنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال عز وجل:﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون.

وقالوا إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لا يفعله".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٤٦ الإجماع الثاني والعشرون): وأجمعوا على أن الإنسان لا يستطيع أن يفعل ما علم الله عز وجل أنه لا يفعله، وقد نص على ذلك تعالى فيما حكاه عن الخضر في قوله لموسى – عليهما السلام – لما لم يصبر معه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ ولم ينكر موسى قوله، ولا رد عليه ما ذكره".

١٦. ولا نستغني عن الله[١]، ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل[٢].

١٧. وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العبد مخلوقة لله مقدرة، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ الصافات ٩٦، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون، كما قال: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ فاطر ٣، وكما قال: ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ النحل ٢٠، وكما قال: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ النحل ١٧، وكما قال: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ الطور: ٣٥ وهذا في كتاب الله كثير[٣].

١٨. وأن الله وفَّق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر إليهم، وأصلحهم، وهداهم، وأضلَّ الكافرين، ولم يهدهم، ولم يلطف بهم بالإيمان، كما زعم أهل الزيغ

---

[١] قال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٤٦ الإجماع الحادي والعشرون): وأجمعوا على أن الإنسان غير غني عن ربه عز وجل في سائر أوقاته، وعلى الرغبة إليه في المعونة على سائر ما أمر به، ممتثلين لما أمرهم به في قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فلم يفرق بين العبادة وبين الاستعانة".

[٢] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وقالوا إن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئا علم الله أنه لا يفعله.

وقال الأشعري في رساته إلى أهل الثغر (ص ١٤٣ الإجماع الثامن عشر): وأجمعوا على أن الخلق لا يقدرون على الخروج مما سبق في علم الله فيهم، وإرادته لهم".

[٣] قال الأشعري في المقالات (٢٢٦/١): وأقروا أنه لا خالق إلا الله، وأن سيئات العباد يخلقها الله، وأن أعمال العباد يخلقها الله –عز وجل–، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا منها شيئا.

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٤٤–١٤٥ الإجماع التاسع عشر): وأجمعوا على أنه خالق لجميع الحوادث وحده، لا خالق لشيء منها سواه، وقد زجر الله عز وجل من ظن ذلك بقوله: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ كما زجر من ادعى إلها غيره بقوله تعالى: ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، وإنما سمى غيره خالقا في قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ وإن كان خالقا وحده على طريق الاتساع، كما يقال: عدل العمرين على طريق الاتساع، وإن كان عمر واحدا وكما سمى غيره إلها في قوله: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗا﴾ في المجاز".

والطغيان، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين كما قال تبارك وتعالى ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الأعراف: ١٧٨. وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم[١].

١٩. وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن ما أصابنا لم يكن

---

[١] قال الأشعري في المقالات (٢٢٧/١): وأن الله وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين.

وأن الله –سبحانه– يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن لا يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم ".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٥١-١٥٢ الإجماع التاسع والعشرون): وأجمعوا على أنه تعالى تفضل على بعض خلقه بالتوفيق والهدى وحبب إليهم الإيمان وشرح صدورهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وجعلهم راشدين، كما قال عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، وقال: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾، فعدد بذلك نعمته عليهم.

الإجماع الثلاثون: وأجمعوا على أن ما يقدر عليه من الألطاف التي لو فعلها لآمن جميع الخلق غير متناهية، وأن فعل ذلك غير واجب عليه، بل هو تعالى متفضل بما يفعله منها، وأنه تعالى لم يتفضل على بعض خلقه بذلك، بل أضلهم كما قال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾، وقد قال موسى عليه السلام لما جيء بالعجل الذي عمله السامري لبني إسرائيل، وكان خواره فعل الباري تعالى عنه: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ ولم ينكر الله ذلك عليه، ولو كان وصفه بذلك جورا كما يقول القدرية لما ترك الإنكار ذلك عليه وزجره عنه".

ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا بالله كما قال عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ الأعراف ١٨٨، وإنا نلجأ في أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه[١].

٢٠. ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر[٢].

٢١. ونَدين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال الله عز وجل ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ المطففين ١٥، وأن موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا، وأن الله تعالى تجلَّى للجبل فجعله دكا، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا[٣].

---

(١) قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٧): وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله كما قال ويلجئون أمرهم إلى الله –سبحانه– ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت والفقر إلى الله في كل حال.

وقال أيضا: والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وما أصابهم لم يكن ليخطئهم والإسلام هو: أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله على ما جاء في الحديث.

(٢) تقدمت هذه الفقرة قريبا (برقم ١٤) .

(٣) قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٧): ويقولون: إن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون قال الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، وأن موسى عليه السلام سأل الله –سبحانه– الرؤية في الدنيا وأن الله –سبحانه– تجلى للجبل فجعله دكا فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة .

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٣٤ الإجماع الحادي عشر): وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ القيامة ٢٢ – ٢٣.

٢٢. وندين بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون.

ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر، مثل الزنا، والسرقة، وما أشبههما، مستحلا لها غير معتقد بتحريمها كان كافرا[١].

٢٣. ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمانا[٢].

٢٤. وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب، وأن "القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن"[٣]، وأنه سبحانه "يضع السموات على أصبع، والأرضين على أصبع" كما جاءت الروايات عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[٤]، من غير تكييف[٥].

وقد بين معنى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: "ترون ربكم عيانا"، وقوله: "ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته". فبين أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه

قلت: هذا حديث جرير بن عبد الله البجلي، رواه البخاري (رقم ٧٤٣٥) بلفظ:" إنكم سترون ربكم عيانا" ، ورواه البخاري (رقم ٥٥٤) ومسلم (رقم ٦٣٣) باللفظ الثاني.

[١] قال الأشعري في المقالات (٢٢٧/١): ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٥٦ الإجماع السادس والثلاثون): وأجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم".

[٢] قال الأشعري في المقالات (٢٢٧/١): والإسلام هو: أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله على ما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان.

[٣] رواه مسلم (رقم ٢٦٥٤/١٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

[٤] رواه البخاري (رقم ٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٥١٣) ومسلم (رقم ٢٧٨٦/٢١) عن ابن مسعود.

[٥] قال الأشعري في المقالات (٢٢٧/١): ويقرون بأنه الله – سبحانه – مقلب القلوب.

٢٥. وندين بأن لا ننزل أحدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا نارا إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا في النار معذبين[١].

---

[١] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٨): ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله –سبحانه– ينزلهم حيث شاء ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ويؤمنون بأن الله –سبحانه– يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٥٨ الإجماع السابع والثلاثون): وأجمعوا على أنه لا يقطع على أحد من عصاة أهل القبلة في غير البدع بالنار، ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة إلا من قطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

ولا سبيل لأحد إلى معرفة مشيئته تعالى إلا بخبر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لاتنزلوا أحدا من أهل القبلة جنة ولا نارا".

قلت: جاء هذا المعنى من طرق، وهي:

الأول: عن جعفر العبدي مرسلا:" ويل للمتألين من أمتي الذين يقولون: فلان في الجنة، وفلان في النار" رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/١٩١ رقم ٢١٥٨ ط. المعلمي) وابن بطة في الإبانة (رقم ١٠٤٩) وحرب الكرماني في مسائله (٣/١٠٥٦) من طريق ليث بن أبي سليم عن زيد بن أرطأة الفزاري عن جعفر بن زيد العبدي به.

وليث ضعيف، وجعفر تابعي، فهو ضعيف بهاتين العلتين، وهو في الضعيفة للألباني (رقم ٤٧٥٨).

الثاني: في الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة (ص ١٣٨) حدثت عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تقولوا أمتي في الجنة ولا في النار دعوهم حتى يكون الله يحكم بينهم يوم القيامة"، وسنده ضعيف للانقطاع بين نافع وأبي حنيفة، على أن في ثبوت نسبة الكتاب لأبي حنيفة نظر.

الثالث: في الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة (ص ١٣٨) حدثني أبان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يقول الله عز وجل لا تنزلوا عبادي جنة ولا نار حتى اكون انا الذي احكم فيهم يوم القيامة وانزلهم منازلهم" .

وسنده ضعيف جدا، أبان هو ابن أبي عياش وهو متروك.

ونقول: إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

٢٦. ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين[2].

الرابع: زيد بن أرقم مرفوعا:" لا تنزلوا عبادي العارفين الموحدين من المذنبين الجنة ولا النار حتى أكون أنا الذي أنزلهم بعلمي فيهم، ولا تكلفوا من ذلك ما لم تكلفوا، ولا تحاسبوا العباد دون ربهم".

رواه الطبراني في الكبير (رقم ٥٠٧٦) والحربي في فوائده (رقم ١٧) من طريق محمد بن يعلى زنبور عن عمر بن الصبح عن خالد بن ميمون عن نفيع بن الحارث عن زيد بن أرقم به.

وسنده ضعيف جدا، وفيه علل:

الأولى: محمد بن يعلى ضعيف.

الثانية: عمر بن الصبح متروك، وكذبه ابن راهويه.

الثالثة: نفيع بن الحارث، وهو أبو داود الأعمى متروك، وكذبه غير واحد.

[1] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٧): ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنها لأهل الكبائر من أمته ".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٦٣-١٦٤ الإجماع الحادي والأربعون): وأجمعوا على أن الله تعالى يخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه.

الإجماع الثاني والأربعون: وأجمعوا على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يخرج من النار قوما من أمته بعد ما صاروا حمما، فيطرحون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السبيل".

[2] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٧): ويقرون ...وبعذاب القبر وأن الحوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق والمحاسبة من الله -عز وجل- للعباد حق والوقوف بين يدي الله حق ".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٥٩-١٦١ الإجماع التاسع والثلاثون): وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته ... وأن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه أفلح، ومن خفت موازينه خاب وخسر، وأن كفة السيئات تهوي إلى جهنم وأن كفة الحسنات تهوي عند زيادتها إلى الجنة ".

٢٧. وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

٢٨. وندين بحب السلف، الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم، ونتولاهم أجمعين.

٢٩. ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وأن الله أعزَّ به الدين وأظهره على المرتدين، وقدَّمه المسلمون للإمامة، كما قدَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة، وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال فيه أيضا (ص ١٦٣ الإجماع الأربعون): وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك".

[١] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٧-٢٢٨): ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ص ١٥٥ الإجماع الخامس والثلاثون): وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شك فيما أمرنا بالتصديق به، ولا جهل به، لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كنا جميعا مؤدين للواجب علينا ".

وهذا مخالف لما ذكره الأشعري في اللمع (ص ١٢٣) فإنه قال:" إن قال قائل: ما الإيمان عندكم بالله تعالى؟ قيل له: هو التصديق بالله، وعلى ذلك اجتماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن، قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ وقال تعالى ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾، فلما كان الإيمان باللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن هو التصديق قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي بمصدق لنا، وقالوا جميعا:" فلان يؤمن بعذاب القبر والشفاعة"، يريدون: يصدق بذلك، وجب أن يكون الإيمان هو ما كان عند أهل اللغة إيمانا، وهو التصديق".

ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن الذين قتلوه قتلوه ظلما وعدوانا، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلافتهم خلافة النبوة.

ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونكف عما شجر بينهم.

وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء، لا يوازيهم في الفضل غيرهم[1].

---

[1] قال الأشعري في المقالات (٢٢٨/١): ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله -سبحانه- لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم. ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا رضوان الله عليهم، ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم ".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٧٠ الإجماع السادس والأربعون): وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم على ما قال صلى الله عليه وسلم: "خيركم قرني" وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشر، وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضوان الله عليهم-، وأن إمامتهم كانت عن رضى من جماعتهم، وأن الله ألف قلوبهم على ذلك لما أراده من استخلافهم جميعا بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾، فجمع الله قلوب المؤمنين على ترتيبهم في التقديم من قبل أنهم لو قدموا عمر على الجماعة لخرج أبو بكر عما وعده الله به، وكذلك لو قدم عثمان لخرج أبو بكر وعمر؛ لأن الله قد علم أنه يبقى بعدهما، وأنهما يموتان قبله، وكذلك لو قدم علي على جميعهم لخرجوا من الوعد لعلم الله أنهم يموتون قبله فرتبهم وألف بين قلوب المؤمنين على ذلك، لينالوا جميعا ما وعدوا به، وإن كان كل واحد منهم يعلم ذلك".

وقال فيها أيضا (ص ١٧٢ الإجماع الثامن والأربعون): وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة - عليهم السلام - إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظن بهم أحسن الظن، وأحسن المذاهب ممتثلين في ذلك لقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"، وقال أهل العلم معنى ذلك لا تذكروهم إلا بخير الذكر".

٣٠. ونصدق بجميع الروايات التي يثبت أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول:" هل من سائل، هل من مستغفر"، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل[١].

٣١. ونُعوِّل فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها، ولا نقول على الله ما لا نعلم[٢].

٣٢. ونقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر ٢٢، وإن الله عز وجل يَقرُب من عباده كيف شاء كما قال تعالى:

---

[١] قال الأشعري في المقالات (٢٢٨/١): ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله – سبحانه! – ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر كما جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٢٩ الإجماع الثامن): وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال ... وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم".

[٢] قال الأشعري في المقالات (٢٢٨/١): ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله –عز وجل-: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ النساء ٥٩، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٦٦-١٦٧ الإجماع الثالث والأربعون): وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله، وما ثبت به النقل من سائر سنته، ووجوب العمل بمحكمه والإقرار بنص مشكله ومتشابهه، ورد كل ما لم يحط به علما بتفسيره إلى الله مع الإيمان بنصه، وأن ذلك لا يكون إلا فيما كلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله".

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ ق ١٦، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾النجم ٨ – ٩[١].

٣٣. ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر، كما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يصلي خلف الحجاج[٢].

٣٤. وأنَّ المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافا لقول من أنكر ذلك[٣].

٣٥. ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم، إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بإنكار الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة[٤].

---

[١] قال الأشعري قي المقالات (٢٢٨/١): ويقرون أن الله –سبحانه– يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾.

[٢] قال الأشعري في المقالات (٢٢٨/١): ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر وفاجر".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٦٨–١٦٩ الإجماع الخامس والأربعون): وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئا من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل، وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ويصلى خلفهم الجمع والأعياد".

[٣] قال الأشعري في المقالات (٢٢٨/١): ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر. .

[٤] قال الأشعري في المقالات (٢٢٨/١): ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم يقتله ".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٦٨–١٦٩ الإجماع الخامس والأربعون): وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئا من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل، وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ويصلى خلفهم الجمع والأعياد".

٣٦. ونُقرُّ بخروج الدجال، كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[١].

٣٧. ونؤمن بعذاب القبر، ومنكر ونكير، ومساءلتهما المدفونين في قبورهم.

٣٨. ونصدق بحديث المعراج.

٣٩. ونصحح كثيرا من الرؤيا في المنام، ونقر أن لذلك تفسيرا[٢].

٤٠. ونرى الصدقة عن موتى المسلمين، والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك[٣].

٤١. ونصدق بأن في الدنيا سحرا وسحرة، وأن السحر كائن موجود في الدنيا[٤].

٤٢. وندين بالصلاة على موتى المسلمين من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم[٥].

٤٣. ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان[٦].

وقال فيها أيضا (ص ١٧٦ الإجماع الحادي والخمسون): وأجمعوا على النصيحة للمسلمين والتولي بجماعتهم، وعلى التوادد في الله، والدعاء لأئمة المسلمين، والتبري ممن ذم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأزواجه، وترك الاختلاط بهم، والتبري منهم".

[١] قال الأشعري في المقالات (٢٢٨/١): ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك".

وقال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٦٦ الإجماع الثاني والأربعون): ... وكذلك ما روي من خبر الدجال ونزول عيسى ابن مريم وقتله الدجال".

[٢] قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم ".

[٣] قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): .

[٤] قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): ويصدقون بأن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال الله وأن السحر كائن موجود في الدنيا.

[٥] قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وموارثتهم.

[٦] قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان.

٤٤. وأن من مات أو قتل فبأجله مات أوقتل[١].

٤٥. وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل يرزقها عباده حلالا وحراما[٢].

٤٦. وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويتخبطه، خلافا لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ البقرة ٢٧٥، وكما قال: ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾ الناس ٤[٣].

٤٧. ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله عز وجل بآيات يُظهرها عليهم[٤].

٤٨. وقولنا في أطفال المشركين: إن الله يؤجج لهم في الآخرة نارا، ثم يقول لهم اقتحموه"[٥]

---

(١) قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): وأن من مات مات بأجله وكذلك من قتل قتل بأجله.

(٢) قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): وأن الأرزاق من قبل الله –سبحانه– يرزقها عباده حلالا كانت أم حراما.

(٣) قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه.

(٤) قال الأشعري في المقالات (٢٢٩/١): وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم.

(٥) **ضعيف**: رواه البزار (رقم ٢١٧٧ زوائده) وأبو يعلى في مسنده (رقم ٤٢٢٤) وابن عبد البر في التمهيد (١٢٨/١٨) من طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الوارث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا:" يؤتى يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته، فيقوا الرب تبارك وتعالى لعنق من جهنم –أحسبه قال–: أبرزي، فيقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم، فإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب ! أتدخلناها ومنها نفرق؟، ومن كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعا، قال: فيقول الله: قد عصيتموني، وأنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية، قال : فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار".

وهذا سند ضعيف، فيه علل متعددة، وهي:

أولا: ضعف عبد الوارث كما تقدم في الحديث السادس من الفصل الأول .

ثانيا: ضعف ليث بن أبي سليم ، قال في التقريب: اختلط جدا، ولم يتميز حديثه فترك، ونسبه الهيثمي في المجمع (٢١٦/٧) للتدليس، ورد عليه الألباني في صحيحته (٦٠٣/٥): بأنه لم يجد أحدا وصفه بالتدليس.

كما جاءت بذلك الرواية[1].

٤٩. ونَدين الله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم صائرون، وما كان وما يكون، وما لا يكون إن لو كان كيف كان يكون[2].

ثالثا: المخالفة، وهي أنه جاء من طريق يزيد الرقاشي وعلي بن زيد بن جدعان و قتادة، ورواية مختار بن أبي مختار عن عبد الوارث، وهي مخالفة في المتن والإسناد، فلا يصح من هذا الوجه، وإن صححه الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في الصحيحة (رقم ٢٤٦٨) بل ولا يصلح للتقوية لما علم من أن الشاذ والمنكر في أحد قسميه لا يصلح للاعتبار، كما قال العراقي في ألفيته :

وإن يكن لكذب أو شذا   أو قوي الضعف فلم يجبر ذا ".

وخلاصة هذا الفصل أنه لم يصح فيه شيء مطلقا، وكل ما ورد فيه غير صالح للتقوية على آحاده إلا الحديث الأول عند بعض العلماء.

قال ابن عبد البر في التمهيد (١٨/١٣٠): روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث الأسود بن سريع وأبي هريرة وثوبان بأسانيد صحيحة من أسانيد الشيوخ ، إلا ما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفا ولم يرفعه، بمثل ما ذكرنا سواء، وليس في شيء منها ذكر المولود، وإنما فيها ذكر أربعة كلهم يوم القيامة يدلي بحجته، رجل أصم أبكم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة، ورجل هرم، فلما لم يكن فيها ذكر المولود، لم نذكرها في هذا الباب".

والعجيب: أن كثيرا ممن أورد أحاديث الامتحان في مسألتنا هذه لم ينتبه لهذه النكتة التي ذكرها ابن عبد البر من عدم ذكر المولود في هذه الأحاديث التي اعتبروها شواهد يقوي بعضها بعضا، حتى فيمن جاء بعد ابن عبد البر ونقل في هذا الباب من كتابه هذا، ومنهم الأئمة الحفاظ كابن القيم القائل في طريق الهجرتين (ص ٦٥٧): فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضا، وتشهد لها أصول الشرع وقواعده ".

قلت: قد تتبعت طرق هذه الأحاديث، وما ورد في أن أولاد المشركين خدم أهل الجنة، وأقوال الناس في ذلك في كتابي "بغية الآمال في مآل الأطفال" وهو مطبوع، فمن رام التفصيل والمناقشة فليرجع إليه.

[1] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٩): وأن الأطفال أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد.

[2] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٩): وأن الله عالم بالعباد عاملون وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد الله.

٥٠. وبطاعة الأئمة ونصيحة المسلمين [١].

٥١. ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة، ومجانبة أهل الأهواء[٢].

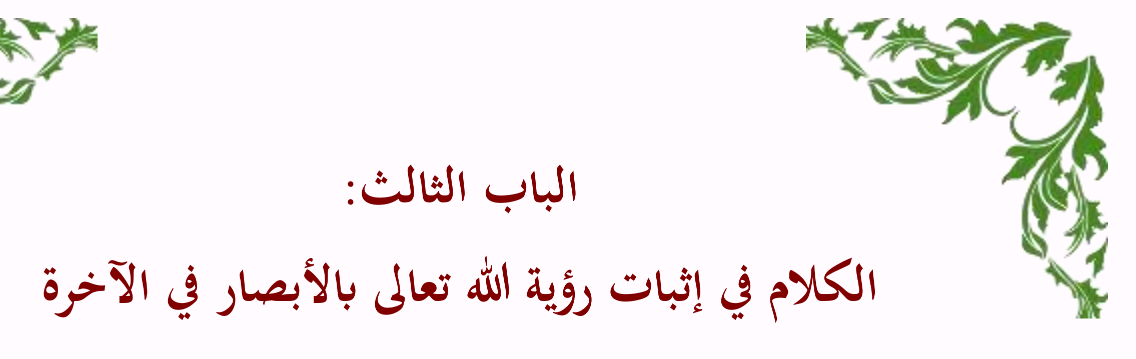
وسنحتج لما ذكرناه من قولنا، وما بقي منه مما لم نذكره بابا بابا، وشيئا شيئا، إن شاء الله تعالى.

---

[١] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٩): ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه وإخلاص العمل والنصيحة للمسلمين.

[٢] قال الأشعري في المقالات (١/٢٢٩): ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،وبه نستعين، وعليه نتوكل، وإليه المصير.



الباب الثالث:

الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة

قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني مشرقة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

١. إما أن يكون الله عز وجل عني نظر الاعتبار، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾.
٢. أو يكون عني نظر الانتظار كقوله: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.
٣. أو أن يكون عنى نظر تعطف كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.
٤. أو يكون عنى نظر الرؤية.

فلا يجوز أن يكون الله عز جل عنى نظر التفكير والاعتبار، لأن الآخرة ليست بدار اعتبار.

ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار، لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه، فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب، فقالوا: انظر في هذا الأمر بقلبك، لم يكن معناه نظر العينين، ولذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار الذي بالقلب.

وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة، لأن الانتظار معه تبعيض وتكدير، وأهل الجنة لهم "ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت"[1]، من العيش السليم والنعيم المقيم.

---

[1] رواه البخاري (رقم ٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨) ومسلم (رقم ٢٨٢٤) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله:" أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ السجدة ١٧.

وإذا كان هذا هكذا، لم يجز أن يكونوا منتظرين، لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أُتوا به مع خطوره ببالهم.

وإذا كان ذلك كذلك، فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف، لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة، صح القسم الرابع من أقسام النظر. وهذا معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنها رائية ترى ربها عز وجل.

ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ انظر الانتظار، أنه قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ونظر الانتظار لا يكون مقرونا بقوله (إلى) لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار (إلى)، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، لم يقل (إلى)، إذ كان معناه الانتظار، وقال عن بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾، فلما أرادت الانتظار لم تقل (إلى).

وقال امرؤ القيس:

" فإنكما إن تنظراني ساعة ... من الدهر تنفعني لدى أم جندب ".

فلما أراد الانتظار لم يقل: (إلى)، فلما قال الله عز وجل: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية.

ولما قرن النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه كما قال: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ البقرة ١٤٤، فذكر الوجه، وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء، ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة.




٢- فإن قال قائل: لم لا تقولون: إن قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، إنـما أراد إلى ثـواب ربها ناظرة[١]؟.

قيل له: ثوابُ الله عز وجل غيرُه تعالى، والله تعالى قال: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ولم يقل: إلى غيره ناظرة، والقرآن على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة، وإلا فهو على ظاهره.

ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: صلوا لي واعبدوني، لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره، فلذلك لما قال: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة، فلم لا جاز لغيركم أن يقول: إن قول الله عز وجل ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، أراد بها لا تدرك غيره، ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا ما لا يقدرون على الفرق فيه.

٣- ودليل آخر:

ومما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ الأعراف ١٤٣، ولا يجوز أن يكون موسى عليه السلام قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين، وعصمه بما عصم به المرسلين، قد سأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى، فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا، وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل.

---

[١] يشير المؤلف إلى قول المعتزلة في تفسير هذه الآية بالنظر لثواب الله تعالى ونعمه.

قال الأخفش الأوسط (تـ ٢١٥هـ) في معاني القرآن (١/٣٣٠) – وكان الأخفش معتزليا حاذقا-:" وقوله ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يقول: تنظر في رزقها وما يأتيها من الله، كما يقول الرجل:"ما أنظر إلا إليك".

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا كما زعمت المعتزلة، ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام، وعلموا هم، لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى عليه السلام، وهذا ما لا يدعيه المسلمون.

فإن قال قائل: ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم؟ ولم يكن نبي الله صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك قبل أن ينزل؟.

قيل له: لم يكن يعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم ذلك قبل أن يُلزِمِ اللهُ العبادَ حكم الظهار، فلما لزمهم الحكمُ به، أعلم نبيه قبلهم، ثم أعلم نبي الله عباد الله ذلك، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه، فلم يعلمه عليه السلام، وأنتم زعمتم أن موسى عليه السلام كان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية، وأنها مستحيلة عليه، وإذا لم يعلم ذلك وقت أن لزمه علمه، وعلمتوه أنتم الآن، لزمكم بجهلكم، أنكم بما لزمكم العلم به الآن أعلم من موسى عليه السلام بما لزمه العلم به، وهذا خروج عن دين المسلمين.

٤- دليل آخر:

مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار، قول الله تعالى لموسى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾، فلما كان الله عز وجل قادرا على أن يجعل الجبل مستقرا، كان قادرا على أمر الذي لو فعله لرآه موسى، فدل ذلك على أن الله تعالى قادر على أن يُرِيَ عباده نفسَه، وأنه جائز رؤيته.

فإن قال قائل: فلم لا قلتم إن قول الله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ تبعيد للرؤية؟.




قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه[١]، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلما قرنه باستقرار الجبل، وذلك أمر مقدور لله سبحانه، دل ذلك على أنه جائز أن يري الله عز وجل.

ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لمن كان حربا لأخيها قرنت الكلام بمستحيل، فقالت:

" ولا أصالح قوما كنت حربهم — حتى يعود بياضا حلكة القار ".

والله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها، ونحن نرجع إلى ما نجده مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، فلما قرن الله الرؤية بأمر مقدور جائز، علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

٥- ودليل آخر:

قال عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس ٢٦.

قال أهل التأويل: النظر إلى الله عز وجل، ولم يُنعم الله عز وجل على أهل جنانه بأفضل من نظرهم إليه، ورؤيتهم له[٢].

وقال عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، قيل: النظر إلى الله عز وجل[٣].

---

[١] كما قال تعالى في تبعيد دخول الكفار الجنة ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فقرن النفي بما يستحيل وقوعه في العادة.

[٢] روى مسلم (رقم ١٨١) عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، قال فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل".

[٣] وردت في ذلك أقول عن بعض أهل العلم.

فروى الدارمي في الرد على الجهمية (رقم ١٩٨) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (رقم ٩٠) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١٢٢٦) والبزار (رقم ٧٥٢٨) من طريق شريك القاضي عن عثمان بن أبي اليقظان عن أنس بن مالك، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال:" يتجلى لهم كل جمعة".

وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾، وإذا لقيه المؤمنون رأوه[1].

وأما ما رواه يعقوب بن سفيان في المعرفة (٣/٣٩٥-٣٩٦) ومن طريقه اللالكائي في الاعتقاد (رقم ٨٥٢) عن محمد بن المصفّى قال ثنا سويد بن عبد العزيز قال نا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: يرون أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما تعطون قال: ثم يقول الله تبارك وتعالى: اكشفوا حجابا فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تعالى ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

فتالف، لأن في سنده عمرو بن خالد القرشي، قال الإمام أحمد: كذاب، يروي عن زيد بن علي عن آبائه أحاديث موضوعة، يكذب، كما في تهذيب الكمال للمزي (٢١/ ٦٠٥).

[1] روى ابن بطة في الإبانة (رقم ٥٨، ٦١) سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحي ثعلبا يقول: في قوله تعالى ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرا بالأبصار".

وقال الآجري في الشريعة (٢/٩٧٦): واعلم رحمك الله أن عند أهل العلم باللغة أن اللقى هاهنا لا يكون إلا معاينة، يراهم الله تعالى ويرونه، ويسلم عليهم، ويكلمهم ويكلمونه".

وقال ابن فورك في تفسيره (٢/١١٣): قوله السلامة لكم من جميع الآفات، والفوز بنعيم الثواب، وذلك رد على المعتزلة؛ لأن اللقاء المطلق على الحي السليم الذي لا آفة به لا يعقل منه غير الرؤية".

وقال البيهقي في الاعتقاد (ص ١٢٣): واللقاء إذا أطلق على الحي السليم لم يكن إلا رؤية العين، وأهل هذه التحية لا آفة بهم".

وأما حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام قال ملك الموت لم يأت إنسانا إلا سلم عليه" فرواه ابن عدي في الكامل (٥/٤١٨) من طريق أبي رجاء عبد الله بن واقد الخراساني عن محمد بن مالك عن البراء به.

وقال ابن عدي في عبد الله بن واقد: هو مظلم الحديث ولم أر للمتقدمين فيه كلاما فأذكره".

قلت: وقد روي عنه موقوفا على البراء، رواه ابن أبي شيبة (رقم ٣٤٧٦٧) عن إسحاق بن منصور، والدينوري في المجالسة (رقم ٣٦٧) من طريق الربيع بن يحيى، والحاكم (رقم ٣٣٤٠) من طريق عبد الله بن يزيد القرشي كلهم عن أبي رجاء به موقوفا.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي فقال: عبد الله بن واقد قال ابن عدي مظلم الحديث ومحمد بن مالك قال ابن حبان لا يحتج به".

قال الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، فحجبهم عن رؤيته، ولا يَحجب عنها المؤمنين[1].

٦- سؤال:

فإن قال قائل: فما معنى قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾؟.

قيل له: يحتمل أن يكون: لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة، لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات، وأفضل اللذات يكون في أفضل الدارين[2].

---

[1] روى البيهقي في مناقب الشافعي (١/٤١٩) من طريقين عن الشافعي في قول الله جل ذكره ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾:" لما حجب الله قوما بالسخط، دلّ على أن قوما يرونه بالرضا ".

وروى البيهقي في مناقب الشافعي (١/٤٢٠) من طريق المزني عن الشافعي قوله في الآية السابقة، ثم قال: فقال أبو النجم القزويني: يا أبا إبراهيم، به تقول؟ قال: نعم، وبه أدين الله عز وجل. قال: فقام إليه عصام وقبل رأسه، وقال: يا سيد الشافعيين، اليوم بيضت وجوهنا ".

[2] قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية (ص ٧٨): وأما قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يعني في الدنيا دون الآخرة، وذلك أن اليهود قالوا لموسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ﴾، فماتوا وعوقبوا لقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ وقد سألت مشركو قريش النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالوا:ا﴿أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾، فلما سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- هذه المسألة قال الله تعالى: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ﴾ حين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ﴾ الآية، فأنزل الله سبحانه يخبر أنه ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، أي أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة، فقال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يعني في الدنيا، أما في الأخرة فإنهم يرونه. فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة".

وقال الدرامي في النقض على المريسي (١/٣٦٣، ٣٦٥ تحقيق الألمعي):" وأما إدخالك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما حقق من رؤية الرب يوم القيامة قوله ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ فإنما يدخل على من عليه نزل، وقد عرف ما أراد الله به وعقل فأوضحه تفسيرا، وعبره تعبيرا ففسر الأمرين جميعا تفسيرا شافيا كافيا، سأله أبو ذر: هل رأيت ربك -يعني في الدنيا-؟ فقال: "نور أنى أراه؟ "، فهذا معنى قوله: ﴿لَّا

ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، وذلك أن الكتاب يُصدِّق بعضه بعضا، فلما قال في آية: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، علمنا أنه إنما أراد أبصار الكفار لا تدركه[1].

تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ في الحياة الدنيا، فحين سئل عن رؤيته في المعاد قال:"نعم، جهرة كما ترى الشمس والقمر ليلة البدر"، ففسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المعنيين على خلاف ما ادعيت".

وجاء في تاريخ ابن معين (٣٧/٢ رواية ابن محرز): سمعت يحي بن معين وسأله رجل فقال: يا أبا زكريا ما تقول: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال يحيى بن معين: نعم نراه، فقال الرجل: أليس يقول الله ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؟ فقال يحي بن معين: ذاك في الدنيا، وأما في الآخرة فسيرى".

وروى الترمذي (رقم ٣٢٧٩) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٣٧) وابن خزيمة في التوحيد (٤٨١/٢) من طرق عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾:" ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره". وحسنه الترمذي.

[1] ذكر المؤلف هنا وجهين في تفسير الآية، وذلك للجمع بين النفي في هذه الآية، والإثبات في الآيات والأحاديث الأخرى، والجمع بين ما يتوهم التعارض فيه من نصوص الكتاب والسنة واجب، وذلك للعمل بجميعها، وهو أولى من النسخ والتساقط كما هو معروف في علم أصول الفقه.

وفي الآية وجه ثالث: وهو أن الإدراك غير الرؤية، لأن الإدراك يعني الإحاطة، وذلك مستحيل في الدنيا والآخرة، وأما الرؤية فلا تستلزم الإحاطة.

روى ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٣٤) من طريق أسباط بن نصر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال: ولقد رآه نزلة أخرى، قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل، فقال له رجل: أليس قد قال ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾؟ فقال له عكرمة: أليس ترى السماء؟ قال: بلى. قال: فكلها ترى؟". وأسباط ضعيف الحفظ، وفي سماك عن عكرمة مقال .

وروى الطبري في تفسيره (رقم ١٣٦٩٥) عن بشر بن آدم عن يزيد بن هارون عن سعيدبن أبي عروبة عن قتادة قوله ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ وهو أعظم من أن تدركه الأبصار"، وسنده صحيح.



٧- مسألة والجواب عليها

فإن قال قائل: قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار، فقال: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ النساء ١٥٣[1].

فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى عليه الصلاة والسلام، وترك الإيمان به حتى يروا الله، لأنهم قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ البقرة ٥٥.

فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه؛ استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا،

ثم قال الطبري في بيان هذا المعنى: قالوا: فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه، ويدركه ولا يراه، فكان معلوما بذلك أن قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ من معنى: لا تراه الأبصار بمعزل، وأن معنى ذلك: لا تحيط به الأبصار، لأن الإحاطة به غير جائزة.

قالوا: فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم، ولا تدركه أبصارهم، بمعنى: أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئا يحيط به".

وهو اختيار أبي إسحاق الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/٢٧٨).

[1] هذا قول المعتزلة، كما في الرسائل للجاحظ (٤/١٠-١١): قد رأينا الله استعظم الرؤية استعظاماً شديداً، وغضب على من طلب ذلك وأراده، ثم عذب عليه، وعجب عباده ممن سأله ذلك، وحذرهم أن يسلكوا سبيل الماضين، فقال في كتابه لنبيه صلى الله عليه وسلم: " يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة ".

فإن كان الله تعالى -في الحقيقة- يجوز أن يكون مرئياً، وببعض الحواس مدركاً، وكان ذلك عليه جائزاً، فالقوم إنما سألوا أمراً ممكناً، وقد طمعوا في مطمع، فلم غضب هذا الغضب، واستعظم سؤالهم هذا الاستعظام، وضرب به هذا المثل، وجعله غاية في الجرأة، وفي الاستخفاف بالربوبية".

ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى ينزل عليهم من السماء كتابا[1].

---

[1] وللدارمي جواب آخر، خلاصته: أن سؤال قوم موسى كانت في الرؤية في الدنيا، وهي محظورة على الناس، وسؤال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم كانت في الرؤية في الآخرة وهي جائزة، فاختلف الحال.
قال في النقض على المريسي (١/٣٦٥-٣٦٨): وأما أغلوطتك التي غالطت بها جهال أصحابك في رؤية الله تعالى يوم القيامة، فقلت: ألا ترى أن قوم موسى حين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أخذتهم الصاعقة، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فأخذتهم الصاعقة، وقالوا: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ فادعيت أن الله أنكر عليهم ذلك وعابهم بسؤالهم الرؤية.
فيقال لهذا، المريسي: تقرأ كتاب الله وقلبك غافل عما يتلى عليك؟ ألا ترى أن أصحاب موسى سألوا موسى رؤية الله في الدنيا إلحافا، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؟ ولو يقولوا: حتى نرى الله في الآخرة ولكن في الدنيا.

وقد سبق من القول بأنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ أبصار أهل الدنيا فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم عما حظره الله على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمد صلى الله عليه وسلم، لم تصبهم تلك الصاعقة، ولم يقل لهم إلا ما قال محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "نعم، لا تضارون في رؤيته" فلم يعبهم الله ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم بها بشرى جميلة، كما رويت أيها المريسي عنه.

وقد بشرهم الله تعالى بها قبله في كتابه، فقال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقال للكفار ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقوم موسى سألو نبيهم ما قد حظره الله على أهل الدنيا بقوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، وسأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نبيهم ما أخبر الله أنه سيعطيهم ويثيبهم به فصعق قوم موسى بسؤالهم ما لا يكون، وسلم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بسؤالهم ما يكون، ومتى عاب الله على قوم موسى سؤال الرؤية في الآخرة، فتفتري بذلك عليهم؟ تكذب على الله وعلى رسوله، والله لا يحب الكاذبين".

٨- دليل آخر:

ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار. ما روته الجماعات من الجهات المختلفات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته"[١].

---

[١] رواه البخاري (رقم ٥٥٤) ومسلم (رقم ٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله البجلي.

وجاء من حديث أبي هريرة عند البخاري (رقم ٦٥٧٣) ومسلم (رقم ١٨٢)، وأبي سعيد الخدري عند البخاري (رقم ٤٥٨١) ومسلم (رقم ١٨٣)، وأبي موسى الأشعري عند البخاري (رقم ٤٨٧٨) ومسلم (رقم ١٨٠)، و جابر بن عبد الله عند مسلم (رقم ١٩١)، وصهيب عند مسلم (رقم ١٨١) وغيرهم، وقد ألف الدارقطني كتابه (رؤية الله) وجمع بين الأحاديث الورادة في الرؤية، على اختلاف ألفاظها، فليراجع من شاء الوقوف عليها.

قال ابن كثير في تفسيره (٨/٢٨٠ تحقيق السلامة): قد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها .... ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير، وبالله التوفيق، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام. وهداة الأنام".

وقال النووي في شرح مسلم (٣/١٥): تظاهرت أدلة الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة، على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآيات القرآن فيها مشهورة".

كذا قال النووي " نحو من عشرين صحابيا"، وقال غيره " نحوا من ثلاثين صحابيا"، ذكر ذلك ابن القيم الجوزية في حادي الأرواح، في الباب الخمس والستين (ص ٢٩٦ وما بعدها) فسرد أحاديث سبع وعشرين صحابيا بأسانيدها وألفاظها.

وذكر الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر (ص ٢٣٩) عن ثمانية وعشرين صحابيا، وهم: (١) ابن مسعود (٢) وابن عمر (٣) وابن عباس (٤) وصهيب (٥) وأنس (٦) وأبو موسى الأشعري (٧) وأبو هريرة (٨) وأبو سعيد الخدري (٩) وعمار بن ياسر (١٠) وجابر بن عبد الله (١١) ومعاذ بن جبل (١٢) وثوبان (١٣) وعمارة ابن رويبة الثقفي (١٤) وحذيفة (١٥) وأبو بكر الصديق (١٦) وزيد بن ثابت (١٧) وجرير ابن عبد الله اليمني (١٨) وأبو أمامة الباهلي (١٩) وبريدة الأسلمي (٢٠) وأبو برزة (٢١) وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، (٢٢) وأبو رزين العقيلي (٢٣) وعبادة بن الصامت (٢٤) وكعب

والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلت برؤية العيان، لم يكن معناها إلا رؤية العيان.

ورويت الرؤية عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من طرق مختلفة، عديدة، رواتها أكثر من عدة خبر الرجم، ومن عدة من روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:" لا وصية لوارث"[1]، ومن عدة رواة المسح على الخفين، ومن عدة رواة قول

بن عجرة (٢٥) وفضالة ابن عبيد (٢٦) وأبي بن كعب (٢٧) وعبد الله بن عمرو (٢٨) وعائشة بنت أبي بكر رضوان الله عليهم جميعا.

وبالمقارنة بين ما ذكره ابن القيم والكتاني يتبين ما يلي:

أولا: اتفقا على ثلاثة وعشرين صحابيا.

ثانيا: انفرد ابن القيم بأربعة، وهم: علي بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، وعدي بن حاتم الطائي، ورجل من الصحابة، وليس ذلك عند الكتاني.

ثالثا: انفرد الكتاني بخمسة، وهم: معاذ بن جبل، وأبو برزة، وعبادة بن الصامت، وثوبان، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وليس ذلك عند ابن القيم.

فتحصَّل من ذلك أنه رواه اثنان وثلاثون صحابيا والله أعلم.

[1] رواه أبو داود (رقم ٢٧٨٠، ٣٥٦٥) والترمذي (رقم ٢١٢٠) وابن ماجه (رقم ٢٧١٣) وأحمد(رقم ٢٢٩٤) وابن الجارود (رقم ٩٤٩) عن أبي أمامة الباهلي.

ورواه الترمذي (رقم ٢١٢١) وابن ماجه (رقم ٢٧١٢) وغيرهما عن عمرو بن خارجة.

ورواه إسحاق في مسنده (رقم ٢٢٨٧) عن أسماء بنت يزيد.

ورواه أبو داود (رقم ٥١١٥) وابن ماجه (رقم ٢٧١٤) عن أنس بن مالك.

ورواه الدارقطني (رقم ٤١٥٠، ٤١٥٣، ٤١٥٥) وأبو داود في المراسيل (رقم ٣٤٩) عن ابن عباس.

ورواه الدارقطني (رقم ٤١٥٢) والبيهقي في الكبرى (رقم ١٢٥٦٣) والخطيب في الموضح (١٧٨/٢) عن علي بن أبي طالب.

ورواه الدارقطني (رقم ٤١٥١) عن جابر بن عبد الله.

ورواه الدارقطني (رقم ٤١٥٤) عن ابن عمرو.

ورواه ابن الأعرابي في معجمه (رقم ١٦٤٣) والطبراني في الكبير (رقم ٥٠٥٧) وابن عدي في الكامل (٦٨/٨) عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم.

فهؤلاء تسعة من الصحابة، وفي أسانيدهم ضعف غالبا، وقد روي مرسلا من عدة طرق، ولهذا قال بعض العلماء بأنه متواتر، فلا حاجة للبحث في أسانيده.




قال الشافعي في الرسالة (ص ١٣٩): ووجدنا أهل الفتيا ومن حفظنا عنه من أهل العلم بالمغازي من قريش وغيرهم، لا يختلفون في أن النبي قال عام الفتح "لا وصية لوارث"، ولا يقتل مؤمن كافر، ويأثرونه عن من حفظوا عنه، ممن لقوا من أهل العلم بالمغازي، فكان هذا نقل عامة عن عامة، وكان أقوى في بعض الأمر من نقل واحد عن واحد ،وكذلك وجدنا أهل العلم عليه مجتمعين".

وقال الحافظ في الفتح (٣٧٢/٥): وقد نازع الفخر في كون هذا الحديث متواترا"، وتعقبه العلامة أحمد شاكر في تحقيق الرسالة للشافعي فقال:" ومنازعة الفخر ليست مبنية إلا على الاحتمالات العقلية، ولم يحقق المسئلة على قواعد الفن الصحيحة".

وقال ابن حزم في المحلى (٣٥٦/٨): لأن الكَوافَّ نقلت: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال:" لا وصية لوارث".

رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها"[1]، وإذا كان الرجم وما ذكرناه سنة عند المعتزلة، كانت الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة رواتها ونقلتها، يرويها خلف عن سلف[2].

---

[1] رواه البخاري (رقم ٥١٠٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ورواه البخاري (رقم ٥١١٠) ومسلم (رقم ١٤٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه أحمد (رقم ٥٧٧) والبزار (رقم ٨٨٨) والمروزي في السنة (رقم ٢٨٣) وأبو يعلى (رقم ٣٦٠) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ورواه الترمذي (رقم ١١٢٥) وأحمد (رقم ٣٥٣٠) والمروزي في السنة (رقم ٢٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه أحمد (رقم ٦٦٨١، ٦٧٧٠، ٦٩٣٣) والفاكهي في أخبار مكة (رقم ٥١٨) والمروزي في السنة(رقم ٢٨٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٤٣/١ ط. المعلمي) والبزار (رقم ٤٥٦٧) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجه (رقم ١٩٣٠) وابن أبي شيبة (رقم ١٦٧٦١) والطحاوي في مشكل الآثار (رقم ٥٩٦٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجه (رقم ١٩٣١) وأبو يعلى (رقم ٧٢٢٥) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ورواه الترمذي في العلل الكبير (رقم ٢٧٦) والبزار (رقم ٦٠٢٣) وبحشل في تاريخ واسط (ص ١٦٥) والمروزي في السنة (رقم ٢٧٩، ٢٨٤) والروياني (رقم ١٣٩٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه البزار (رقم ١٤٦٢) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ورواه المروزي في السنة (رقم ٢٨٢) وأبو يعلى (رقم ٤٧٥٧) عن عائشة رضي الله عنها.

فهؤلاء أحد عشر صحابيا رروا هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكان متواترا.

[2] دعوى المؤلف أن رواة الرؤية أكثر من رواة الرجم، والمسح على الخفين غير صحيحة.

أما الرجم: فقد جاء عن تسعة وأربعين راويا، وفي الصحيحين أو أحدهما سبعة عشر حديثا منها.

وأما المسح على الخفين: فقد ذكر الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر (ص ٦٠–٦١ فقرة ٣٢) رواية ستة وستين راويا، وأوصلها أبو القاسم ابن منده ثمانين راويا، وذكر الحافظ ابن حجر أن بعض الحفاظ جمع رواته فجاوزوا الثمانين، هذا كله في نظم المتناثر للكتاني.

وحديث:" أني أراه"، لا حجة فيه، لأنه إنما سأل سائل النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية الله عز وجل في الدنيا وقال له: هل رأيت ربك؟ فقال:" نور أنى أراه"[(١)]؛ لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها، لأن الإنسان لو حدق بنظره إلى عين الشمس، فأدام النظر إلى عينها، لذهب أكثر نور بصره، فإذا كان الله عز وجل حكم في الدنيا، بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس، فأحرى ألا يثبت البصر للنظر إلى الله عز وجل في الدنيا، إلا أن يقويها الله عز وجل.

فرؤية الله سبحانه في الدنيا قد اختلف فيها[(٢)]، وقد روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل تراه العيون في الآخرة، وما روي عن أحد منهم أن الله عز وجل لا تراه العيون في الآخرة.

وقد تقدم أن رواة حديث الرؤية اثنان وثلاثون راويا، لكن ذلك لا يضرُّ تواتر أحاديث الرؤية كما تقدم، وإنما ذلك لبيان أنها ليست أكثر من رواة المسح على الخفين والرجم.

(١) رواه مسلم (رقم ١٧٨) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال:" نور أنى أراه".

قال الدارمي في الرد على الجهمية (ص ١٢١): وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فقوله:" لا تضامون في رؤيته، كما لا تضامون في رؤية الشمس والقمر في الصحو"، ثم ما روينا عن هذه الجماعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعين، فهل عندكم ما رد ذلك من كتاب أو سنة أو إجماع من الأمة؟ فاحتج بحديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم:" نور، أنى أراه؟"، فقلت: هذا في الدنيا، وكلاهما قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفسيرهما بين في الحديثين جميعا".

(٢) يشير المؤلف إلى رؤية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ربه، وقد صح عن عائشة نفي ذلك، وعن ابن عباس إثباته.

فروى مسلم (رقم ١٧٧) من طريق عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة ، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه، فقد أعظم على الله الفرية ..." الحديث.

وروى الترمذي (رقم ٣٢٧٩) من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه مرتين" وحسنه الترمذي.

فلما كانوا على هذا مجمعين وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته في الدنيا مختلفين، ثبتت الرؤية في الآخرة إجماعا، وإن كانت في الدنيا مختلفا فيها، ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة.

على أن هذه الرواية على المعتزلة لا لهم، لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة. فإذا احتجوا بخبر هم له تاركون، وعنه منحرفون، كانوا محجوجين.

٩- دليل آخر:

ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار، أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله عز وجل، وإنما لا يجوز أن يرى المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجودا مثبتا، كان غير مستحيل أن يُرِيَنا نفسه عز وجل، وإنما أراد مَن نَفَى رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيل، فلما لم يمكنهم أن يُظهروا التعطيل صراحا، أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٠- دليل آخر:

ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار: أن الله عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائياً، فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسَه، وإذا كان لنفسه رائيا فجائز أن يُرِينا نفسه، وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئا، فلما كان الله عز وجل عالما بالأشياء كان عالما بنفسه، فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء، فلما كان الله عز وجل رائيا للأشياء كان رائيا لنفسه، وإذا كان رائيا لها، فجائز أن يرينا

ويجمع بينهما بأن نفي عائشة في رؤية البصر، وإثبات ابن عباس في رؤية القلب، لما روى مسلم (رقم ١٧٦) عن ابن عباس أنه قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين". قال الحافظ في الفتح (٦٠٨/٨): يمكن الجمع بين إثبات بن عباس ونفي عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب".

نفسه، كما أنه لما كان عالما بنفسه جاز أن يعلمناها، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ طه ٤٦، فأخبر أنه سمع كلامهما ورآهما.

ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يُرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائيا، ولا عالما، ولا قادرا، لأن العالم القادر الرائي جائز أن يُرى.

١١- مسألة

فإن قال قائل: قول النبي صلى الله عليه وسلم:" ترون ربكم" يعني تعلمون ربكم اضطرارا.

قيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه هذا على سبيل البشارة، فقال:" فكيف بكم إذا رأيتم الله عز وجل"، ولا يجوز أن يبشرهم بأمر بشر كهم فيه الكفار، على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ترون ربكم" وليس يعني رؤية دون رؤية، بل ذلك عام في رؤية العين، ورؤية القلب.

١٢- دليل آخر:

إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة:" فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[1]، من العيش السليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار، وأكثرُ من عَبَدَ الله عز وجل عبده للنظر إلى وجهه، فإذا لم يكن بعد رؤية الله أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم، وكانت رؤية نبي الله صلى الله عليه وسلم أفضل لذات الجنة، كانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] رواه البخاري (رقم ٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨) ومسلم (رقم ٢٨٢٤) عن أبي هريرة.
ورواه مسلم (رقم ١٨٩) عن المغيرة بن شعبة مرفوعا.
ورواه مسلم (رقم ٢٨٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي.

وإذا كان ذلك كذلك، لم يُحرم الله أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين والصديقين، النظر إلى وجهه عز وجل، وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي، لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيها ولا انقلابا عن حقيقة، ولم يستحل على الله عز وجل أن يُرِيَ عباده المؤمنين نفسه في جنّاته.

١٣- باب في الرؤية:

احتجت المعتزلة في أن الله عز وجل لا يُرى بالأبصار بقوله عز وجل: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ الأنعام ١٠٣.

وقالوا: فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ على قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ وكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة، وأنه يراها في الدنيا والآخرة، كان قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ دليلا على أنها لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في عموم قوله: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾، لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر[١].

---

[١] ذكر ذلك الجاحظ فقال في الرسائل (٤/٨): وقال أصحاب الرؤية: اعتللتم علينا بقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾، وقلتم: هذه الآية مبهمة، وخرجت مخرج العموم، والعام غير الخاص.

وقد صدقتم، كذلك العام إلى أن يخصه الله بآية أخرى؛ وذلك أن الله تعالى لو كان قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ ثم لم يقل: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ لعلمنا أنه قد استثنى أخرة من جميع الأبصار.

قالوا: وإنما ذلك مثل قوله: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ ومثل قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ وهذه الأخبار مبهمة عامة، فلما قال:﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾، ولما قال أيضاً: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

قيل لهم: فيجب إذا كان عموم القولين واحدا، وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب، لأن الله عز وجل قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ الحج ٤٦، وقال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ص ٤٥، أي فهي بالأبصار، فأراد أبصار القلوب، وهي التي يفضل بها المؤمنون الكافرين.

ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصناعته، يريدون بصر العلم، ويقولون: قد أبصرته بقلبي، كما يقولون قد أبصرته بعيني، فإذا كان البصر بصر العيون، وبصر القلوب، ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، وجب عليهم بحجتهم أن الله عز وجل لا يُدرك بأبصار العيون، ولا بأبصار القلوب، لأن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ وإذا لم يكن عندهم هكذا، فقد وجب أن يكون قوله: ا﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أخص من قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، وانتقض احتجاجهم.

وقيل لهم: إنكم زعمتم أنه لو كان قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ خاصا في وقت دون وقت، لكان قوله: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ خاصا في وقت دون وقت، وكان قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى ١١، وقوله: ا﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ البقرة ٢٥٥، وقوله: ﴿لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ يونس ٤٤، في وقت دون وقت.

فإن جعلتم قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ خاصا رجع احتجاجكم عليكم.

بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، علمنا أن القول الثاني قد خص القول الأول، وكذلك أيضاً قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ .... الخ".

وقيل لكم: إذا كان قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ خاصا، ولم يجب خصوص هذه الآيات، فما أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ إنما أراد في الدنيا دون الآخرة، كما أن قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

فإن قالوا: قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يوجب أنه لا يُدرك بها في الدنيا والآخرة، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا، ونبصره بها، ولا ندركه بها.

قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون لا ندركه بأبصار العيون، ولا يوجب إذا لم ندركه بها، ألا نراه، فرؤيتنا له بالعيون، وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها، كما أن إبصارنا له بالقلوب، ورؤيتنا له بها، ليس بإدراك له[1].

فإن قالوا: رؤية البصر هي إدراك البصر.

قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن رؤية القلب وإبصاره، هي إدراكه وإحاطته، فإذا كان علم القلب بالله عز وجل، وإبصار القلب له رؤيته إياه، ليس بإحاطة ولا إدراك، فما أنكرتم أن تكون رؤية العيون، وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك.

١٤ – جواب:

ويقال لهم: إذا كان قول الله عز وجل: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ في العموم كقوله: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، فخبِّرونا: أليست الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسا ولا ذوقا، ولا على وجه من الوجوه؟.

فإن قالوا: نعم.

---

[1] هذا الاعتراض مبني على التفريق بين الرؤية والإدراك، وقد قدمنافي تفسير الآية أن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، ولا يلزم من الرؤية الإدراك، وهو اختيار الطبري وغيره.

فيقال لهم: أخبرونا عن قوله عز وجل:﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمسا وذوقا بأن يلمسها؟.

فإن قالوا: لا.

فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إن قوله:﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ في العموم كقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾.

١٥- سؤال:

إن قال قائل منهم: إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب.

قيل له: ولم زعمت هذا، وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصرا، كما سموا بصر العين بصرا؟ وإن جاز لك ما قلته، جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم يجز هذا، فقد وجب أن البصر بصر العين، وبصر القلب.

١٦- جواب:

ويقال لهم: حدثونا عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ ما معناه؟!

فإن قالوا: معنى ﴿يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ أنه يعلمها.

قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفا على الآخر، وكان قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ معناه يعلمها، فقد وجب أن يكون قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ لا تعلمه، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار.

فإن قالوا: معنى قوله ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ أنه يراها رؤية ليس معناها العلم.

قيل لهم: فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى؟.

فإن قالوا: نعم، نقضوا قولهم: إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما ترى الساعة. فإن جاز أن يُرى الله، وكل ما ليس من جنس المرئيات، وهو الإبصار التي في العين، فلم لايجوز أن يرى نفسه، وإن لم يكن من جنس المرئيات؟، ولم لا يجوز أن يرينا نفسه، وإن لم يكن من جنس المرئيات؟.

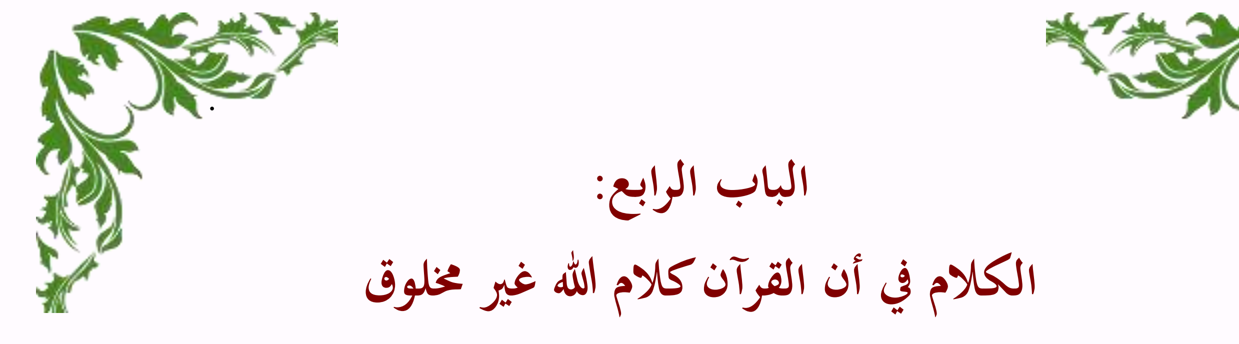
ويقال لهم: حدثونا، إذا رأينا شيئا فبصرنا يراه[1]، وإنما يراه الرائي دون البصر؟.

فإن قالوا: إنه محال أن يرى البصر الذي في العين.

فيقال لهم: الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يبصره المبصرون، وإنما قال الله عز وجل: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾، فهذا لا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية.

---

[1] في أكثر النسخ (فبصرناه) وما هنا من نسخة د. فوقية، وهو أوضح في المعنى فاخترناه.



الباب الرابع:

الكلام في أن القرآن كلام الله غير مخلوق

إن سأل سائل: عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قيل له: الدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾، وأمر الله هو كلامه وقوله، فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا تهويان، كان قيامهما بأمره.

وقال عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، فالخلق: جميع ما خلق داخل فيه، لأن الكلام إذا كان لفظه لفظا عاما فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ كان هذا في جميع الخلق. ولما قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ ذكر أمرا غير جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾.

قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فيما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يُدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكال وإن كانا من الملائكة، ثم ذكرهما بعد ذلك، كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكال، ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال: وجبريل وميكال.





ولما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾، ولم يخص قول: ﴿ٱلۡخَلۡقُ﴾ دليل كان قوله ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾ في جميع الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾، فأبان الأمر من الخلق[١]، وأمر الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق.

وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾ يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك[٢]، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق.

١٨- دليل آخر:

ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق، قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فلو كان القرآن مخلوقا لوجب أن يكون مقولا له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، ولو كان الله عز وجل قائلا للقول ﴿كُن﴾ كان للقول قولا، وهذا يوجب أحد أمرين:

إما أن يؤول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق.

---

[١] ذكر البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٤٥) عن ابن عيينة أنه قال:" قد بين الله الخلق من الأمر بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾، فالخلق بأمره".

وقال الإمام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية (ص ١٠٦-١٠٧ تحقيق صبري شاهين): قد فصل الله بين قوله وبين خلقه، ولم يسمه قولا، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾، فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾ لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق، فقال: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾. فأمره هو قوله، تبارك رب العالمين أن يكون قوله خلقا.

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ ثم قال القرآن: ﴿أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾ وقال: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾، يقول: لله القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق، فالله يخلق ويأمر وقوله غير خلقه.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ ".

[٢] هذا المعنى مذكور في الحيدة المنسوبة لعبد العزيز بن يحيى الكناني (ت ٢٤٠هـ) والرد على الجهمية لأحمد بن حنبل (ص ١٠٧) واحتج بها البخاري على هذا المعنى في خلق أفعال العباد (ص ٤٥).

أو يكون كل قولٍ واقعٍ بقول لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولا غير مخلوق.

١٩- سؤال:

فإن قال قائل: معنى قول الله ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ إنما بكونه فيكون.

قيل: الظاهر أن يقول له، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها كوني هو الأشياء، لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلام الله عز وجل، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية، لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه، فلما استحال ذلك صح أن قول الله للأشياء (كوني) غيرها، وإذا كان غير المخلوقات، فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون مخلوقا. ويلزم من أثبت كلام الله مخلوقا، أن يثبت أن الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقا، وأن يكون الله غير عالم، فلما كان الله عز وجل لم يزل عالما، لم يجز أن يكون بخلاف العلم موصوفا، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا، لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام هو سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم هو جهل، أو شك، أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم، ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما.

٢٠- دليل آخر:

وقال الله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾، فلو كانت البحار مدادا للكتبة، لنفدت البحار، وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كما لا يلحق الفناء علم الله عز وجل، ومن فني كلامه، لحقته الآفات، وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا عز وجل صح أنه لم يزل

متكلما، لأنه لو لم يكن متلكما، وجب عليه السكوت والآفات، تعالى ربنا عن قول الجهمية علوا كبيرا[١].

٢١- فصل:

وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى؛ لأن النصارى زعمت أن كلمة الله حواها بطن مريم، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حلَّ في شجرة، وكانت الشجرة حاوية له، فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقا من المخلوقين كلَّم موسى، وأن الشجرة قالت: يا موسى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾، فلو كان كلام الله مخلوقا في شجرة، لكان المخلوق قال: يا موسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾، وكلام الله عز وجل

---

[١] قال الدرامي في الرد على الجهمية (ص ١٥٦ تحقيق البدر): قال الله عز وجل: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾، وصدق وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو جمع مياه بحور السموات والأرض وعيونها، وقطعت أشجارها أقلاما لنفدت المياه وانكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات الله، لأن المياه والأشجار مخلوقة، وقد كتب الله عليها الفناء عند انتهاء مدتها، والله حي لا يموت، ولا يفنى كلامه، ولا يزال متكلما بعد الخلق، كما لم يزل متكلما قبلهم، فلا ينفد المخلوق الفاني كلام الخالق الباقي، الذي لا انقطاع له في الدنيا والآخرة، ولو كان على ما يذهب إليه هؤلاء الجهمية أنه كلام مخلوق أضيف إلى الله، وأن الله عز وجل لم يتكلم بشيء قط، ولا يتكلم بشيء قط، ولن يتكلم لنفد كل مخلوق من الكلام قبل أن ينفد ماء بحر واحد من البحور، لأنه لو جمع كلام خلق الله كلهم من الجن والإنس والملائكة والطير والبهائم كلها، وجميع أعمالهم، وكتب بماء بحر واحد من البحور، لكتب كل ذلك ونفد قبل أن ينفد ماء بحر واحد، ولا عشر بحر واحد، ولكنه كلام لا انقطاع له، فلا ينفد ما لا يفنى، وينقطع ما يبقى". وانظر " التوحيد" لابن خزيمة (١/٣٩٤ تحقيق عبد العزيز الشهوان).

من الله، لا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقا في شجرة مخلوقة، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقا في غيره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[1].

٢٢- جواب:

ويقال لهم: كما لا يجوز أن يخلق الله عز وجل إرادته في بعض المخلوقات، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات، لكان ذلك المخلوق هو المريد لها، وذلك يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله عز وجل كلاما للمخلوق.

٢٣- دليل آخر:

ومما يبطل قولهم أن الله عز وجل قال مخبرا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾، يعني القرآن. فمن زعم أن القرآن مخلوق، فقد جعله قولا للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين[2].

---

[1] قال الدارمي في النقض على المريسي (١/٥٤٦-٥٤٧ تحقيق الألمعي): الكلام لا يقوم بنفسه شيئا يرى ويحس إلا بلسان متكلم به، فالكلام من الخالق والمخلوق صفتهما، فالخالق بجميع صفاته غير مخلوق، والمخلوق بجميع صفاته مخلوق، ولا شك فيه.

فلينظر هذا الشاك في القرآن، فإن كلام الله المتكلم به عنده فلا يشكن أن الله لم يتكلم بمخلوق من الكلام، ولم يضطر إلى شيء مخلوق قط من الكلام وغيره، ولم يكن له به حاجة.

وإن ابتدعه مخلوق وأضافه إلى الله تعالى، فلا يشكن هذا الشاك في صفات المخلوقين وكلامهم أنها مخلوقة كلها، وأن مبتدعها والمتكلم بها من المخلوقين كافر إذ يقول: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾، و ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ قائل هذا القول غير الله كافر، مثل فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، و ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾".

[2] قال الدارمي في النقض على المريسي (١/٥٢٧- ٥٢٩ تحقيق الألمعي): هذه كلمة كفر تكلم بها بدءا كفار قريش، منهم الوحيد: الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ ومنهم النضر

وأيضا فلو لم يكن الله متكلما حتى خلق الخلق، ثم تكلم بعد ذلك، لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره، ولا عن قوله، ولم يكن قائلا لها (كوني)، وهذا رد للقرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

٢٤- فصل:

واعلموا -رحمكم الله- أن قول الجهمية: إن كلام الله مخلوق، يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم لو كان لم يزل غير متكلم، لأن الله عز وجل يخبر عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه لما قالوا له: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾، فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة،

بن الحارث فقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ كما قال جهم والمريسي أنه مخلوق؛ لأن قول البشر مخلوق لا شك فيه.

وكذلك قالت طائفة منهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كما قال جهم والمريسي سواء لا فرق بينهما في اللفظ والمعنى: إن هذا إلا مخلوق، فأنكر عليهم قولهم: فقال للوحيد: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ لما قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ وقال للذي قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ولن يفعلوا".

وقال في الرد على الجهمية (ص ١٨٤ تحقيق البدر): باب الاحتجاج للقرآن أنه غير مخلوق

قال أبو سعيد رحمه الله: فمن ذلك ما أخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر، وإمامهم الأكفر، الذي ادعى أولا أنه مخلوق، وهو الوحيد، واسمه الوليد بن المغيرة، فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه، ثم أنكر عليه دعواه، وردها عليه، ووعده النار إن ادعى أن قول الله قول البشر.

وقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ وقول هؤلاء الجهمية: هو مخلوق، واحد لا فرق بينهما، فبئس التابع، وبئس المتبوع قال الله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ يعني أنه ليس بقول البشر كما ادعى الوليد، ولكنه قول الله عز وجل" وانظر فيه أيضا (ص ١٩٣، ١٩٨، ٢١٢).

وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله ويُنطقها لاتكون آلهة، فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمه إلها، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه في قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق، فقد وجب أن يكون الله لم يزل متكلما[١].

٢٥- دليل آخر:

وقد قال الله تعالى مخبرا عن نفسه أنه يقول ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول فلا يرد عليه أحد شيئا فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[٢]، فإذا كان

---

[١] قال الدارمي في الرد على الجهمية (ص ١٥٦ تحقيق البدر): وقال لقوم موسى حين اتخذوا العجل ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ وقال: ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾.

قال أبو سعيد: ففي كل ما ذكرنا تحقيق كلام الله وتثبيته نصا بلا تأويل، ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام بيان بين أن الله عز وجل غير عاجز عنه، وأنه متكلم وقائل، لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود به.

وقال إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ الآية إلى قوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فلم يعب إبراهيم أصنامهم وآلهتهم التي يعبدون بالعجز عن الكلام إلا وأن إلهه متكلم قائل".

[٢] قوله: (وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول فلا يرد عليه أحد شيئا) يشير إلى ما ورد من عدة طرق ضعيفة عن أبي هريرة وأنس بن مالك.

لم أقف عليه منصوصا من وجه ثابت، لكن المعنى صحيح، لأنه لم يذكر جوابا، والموقف من أهوال القيامة، فلو كان هناك جواب من أحد من الخلق لذكر، ولما لم يذكر من وجه معتبر دل ذلك على عدمه والله أعلم.

وقد روى ابن أبي داود في البعث (رقم ١٩) عن الحسن بن يحيى بن كثيرالعنبري عن أبيه عن سليم بن أخضر عن التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري به مرفوعا.

وسنده حسن، رجاله ثقات غير الحسن بن يحيى بن كثير العنبري، قال فيه النسائي: لا بأس به، كما في تقريب التهذيب.

وروى الدارمي في الرد على الجهمية (رقم ١٤٠) من طريق ابن المبارك، وابن أبي الدنيا في الأهوال (رقم ٢٧) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٢٢٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ١٨٤٢٧) واللالكائي في الاعتقاد




(رقم ٣٦٦) من طريق المعتمر بن سليمان كلاهما عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ينادي مناد بين يدي الساعة: أتتكم الساعة، حتى يسمعها كل حي وميت، قال: فينادي المنادي: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾" وسنده صحيح، لكنه موقوف.

ونحوه موقوفا عن ابن مسعود، رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال (رقم ١٤٦، ٢٦٠) من طريقين عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن ابن مسعود به، وسنده حسن.

ورواه النسائي في الكبرى (رقم ٧٦٤٠) من طريق عبد الرزاق عن ابن عيينة وفضيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله به رفعه، وسنده صحيح.

وليس في شيئ من ذلك التصريح بأنه لا يجيبه أحد، لكنه يفهم من عدم ذكره كما تقدم.

وروى إسحاق في مسنده (رقم ١٠) وأبو الشيخ في العظمة (رقم ٣٨٦) وابن أبي الدنيا في الأهوال (رقم ٥٥) والطبراني في الأحاديث الطوال (رقم ٣٦) – وهو حديث الصور– من طريق إسماعيل بن رافع عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة مرفوعا في حديث طويل، وفيه:" ثم هتف بصوته تبارك وتعالى وتقدس فقال: لمن الملك اليوم؟ ثم قال: لله الواحد القهار، ثم نادى ألا من كان لي شريكا فليأت، ألا من الذي كان لي شريكا؟ ألا من الذي كان لي شريكا فليأت؟ فلا يأتيه أحد" لفظ أبي الشيخ.

وسنده ضعيف، فيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف الحديث مضطربه، والراوي عن أبي هريرة مبهم لا يعرف، وكذا محمد بن زياد بن أبي زياد مجهول لا يدرى من هو.

وروى البيهقي في البعث والنشور (رقم ٢٣٩) عن أبي الحسن علي بن محمد المقرئ عن الحسن بن محمد بن إسحاق عن يوسف بن يعقوب عن محمد بن أبي بكر عن زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري عن أنس بن مالك رفعه وفيه:" ثم ينادي، أنا بدأت الخلق، ثم أعيده، فأين الجبارون المتكبرون؟ فلا يجيبه أحد، قال: ثم ينادي، ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فلا يجيبه أحد، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾".

وسنده ضعيف جدا، فيه زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري.

قال أبو حاتم في زائدة: يحدث عن زياد النميري عن أنس أحاديث مرفوعة منكرة، ولا ندري منه، أو من زياد".

وقال ابن حبان في زياد النميري:" منكر الحديث، يروي عن أنس أشياء لا تشبه حديث الثقات، لا يجوز الاحتجاج به".

عز وجل قائلا مع فناء الأشياء، إذ لا إنسان ولا ملك، ولا حي ولا جان، ولا شجر ولامدر، فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج عن الخلق، لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود[1].

٢٦- دليل آخر:

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالا في غيره، مخلوقا في شيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم[2].

---

(١) هذا دليل على أن أبا الحسن الأشعري يقول بأن كلام الله تعالى من الصفات الاختيارية التي ترجع لمشيئة الله سبحانه، وأنه يتكلم متى شاء، وكيف شاء، وأنه يتكلم بعد فناء الأشياء، وهذا ينفي ما تدعيه الكلابية، والأشعرية المتأخرة من أن كلام الله تعالى نفسي.

وقد ذكر معنى هذا الجواب الدارمي في الرد على الجهمية (ص ١٥٥ تحقيق البدر): فالله المتكلم أولا وآخرا، لم يزل له الكلام، إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عز وجل، وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام، وأنطق الأنام؟".

(٢) قال البيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٥/١): باب ما جاء في إثبات صفة التكليم ، والتكلم ، والقول سوى ما مضى قال الله جل ثناؤه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ فوصف نفسه بالتكليم ، ووكده بالتكرار، فقال ﴿تَكۡلِيمٗا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، وقال جل وعلا: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾، وذكر في غير آية من كتابه ما كلم به موسى عليه السلام ، فقال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، إلى قوله: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾، وقال: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فهذا كلام سمعه موسى عليه السلام بإسماع الحق إياه بلا ترجمان بينه وبينه ، دله بذلك على ربوبيته ، ودعاه إلى وحدانيته ، وأمره بعبادته

٢٧- دليل آخر:

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، فكيف يكون القرآن مخلوقا واسم الله في القرآن، هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة، ولو كانت أسماؤه مخلوقة، لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٢٨- دليل آخر:

وقد قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾، ولا يقال للمخلوق: تبارك، فدل على أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقا، فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة[١].

، وإقامة الصلاة لذكره ، وأخبره أنه اصطنعه لنفسه ، واصطفاه برسالاته وبكلامه ، وأنه مبعوث إلى الخلق بأمره".

[١] هذا الوجه والذي قبله وما في معناهما ن دعوى خلق أسماء الله تبارك وتعالى، فقد ذكرها الدارمي في النقض على المريسي (١/١٦٥- ١٦٦تحقيق الألمعي) فقال: هذا الذي ادعوا في أسماء الله أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محنهم، وأسسو بها ضلالتهم، غالطوا بها الأغمار والسفهاء، وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء، ولئن كان السفهاء في غلط من مذاهبهم، إن الفقهاء منهم لعلى يقين.

أرأيتم قولكم: إن أسماء الله مخلوقة فمن خلقها؟ أو كيف خلقها؟ أجعلها أجساما وصورا تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء؟ أم موضعا دونه في الهواء؟.

فإن قلتم: لها أجسام دونه، فهذا ما تنفيه عقول العقلاء.

وإن قلتم: خلقها على ألسنة العباد، فدعوه بها، وأعاروها إياه، فهو ما ادعينا عليكم: إن الله بزعمكم كان مجهولا لا اسم له حتى حدث الخلق فأحدثوا أسماء من مخلوق كلامهم، وهذا هو الإلحاد بالله وفي أسمائه والتكذيب بها".

وقوله (فهو ما ادعينا عليكم ... الخ) يريد به ما ذكره قبل هذا الموضع (ص ١٥٨- ١٥٩) وهو قوله:" ثم اعترض المعارض أسماء الله المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي. فادعى أن أسماء الله غير الله، وأنها مستعارة مخلوقة كما أن قد يكون شخص بلا اسم. فتسميته لا تزيد في الشخص، ولا تنقص، يعني أن

٢٩- دليل آخر:

وقد قال الله عز وجل ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾، ولابد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه، لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها، فلا تخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات، أو بعد كون المخلوقات.

فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات، فلم تكن شهادة لنفسه بإلهية الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك؟، وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن شهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحدا قبل الخلق، لأن ما تستحيل الشهادة عليه مستحيل.

وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق، فقد بطل أن يكون كلام الله عز وجل مخلوقا، لأن كلامه شهادته.

٣٠- دليل آخر:

الله كان مجهولا كشخص مجهول. لا يهتدي لاسمه. ولا يدرى ما هو، حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم. فأعاروها إياه من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق.

ومن ادعى هذا التأويل فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق؛ لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أبدا أعلى منه وأغنى. ففي هذه الدعوى استجهال الخالق. إذ كان بزعمه هملا لا يدرى ما اسمه وما هو وما صفته والله المتعالي عن هذا الوصف المنزه عنه؛ لأن أسماء الله هي تحقيق صفاته".

وقوله (ص ١٦١):" ففي دعوى هذا المعارض أن الخلق عرفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها، لا أن الله عرفهم بها نفسه، فأي تأويل أوحش في أسماء الله من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول، أو بيت، أو شجرة، أو بهمية، لم يشتق لشيء منها اسم، ولم يعرف ما هو، حتى عرفه الخلق بعضهم بعضا؟!

ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق؛ لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة. وليست أسماءهم نفس صفاتهم بل هي مخالفة لصفاتهم.

وأسماء الله صفاته، ليس شيء مخالفا لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفاه للأسماء، فمن ادعى أن صفة من صفات الله تعالى مخلوقة، أو مستعارة فقد كفر وفجر".

ومما يدل على بطلان قول الجهمية، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق: أن أسماء الله من القرآن، وقد قال عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، ولا يجوز أن يكون (اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوَّى) مخلوقا[1]، كما لا يجوز أن يكون ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ مخلوقا، قال الله تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا.

٣١- دليل آخر:

وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾، فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقا في شيء مخلوق، لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى، لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه بزعم الجهمية مخلوقا في غير الله عز وجل.

وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله وسلامه عليهم.

---

[1] قال الدارمي في النقض على المريسي (١/١٥٩-١٦٠ ضمن آيات أخرى): وقال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ كذلك قال في الاسم: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ كما يسبح الله، ولو كان مخلوقا مستعارا غير الله لم يأمر الله أن يسبح مخلوق غيره، وقال ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

ثم ذكر الآلهة التي تعبد من دون الله بأسمائها المستعارة المخلوقة فقال ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٌ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ وكذلك قال هود لقومه حين قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ فقال لهم ينهاهم: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ يعني أن أسماء الله تعالى لم تزل، كما لم يزل الله، وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها للأصنام والآلهة التي عبدوها من دونه، فإن لم تكن أسماء الله بخلافها، فأي توبيخ لأسماء الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماءها وأسماء الله مخلوقة مستعارة عندكم بمعنى واحد، وكلها من تسمية العباد ومن تسمية آبائهم بزعمكم؟".

ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة، أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك أو نبي أتى به من عند الله أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى، لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل، وإنما سمع من شجرة. وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من النبي عليه الصلاة والسلام أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى بن عمران، لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله، وموسى سمعه مخلوقا في شجرة، ولو كان مخلوقا في شجرة لم يكن مكلما لموسى عليه السلام من وراء حجاب[(١)]، لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب.

٣٢- جواب:

ثم يقال لهم: إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق كلاما كلمه

[(١)] نقل البيهقي في الاعتقاد (ص ٩٥-٩٦ تحقيق أحمد عصام الكاتب) من أول فقرة (٣١) حتى هنا، وزاد عليها:" ولأن كلام الله عز وجل لموسى عليه السلام لو كان مخلوقا في شجرة كما زعموا لزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقا من المخلوقين كلم موسى وقال له: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾، وهذا ظاهر الفساد".

ثم قال البيهقي: وقد احتج علي بن إسماعيل رحمه الله بهذه الفصول واحتج بها غيره من سلفنا رحمهم الله".

ثم روى فيه، وفي مناقب الشافعي (٤٠٩/١) عن الشافعي إبراهيم بن إسماعيل ابن علية فقال: أنا مخالف له في كل شيء، وفي قوله: لا إله إلا الله، لست أقول كما يقول، أنا أقول: لا إله إلا الله الذي كلم موسى من وراء حجاب، وذاك يقول: لا إله إلا الله الذي خلق كلاما أسمعه موسى من وراء حجاب ".

به، وقد خلق الله عندكم في الذراع كلاما، لأن الذراع قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تأكلني فإني مسمومة"[١]، فلزمكم أن ذلك الكلام الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله عز وجل.

---

[١] **صحيح**: وقصة اليهودية التي سممت الشاة في البخاري (رقم ٢٦١٧) ومسلم (رقم ٢١٩٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها، فقيل: ألا نقتلها؟ قال: لا. فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وروى أبو داود (رقم ٤٥١٠) والدارمي (رقم ٦٩) من طريقين عن الزهري قال: كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية، من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع، فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ارفعوا أيديكم"، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية فدعاها، فقال لها:" أسممت هذه الشاة"، قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال:" أخبرتني هذه في يدي" للذراع، قالت: نعم، قال:" فما أردت إلى ذلك؟"، قالت: قلت: إن كان نبيا فلن يضره، وإن لم يكن نبيا استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة". ورجاله ثقات، وهو منقطع بين جابر والزهري.

وجاء عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك به مرسلا.

رواه عبد الرزاق في مصنفه (رقم ١٠٠١٩) عن معمر عن الزهري به، وفيه:" هذا العظم"، لساقها وهو في يده ..." الحديث ورجاله ثقات.

قال البيهقي في الدلائل (٤/٢٦٢): هذا مرسل ويحتمل أن يكون عبد الرحمن حمله عن جابر بن عبد الله".

ووصله ابن أبي ذئب عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه به، رواه الطبراني في الكبير (١٩/ ٧٠رقم ١٣٧) عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن أحمد بن بكر البالسي عن زيد بن الحباب ثنا ابن أبي ذئب به. لكن فيه البالسي وهو تالف، وقد كذبه بعض العلماء.

وجاء موصولا عن جابر من طريق آخر: فرواه البيهقي في الدلائل (٤/٢٦٠) من طريق محمد بن رزام المروزي عن خلف بن عبد العزيز عن أبيه عبد العزيز ابن عثمان عن جده عثمان بن أبي جبلة عن عبد الملك بن أبي نضرة عن أبيه عن جابر بن عبد الله أن يهودية أهدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إما شاة مسمومة، وإما برقا مسموطا مسموما، فلما قربته إليه وبسط القوم أيديهم، قال: أمسكوا، فإن عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة ... الحديث.

فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق، فما أنكرتم من أنه مستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه في شجرة، لأن كلام المخلوق لا يكون كلاما لله، فإن كان كلام الله، وكان معنى أن الله تكلم عندكم أنه خلق الكلام، فيلزمكم أن يكون الله مكلما بالكلام الذي خلقه في الذراع.

فإن أجابوا إلى ذلك.

قيل لهم: فالله عز وجل على قولكم هو القائل:" لا تأكلني فإني مسمومة"، تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علوا كبيرا.

وإن قالوا: لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في ذراع.

قيل لهم: وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في شجرة.

٣٣- مسألة:

ثم يسألون عن الكلام الذي أنطق الله به الذئب[١]، لما أخبر عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل: الفخذ، رواه ابن سعد في الطبقات (٢/١٥٤ ط. العلمية) عن عمر بن حفص عن مالك بن دينار عن الحسن: أن امرأة يهودية أهدت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شاة فأخذ منها بضعة فلاكها في فيه ثم طرحها فقال لأصحابه:" أمسكوا فإن فخذها تعلمني أنها مسمومة"، ثم أرسل إلى اليهودية فقال:" ما حملك على ما صنعت"؟ قالت: أردت أن أعلم إن كنت صادقا فإن الله سيطلعك على ذلك، وإن كنت كاذبا أرحت الناس منك".

وسنده ضعيف، فيه عمر بن حفص هو العامري مؤذن بني بكرة مجهول، لم يذكر بجرح ولا تعديل، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٦/١٠٢ ترجمة ٥٣٩).

وهو مع ذلك مرسل، والأول عن الزهري أصح، ويؤيده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الذراع ويحبه كما روى البخاري (رقم ٤٧١٢) ومسلم (رقم ١٩٤) في أول حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة، وفيه: أتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه".

[١] **صحيح**: رواه البخاري (رقم ٣٤٧١) ومسلم (رقم ٢٣٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث، فقال الناس: سبحان الله، بقرة تكلم!، فقال:" فإني

فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام يخلقه في غيره، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الذئب كلاما لله، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله تعالى، وفي هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به، وأنه كلام الله عز وجل؛ لأن كون الكلام من الذئب معجز، كما أن كونه من الشجرة معجز، فإن كان الذئب متكلما بذلك الكلام المنقول، فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في شجرة، وأن يكون المخلوق فيه قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٣٤- جواب:

ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقا في غيره عندكم، فما يؤمنكم أن يكون كل كلام الله تسمعونه مخلوقا في شيء، وهو حق أن يكون كلام الله عز وجل؟.

فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة؛ لأن المتكلم لا يكون إلا حيا.

أومن بهذا، أنا وأبو بكر وعمر"، وما هما ثم، وبينما رجل في غنمه، إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلب حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذا استنقذتها مني ،فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري، فقال الناس: سبحان الله، ذئب يتكلم!، قال:" فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر"، وما هما ثم".

وروى أحمد (رقم ١١٧٩٢) وابن حبان (رقم ٦٤٩٤) وغيرهما بسند صحيح من حديث أبي سعيد الخدري قال: عدا الذئب على شاة، فأخذها فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، قال ألا تتقي الله، تنزع مني رزقا ساقه الله إلي، فقال: يا عجبي ذئب مقع على ذنبه، يكلمني كلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه، حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي:" أخبرهم " فأخبرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صدق والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه، وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده ".

قيل لهم: ولا يجوز خلق الكلام في شجرة، لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حيا، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحي، فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحي؟.

ويقال لهم: لم لا قلتم: إنه يقول من ليس بحي، لأن الله عز وجل أخبر أن السموات والأرض ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾.[1].

٣٥- جواب:

ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ فلا بد من نعم.

ويقال لهم: فإذا كان كلام الله مخلوقا، وكانت المخلوقات فانيات، فيلزمكم إذا أفنى الله عز وجل الأشياء، أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا تركٌ لدين المسلمين، وردٌّ لقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين -وهو يوم الجزاء، وهو يوم القيامة- لأن الله عز وجل قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يعني يوم الجزاء، ثم هي أبدا

---

[1] هذا الكلام من أبي الحسن الأشعري يدل على أنه يجوز أن يتكلم من ليس فيه روح ولا حياة، وأن ما قبله من باب إلزام الجهمية بقولهم في أن الحياة شرط للكلام.

ويؤيد ما ذكرنا عن الأشعري أنه قال في اللمع (ص ٣٦): فإن قال: فما معنى قوله تعالى: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ ؟ قيل له: معنى ذلك أنهما قالتا في الحقيقة ﴿أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾.

ونسب البغدادي في أصول الدين (ص ٢٩) للأشعري أن الحياة شرط في الكلام، فقال:"وإنما اختلف أصحابنا في كون الحياة شرطاً في وجود الكلام فيما ليس بحي، فاشترطها الأشعري فيه، وأجاز القلانسي وجود الكلام لما ليس بحي".

وانتقد السجزي (تـ ٤٤٤هـ) الأشعري على هذا القول فقال في رسالته إلى أهل زبيد (ص ٢٤٢ تحقيق محمد باكريم عبد الله): وقد أقر الأشعري: أن السماوات والأرض ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ حقيقة لا مجازاً، ولا خلاف بين العقلاء في أن الله سبحانه قادر على أن ينطق الحجر الأصم على ما هو به، وقال الأشعري: (بعد أن يجعل فيه روحاً) والناس كلهم مخالفون له فيما قال".

في النار، واللعنة كلام الله، وهو قوله: ﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾، فقد وجب أن يكون كلام الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء، وأنه غير مخلوق، لأن المخلوقات يجوز عليها العدم، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل، فهو غير مخلوق.

٣٦- الرد عل الجهمية:

ثم يقال لهم: إذا كان غضب الله غير مخلوق، وكذلك رضاه وسخطه، فلم لا قلتم إنَّ كلامه غير مخلوق؟ ومن زعم أن غضب الله مخلوق، لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفني، وإن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى حتى لا يكون راضيا عن أوليائه، ولا ساخطا على أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام.

ويقال: خبِّرونا عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ النحل ٤٠، أتزعمون أن قوله للشيء: (كُنْ) مخلوق مراد لله.

فإن قالوا: لا .

قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء (كُنْ) غير مخلوق؟.

وإن زعموا: أن قول الله للشيء (كُنْ) مخلوق.

قيل لهم: فإن زعمتم أنه مخلوق مراد فيقال: فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فيلزمكم أن قوله للشيء (كُن) قد قال له: (كُن)، وفي هذا ما يوجب أحد أمرين:

إما أن يكون قول الله لغيره (كُن) غير مخلوق، أو يكون لكل قول قول، لا إلى غاية، وذلك محال.

فإن قالوا: إن لله قولا غير مخلوق.

قيل لهم: فلم أنكرتم أن يكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة؟.

ثم يقال لهم: ما العلة لما قلتم: إن قول الله للشيء (كُن) غير مخلوق؟

فإن قالوا: لأن القول لا يقال له (كُن).

فيقال لهم: والقرآن غير مخلوق، لأنه قول الله، والله لا يقول لقوله (كُن)[1].

٣٧- الرد على الجهمية:

ويقال لهم: أليس لم يزل الله عالما بأوليائه وأعدائه؟ فلابد من نعم.

قيل لهم: فهل تقولون: إنه لم يزل مريدا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة، وإذا كانت إرادته غير مخلوقة، فلم لا قلتم: إن كلامه غير مخلوق؟.

فإن قالوا: لا نقول لم يزل مريدا للتفريق بين أوليائه وأعدائه، فقد زعموا أن الله لا يريد التفريق بين أوليائه وأعدائه، ونسبوه سبحانه إلى النقص، تعالى الله عن قول القدرية علوا كبيرا.

---

(١) قال ابن خزيمة في التوحيد (١/٣٩١ تحقيق عبد العزيز الشهوان): قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ الفرق بين الخلق والأمر: فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كل مكون من خلقه بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وقوله: ﴿كُن﴾: هو كلامه الذي به يكون الخلق، وكلامه عز وجل الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكونا بكلامه، فافهم ، ولا تغلط ، ولا تغالط، ومن عقل عن الله خطابه علم أن الله سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكون الشيء بقوله: ﴿كُن﴾: إن القول الذي هو كن غير المكون، بكن المقول له كن وعقل عن الله أن قوله: ﴿كُن﴾ لو كان خلقا - على ما زعمت الجهمية المفترية على الله - كان الله إنما يخلق الخلق، ويكونه بخلق، لو كان قوله: ﴿كُن﴾ خلقا ، فيقال لهم: يا جهلة؛ فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقا ثم يكونه على أصلكم ، أليس قود مقالتكم الذي تزعمون أن قوله: ﴿كُن﴾ إنما يخلقه بقول قبله؟ وهو عندكم خلق وذلك القول يخلقه بقول قبله، وهو خلق، حتى يصير إلى ما لا نهاية له ولا عدد، ولا أول، وفي هذا إبطال تكوين الخلق ، وإنشاء البرية، وإحداث ما لم يكن قبل أن يحدث الله الشيء ، وينشئه ويخلقه وهذا قول لا يتوهمه ذو لب، لو تفكر فيه، ووفق لإدراك الصواب والرشاد ".



٣٨- جواب:

ويقال لهم: إن الشيء المخلوق:

إما أن يكون بدنا من الأبدان، شخصا من الأشخاص.

أو يكون نعتا من نعوت الأشخاص.

فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصا، لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل، ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتا لشخص مخلوق؛ لأن النعوت لا تبقى طرفة عين، لأنها لا تحتمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فني ومضى، فلما لم يجز أن يكون شخصا ولا نعتا لشخص، لم يجز أن يكون مخلوقا، على أن الأشخاص يجوز أن تموت.

فمن أثبت كلام الله شخصا مخلوقا لزمه أن يُجَوِّز الموت على كلام الله عز وجل، وذلك مما لا يجوز.

وأيضا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون نعتا لشخص مخلوق، ولو كان مخلوقا في شخص، ككلام للإنسان مفعولا فيه، كان لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذا كانا مخلوقين في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقا في شخص مخلوق.

٣٩- جواب:

ويقال لهم أيضا: لو كان كلام الله مخلوقا لكان جسما أو نعتا لجسم، ولو كان جسما لجاز أن يكون متكلما، والله قادر على قلبهما، وفي هذا ما يلزمهم، ويجب عليهم أن يُجوِّزوا أن يقلب الله القرآن إنسانا أو جنيا أو شيطانا، تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك.





ولو كان نعتا لجسم كالنعوت، فالله قادر على أن يجعلها أجساما، فكان يجب على الجهمية أن يُجَوِّزُوا أن يجعل الله القرآن جسما متجسدا يأكل ويشرب، وأن يجعله إنسانا ويُميته، وهذا ما لا يجوز على كلامه عز وجل[١].

---

[١] تتمة: ذكر عثمان بن سعيد الدارمي الشافعي (ت ـ ٢٨٠هـ) وهو من أعلم الناس بمداخل الجهمية وشبهاتهم اعتراضات أخرى للجهمية على كلام الله تعالى، ومن أهمها:

الاعتراض الأول: أن ورود مجيء القرآن يوم القيامة شفيعا دليل على أنه مخلوق

قال الدارمي في النقض على المريسي (١/٥٦٩-٥٧٠ تحقيق الألمعي): واحتج المعارض أيضا لتحقيق قوله أنه مخلوق بحديث النبي صلى الله عيله وسلم: "يجيء القرآن يوم القيامة شفيعا لصاحبه"، فقال لأهل السنة: إن قلتم بهذا الحديث كان نقضا لما ادعيتم أن القرآن غير مخلوق؛ لأنه لا يتراءى شيء في صورة إلا وذلك المترائي والمتكلم في قياس مذهبه مخلوق.

فقد فسرنا هذا لهذا المعجب بجهالته في كتابنا هذا: أن القرآن كلام الله ليس له صورة، ولا جسم، ولا يتحول صورة أبدا، له فم ولسان ينطق به ويشفع، فقد عقل ذلك جميع المسلمين.

فلما كان المعقول ذلك عندهم علموا أن ذلك ثواب يصوره الله في أعين المؤمنين، جزاء لهم عن القرآن الذي قرأوه، واتبعوا ما فيه، ليبشر به المؤمنين ونفس القرآن كلام غير مجسم في كل أحواله، إنما يحسن به إذا قرئ.

فإذا زالت عنه القراءة لم يوقف له على جسم ولا صورة، إلا أن يرسم بكتاب.

هذا معقول لا يجهله إلا كل جهول. قد علمتم ذلك إن شاء الله ولكنكم تغالطون، والعلماء بمغالطتكم عالمون ولضلالتكم مبطلون. ويكفي العاقل أقل مما بينا وشرحنا عن مذاهبكم غير أن في تكرير البيان شفاء لم في الصدور".

الاعتراض الثاني: أن الكلام يستلزم الجوف والفم واللسان مما يستحيل على الله تعالى

قال الدارمي في النقض على المريسي (٢/٨٩٧-٨٩٩ تحقيق الألمعي): وأما قولك: من زعم أنه خرج من جسم فهو كافر، فليس يقال كذلك، ولا أراك سمعت أحدا يتفوه به كما ادعيت، غير أنا لا نشك أنه خرج من الله تبارك وتعالى دون من سواه، وذكر الجسم والفم واللسان خرافات وفضول مرفوعة عنا، لم نكلفه في ديننا، ولا يشك أحد أن الكلام يخرج من المتكلم.

وأما قولك: إنه جزء منه، فهذا أيضا من تلك الفضول، وما رأينا أحدا يصفه بالأجزاء، والأعضاء، جل عن هذا الوصف وتعالى، والكلام صفة المتكلم لا يشبه الصفات: من الوجه واليد، والسمع، والبصر، ولا يشبه الكلام من الخالق والمخلوق سائرالصفات".




وقال الإمام أحمد (تـ ٢٤١هـ) في الرد على الجهمية (ص ١٣٦-١٣٧ تحقيق صبري شاهين): وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات. أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ تراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟.

وقال: ﴿وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ﴾أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذ شهدت على الكفار. فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان".

وقال السجزي (تـ ٤٤٤هـ) في رسالته لأهل زبيد (ص ٢٤١-٢٤٤ تحقيق محمد باكريم): وأما الصوت: فقد زعموا أنه لا يخرج إلا من هواء بين جرمين وذلك لا يجوز وجوده من ذات الله تعالى.

والذي قالوه باطل من وجوه: ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر سلام الحجر عليه، وعلم تسليم الحصا في يده، وتسبيح الطعام، بين يديه، وحنين الجذع عند مفارقته إياه، وما جاء لشيء من ذلك هواء منخرق بين جرمين ...

وإذا وصف بقدرة على إنطاق الحجر الأصم على ما هو به. بطل قول من زعم أن وجود الصوت غير جائز إلا من هواء منخرق بين جرمين.

ثم لو كان الأمر على ما زعموا، لم يجب أن يوصف الله سبحانه بما يخالف الشاهد ألا ترى أن الله سبحانه بالاتفاق واحد، حي، قادر، عالم سميع، بصير، قوي، مريد، فاعل، وليس بجسم ولا في معناه، وفي الشاهد لا يجوز وجود حي عالم، قادر، سميع بصير، إلا جسماً.

وإذا صح ما ذكرناه. لم يضرنا قول من زعم أن الصوت في الشاهد لا يوجد إلا من هواء منخرق بين جرمين كيف وقد بينا بطلان دعواه قبل هذا.

وقبل كل شيء ينبغي أن يعلم اعتمادنا في المعتقدات أجمع على السمع، فإذا ورد السمع بشيء قلنا به، ولم نلتفت إلى شبهة يدعيها مخالف.

وقد ورد السمع بذكر الصوت من قبل الله تعالى، ومن قبل أنبيائه- (عليهم السلام) ومن قبل الأئمة والعلماء بعدهم".




الباب الخامس:

ما ذكر من الرواية في القرآن

قال أبو بكر: أتيت أنا والعباس بن عبدالعظيم العنبري أبا عبد الله أحمد بن حنبل، فسأل العباس بن عبدالعظيم أبا عبدالله رحمه الله تعالى، فقال له: قوم هاهنا قد حدَّثوا يقولون: القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق.

فقال: هؤلاء أضر من الجهمية على الناس، ويلكم فإن لم تقولوا: ليس بمخلوق، فقولوا: مخلوق.

قال أبو عبدالله: هؤلاء قوم سوء، فقال العباس: ما تقولون يا أبا عبدالله؟.

فقال: الذي أعتقده وأذهب إليه، ولا أشك فيه، أن القرآن غير مخلوق.

ثم قال: سبحان الله ومن يشك في هذا؟.

ثم تكلم أبو عبدالله مستعظما للشك في ذلك، فقال: سبحان الله أفي هذا شك؟، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ



﴿ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ ففرق بين الإنسان وبين القرآن، فقال: علَّمَ، خَلَقَ، فجعل يعيدها، علَّمَ، خَلَقَ، أي فرَّق بينهما.

قال أبو عبدالله: القرآن من علم الله، ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، والقرآن فيه أسماء الله عز وجل، أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديرا عليما عزيزا حكيما سميعا بصيرا، لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله غير مخلوق، فالقرآن من علم الله، وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل، ولم يزل الله به متكلما.

ثم قال: وأي كفر أكفر من هذا؟ وأي كفر أشرُّ من هذا؟ إذا زعموا أن القرآن مخلوق، فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون: إنما يقولون القرآن مخلوق، ويتهاونون ويظنون أنه هيِّنٌ، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر، وأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألون، وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدَّعون أني أُمْسِك.

فقلت له: فمن قال: القرآن مخلوق، ولا يقول: إن أسماء الله مخلوقة ولا علمه، ولم يزد على هذا، أقول: هو كافر؟ فقال: هكذا هو عندنا.

ثم قال أبو عبدالله: نحن لا نحتاج أن نشك في هذا القرآن عندنا، فيه أسماء الله، وهو من علم الله، فمن قال لنا: إنه مخلوق، فهو عندنا كافر، فجعلت أردد عليه. فقال لي العباس -وهو يسمع-: سبحان الله أما يكفيك دون هذا؟ فقال أبو عبدالله: بلى[1].

---

[1] **صحيح**: رواه الخلال في السنة (رقم ١٨٠٤، ١٨٠٥) وابن بطة في الإبانة (رقم ٦١) من طريقين عن أبي بكر الأثرم قال: أتينا أبا عبد الله أنا والعباس بن عبد العظيم ... فذكره.

وذكر الحسين بن عبدالأول قال: سمعت وكيعا يقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو مرتد يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل[1].

وذكر محمد بن الصباح البزار، قال: نا: علي بن الحسن بن شقيق[2]، قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية، قال محمد: يقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم[3].

وذكر هارون بن إسحاق الهمداني عن أبي نعيم عن سليمان بن عيسى القاري عن سفيان الثوري قال: قال لي حماد بن أبي سليمان: بلِّغ أبا حنيفة المشرك أني منه بريء، قال سليمان: ثم قال سفيان: لأنه كان يقول القرآن مخلوق[4].

---

[1] **صحيح**: رواه حرب الكرماني في مسائله (١١٢٦/٣) عن إبراهيم بن الحارث العبادي عن القاسم بن يزيد الوزان المقري عن وكيع بن الجراح يقول: من زعم أن القرآن مخلوق محدث، ومن زعم أن القرآن محدث، فقد كفر بما أنزل على محمد، يستتاب فإن تاب، وإلا ضربت عنقه". وسنده صحيح.

ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٣٤) عن أحمد بن الحسن أبي الحسن الترمذي عن مليح بن وكيع سمعت وكيعا يقول: من زعم أن القرآن، مخلوق فقد زعم أنه محدث يستتاب فإن تاب وإلا ضربت رقبته".

وفيه مليح بن وكيع لم يذكر بجرح ولا تعديل، لكنه يتقوى بما قبله.

[2] في الأصل (علي بن الحسين بن شعبان) وهو خطأ، صوابه ما ذكرناه، وهو الذي في كل المصادر.

[3] **صحيح**: رواه أبو داود في مسائله عن الإمام أحمد (رقم ١٧٣٧) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٢٣، ٢١٦) والخلال في السنة (رقم ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٧١٦) من طرق عن علي بن الحسن بن شقيق به. وسنده صحيح.

وقوله (محمد بن الصباح): تصحيف، وصوابه (الحسن بن الصباح) كما يتبين من المصادر المذكورة.

[4] **ضعيف جدا**: رواه ابن بطة في الإبانة (رقم ٤٠٦) من طريق أبي بكر الأثرم عن موسى بن هارون الهمداني عن أبي نعيم عن سليمان القاري به.

ورواه علي بن الجعد في مسنده (رقم ٣٥٣) والبخاري في التاريخ الكبير (١٢٧/٤ رقم ٢١٩٨ ط. المعلمي) وخلق أفعال العباد (ص ٢٩) والخطيب في تاريخ بغداد (٥١٦/١٥ ط. بشار) من طريق أبي نعيم ضرار بن صرد عن سليم بن عيسى به.

و(سليم بن عيسى القارئ) هو سليمان نفسه.

ومداره كما ترى على أبي نعيم ضرار بن صرد كذبه ابن معين، وقال البخاري والنسائي: متروك.

وذكر سفيان بن وكيع قال: سمعت عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال: أخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب فيه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله: القرآن مخلوق، قال: فتاب منه، فطاف به في الخلق، قال أبي: فقلت له؛ كيف صرت إلى هذا، قال: خفت والله أن يُقدِمَ عليَّ فأعطيته التقية[(١)].

وذكر هارون بن إسحاق قال: سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر عن عمر بن عبيد الطنافسي: أن حمادا – يعني ابن أبي سليمان – بعث إلى أبي حنيفة: إني بريء مما تقول إلا أن تتوب، وكان عنده ابن أبي غنية[(٢)] قال: فقال: أخبرني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعدما استتيب"[(٣)].

وذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حنيفة شهرين، حتى رجع عن خلق القرآن[(٤)].

وقال ابن حبان في المجروحين (٤٨٦/١ ترجمة ٥٠٩ تحقيق حمدي السلفي): كان فقيها عالما بالفرائض، إلا أنه يروي المقلوبات عن الثقات، حتى إذا سمعها من كان شاهدا في العلم شهد عليه بالجرح والوهن".

[(١)] **ضعيف**: رواه عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ٢٣٨) والخطيب في تاريخ بغداد (٥١٦/١٥ ط. بشار) من طريق سفيان بن وكيع به .

وسنده ضعيف، سفيان بن وكيع ضعيف، وعمر بن حماد بن أبي حنيفة وأبوه ضعيفان في النقل.

[(٢)] في الأصل (ابن أبي عنبة) وصوابه (ابن أبي غنية) كما هو مسند في تاريخ بغداد للخطيب.

[(٣)] **ضعيف**: إسناده منقطع بين أبي الحسن الأشعري، وهارون بن إسحاق.

والجار المذكور مجهول لم يسم في الخبر، فيكون ضعيفا لهاتين العلتين.

وقد اختلف في الرواية عن أبي حنيفة ومذهبه في خلق القرآن، وبسط الروايات في ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه، وفي كتابه " الاحتجاج بالشافعي"، فمن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إليه، ولم أقف على هذه الرواية مسندة، لا عنده، ولا عندي غيره.

[(٤)] **ضعيف**: للانقطاع بين الأشعري وأبي يوسف، وبينهما مفاوز، ولم أجده مسندا بهذا اللفظ.

وروى الخطيب في تاريخ بغداد (٥١٦/١٥ ط. بشار) من طريق محمد بن سماعة الرملي، وابن أبي حاتم (العلو للذهبي رقم ٤٠٩) من طريق علي بن الحسن الكراعي كلاهما عن أبي يوسف قال:" ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر، حتى قال: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر" . وسنده صحيح.

والفرق بينهما من وجهين:

الأول: مدة المناظرة، ففي الأول شهرين، وفي الثاني ستة أشهر.

وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخذته من كتاب الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾، وكلام الله ونظره واحد يعني غير مخلوق[١].

وذكر الحسين بن عبدالأول قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه"[٢].

فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، وما كان كلاما لله لم يكن خلقا لله، وقد بين

الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ودلَّ على ذلك في مواضع من كتابه، وقد قال الله عز وجل مخبرا أن الله كلَّم موسى تكليما.

الثاني: أن الأول ظاهر في أنه كان يقول بخلق القرآن، والثاني ليس ظاهرا في ذلك.

[١] **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١١٠٤) عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن سليمان بن حرب به، وسنده صحيح.

[٢] **ضعيف**: حسين بن عبد الأول ضعفه ابن معين وأبو زرعة، لكنه لم يتفرد به.

فرواه الترمذي (رقم ٢٩٢٦) والدارمي في مسنده (رقم ٣٣٩٩) والمروزي في مختصر قيام الليل (ص ١٧٢) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١٢٨) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ٢٨٦) من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد به.

وفي سنده محمد بن الحسن بن ابي يزيد وهو ضعيف جدا، وكذبه أحمد وأبو داود.

وفي سنده أيضا عطية بن سعيد العوفي وهو ضعيف مدلس على تشيع فيه، فالإسناد ضعيف.

وروى ابن بطة في الإبانة (رقم ٣٨) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب القرظي مرفوعا نحوه، وموسى بن عبيدة ضعيف، وهو مع ذلك مرسل.

وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان"[1].

ومما يبين أن الله عز وجل متكلم، وأن له كلاما، ما رواه عفان قال: حدثناحماد بن سلمة عن الأشعث الحداني أن شهر ابن حوشب قال:" فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه"[2].

---

[1] رواه البخاري (رقم ٧٤٤٣، ٧٥١٢) ومسلم (رقم ١٠١٦).

استدل الأشعري بهذا الحديث على أن الله تعالى متكلم حقيقة، وتأول ذلك بعض أتباعه على طريقة الجهمية منهم ابن فورك، ثم ينسبون مخالفتهم هذه للأشعري إلى أبي الحسن.

قال ابن فورك (تـ ٤٠٦هـ) في مشكل الحديث وبيانه (ص٤٤٦– ٤٤٧ تحقيق موسى محمد علي): فأما كلام الله الذي هو صفة من صفات ذاته غير بائن منه فكلام واحد شيء واحد يفهم منه ويسمع مالا يحصى ولا يعد من الفوائد والمعاني ونظير ذلك ما نقول: إن علمه واحد ولكنه يحيط بمعلومات لا تتناهى والذي تقع عليه الكثرة والقلة المعلومات دون العلم وهذا هو معنى جملة ما ذكر من هذه الأخبار على كثرتها من قوله قال الله ويقول الله وليس المراد تكرير القول وتجديده.

فإن قال قائل: أليس قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قالإن الله عز وجل تكلم ويكلم عباده بعد أن يقيم القيامة وكما قال عز وجل ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، و ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم:" ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان" متفق عليه.

قيل هذا راجع إلى التكليم والأفهام لا إلى تجديد الكلام ومثال ذلك مثال الأسماع من سمعه والتعليم من علمه والتقدير من قدرته في باب أنه عنه يصدر ولا يكون هو نفسه والمراد بذلك أن يفهمهم خطابه يوم القيامة من غير ترجمان فإذا حاسبهم يوم القيامة أفهمهم كلامه وأسمعهم خطابه من غير واسطة لا كما أفهمهم في الدنيا بوسائط الرسل والكتب".

[2] رواه أبو داود في المراسيل (رقم ٥٣٧) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ٢٨٧) وابن الضريس في فضائل القرآن (رقم ١٣٩) عن موسى بن إسماعيل التبوذكي، والدارمي في مسنده (رقم ٣٤٠٠) عن سليمان بن حرب كلاهما عن حماد بن سلمة به.

ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (رقم ٣٤٠) من طريق محمد بن سواء عن سعيد بن أبي عروبة عن أشعث الحداني عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة به مرفوعا.

وروى يعلى بن المنهال السعدي قال إسحاق بن سليمان الرازي قال الجراح بن الضحاك الكندي عن علقمة بن مرثد عن أبي عبدالرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه"[(١)]، وقال:" إن فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه"، وذلك أنه منه[(٢)].

تابعه عبد الوهاب بن عطاء، رواه اللالكائي في الاعتقاد (رقم ٥٥٧)، وعبد الوهاب ضعيف.

ورواه أبو يعلى في معجمه (رقم ٢٩٤) والنحاس في القطع والابتداء (ص ٨) وابن عدي في الكامل (٦/٩٨) من طريق عمر بن الأبح عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن شهر عن أبي هريرة به.

فقال فيه (قتادة) بدل (أشعث الحداني) والأول أصح، والأبح يروي عن سعيد منكرات كما ذكر ابن عدي.

وذكر الدارقطني في العلل (١١/٢٨ رقم ٢٠٩٩) الاختلاف فيه، ورجح المرسل.

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (رقم ٤) عن أبي يوسف يعقوب بن يوسف عن أبي بكر بن فردة عن إسحاق بن يعقوب عن أحمد بن محمد عن يعلى بن المنهال به بلفظ:" إن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، وذلك أن القرآن منه خرج، وإليه يعود".

وقوله (وذلك أن القرآن منه خرج، وإليه يعود) زيادة منكرة، لم ترد في الطرق الصحيحة، ويعلى بن المنهال مجهول لا يدرى من هو.

ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (رقم ٣٤١) والفريابي في فضائل القرآن (رقم ١٥، ١٦) من طرق عن إسحاق بن سليمان الرازي ب،ه دون الزيادة المنكرة.

ورواه الفريابي في فضائل القرآن (رقم ١٤) من طريق جرير بن عبد الحميد عن الجراح الكندي به.

ورواه البخاري (رقم ٥٠٢٨) من طريق الثوري عن علقمة بن مرثد به كذلك.

ورواه البخاري (رقم ٥٠٢٧) من طريق شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان به.

(٢) قوله: (وقال: إن فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه، وذلك أنه منه)، هو قول أبي عبد الرحمن السلمي بعد روايته للحديث، وتمامه:" فهذا الذي أجلسني هذا المجلس، وفضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الخالق على المخلوق، وذلك أنه منه" بيّنه وفصّله الدارمي والفريابي في روايتهما.

وذكر سنيد بن داود قال أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[1].

وذكر هارون بن معروف قال: حدثنا جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن فروة بن نوفل قال: كنت جارا الخباب بن الأرت، فقال لي: يا هذا، تقرَّبْ إلى الله عز وجل بما استطعت، فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه [2].

وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ قال: غير مخلوق[3].

---

[1] **صحيح**: رواه عبد الرزاق في تفسيره (رقم ٢٢٩٤) عن معمر عن قتادة أن المشركين قالوا في القرآن: هذا كلام يوشك أن ينفد، يوشك أن ينقطع، فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

ورواه الطبري في تفسيره (١٥١/٢٠) عن بشر بن آدم عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة نحو ما ذكره الأشعري هنا. وسنده صحيح.

في بعض النسخ زيادة (قال: قال: المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، فأنزل الله –تعالى– ما تسمعون. يقول: لو كان شجر الأرض أقلاما، ومع البحر سبعة أبحر مدادا لتكسرت الأقلام، ونفدت البحور قبل أن تنفد عجائب ربي، وحكمته وكلماته وعلمه)، وليس هذا في الأصل الذي اعتمدناه.

[2] **صحيح**: رواه أحمد في الزهد (رقم ١٩٢، ١١٢٣) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ٣١٠) من طريق جرير عن منصور به.

ورواه ابن أبي شيبة (رقم ٣٠٠٩٨) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١١٣) والبغوي في معجم الصحابة (رقم ٦٢٥) والآجري في الشريعة (رقم ١٥٧) وابن بطة في الإبانة (رقم ١٩) من طرق عن منصور بن المعتمر به. وسنده صحيح.

[3] **حسن**: رواه الآجري في الشريعة (رقم ١٦٠) وابن بطة في الإبانة (رقم ٥٦) من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث، وابن بطة في الإبانة (رقم ٥٧) من طريق ابن وهب كلاهما عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

وذكر الليث بن يحيى قال: حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث قال: سمعت مؤمل بن إسماعيل عن الثوري قال: من زعم أن القرآن مخلوق، فقد كفر[1].

وهذا سند حسن في التفسير، وعلي بن أبي طلحة وإن لم يسمع من ابن عباس لكنه أخذه من مجاهد كما في تهذيب الكمال (٢٠/٤٩٠) فإنه ذكر ابن عباس في شيوخ ابن أبي طلحة وقال: وعبد الله بن عباس (فق) مرسل، بينهما مجاهد"، وإذا عرفت الواسطة زالت الشبهة.

[1] **صحيح**: وهذا الإسناد ضعيف، وفيه علل:

الأولى: الليث بن يحيى مجهول لا يدرى من هو، ولم أعرف راويا عنه غير إبراهيم بن الحارث العبادي، ولا وجدت له ترجمة تبين حاله.

الثانية: إبراهيم بن أبي الأشعث، وصوابه إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض وفيه ضعف، وثقة ابن حبان والحاكم، وغمزه أبو حاتم.

الثالثة: مؤمل بن إسماعيل صدوق سيئ الحفظ كما في تقريب التهذيب.

ورواه اللالكائي في الاعتقاد (رقم ٤١٥) من طريق الحسن بن أيوب عن أحمد بن حنبل عن الفريابي عن الثوري أنه قال: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو زنديق" ورجاله ثقات، وصححه الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/١٥٣).

وروى عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١٣) عن محمد بن إسحاق الصاغاني عن هارون بن أبي هارون عن حبان بن موسى عن ابن المبارك عن سفيان قال: من قال إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مخلوق فهو كافر" وسنده حسن.

وصحت الرواية عن جعفر بن محمد: أن القرآن لا خالق، ولامخلوق[1]، وروي ذلك عن عمه زيد بن علي[2]، وعن جده علي بن الحسين[3].

ومن قال: إن القرآن غير مخلوق، وإن من قال بخلقه كافر - من العلماء وحملة الأثار ونقلة الأخبار- لا يحصون كثرة منهم الحمادان، والثوري، وعبدالعزيز بن أبي سلمة، ومالك بن أنس، والشافعي وأصحابه، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وهشام، وعيسى بن يونس، وحفص بن غياث، وسعد بن عامر، وعبدالرحمن بن مهدي،

---

(1) **حسن**: رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٤٤) والفسوي في المعرفة (٣/٣٩٣) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ٣٤٥) والآجري في الشريعة (رقم ١٥٨، ١٥٩) وابن بطة (رقم ٥٢- ٥٥) من طرق معاوية بن عمار قال: سألت جعفر بن محمد عن القرآن؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله تعالى" وسنده حسن.

(2) ذكره ابن الوزير في العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم نقلا عن" الجامع الكافي في فقه الزيدية" للسيد الشريف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبد الرحمن العلوي الحسني، وذكر في العواصم (٤/٣٩٣) أنه رواته عن الحسن بن أحمد بن القطان قال: حدثنا زيد بن محمد بن أبي اليابس قال: حدثنا قاسم بن عبيد قال: حدثنا أحمد بن سلام قال: سألت: القاسم بن إبراهيم عن القرآن؟ وأخبرته بما روي عن زيد بن علي: إنا لا نشبه بالله أحدا، ولا نقول لكلام الله مخلوق، فقال: هكذا أقول".

الحسن القطان: ذكره الخوئي في معجم رجال الحديث (٢/٩٣ رقم ٥١١) وخلص إلى أنه مجهول، وأنكر على من حسن حديثه، وأخذ ذلك من ترحم الشيخ الصدوق عليه.

ابن أبي اليابس: زيد بن محمد بن جعفر بن المبارك، ترجمه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/٤٥٧ رقم ٤٥١٥ ط. بشار) وقال: كان صدوقا".

ولم أعرف بقيتهم، فينظر في أحوالهم.

(3) **صحيح**: رواه عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١٣٥) واللالكائي في الاعتقاد (رقم ٣٨٧) من طريق يونس بن بكير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله" ورجاله ثقات.

وروى عبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١٣٦) من طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن الزهري قال: سألت علي بن الحسين عن القرآن، فقال: كتاب الله وكلامه" ورجاله ثقات.

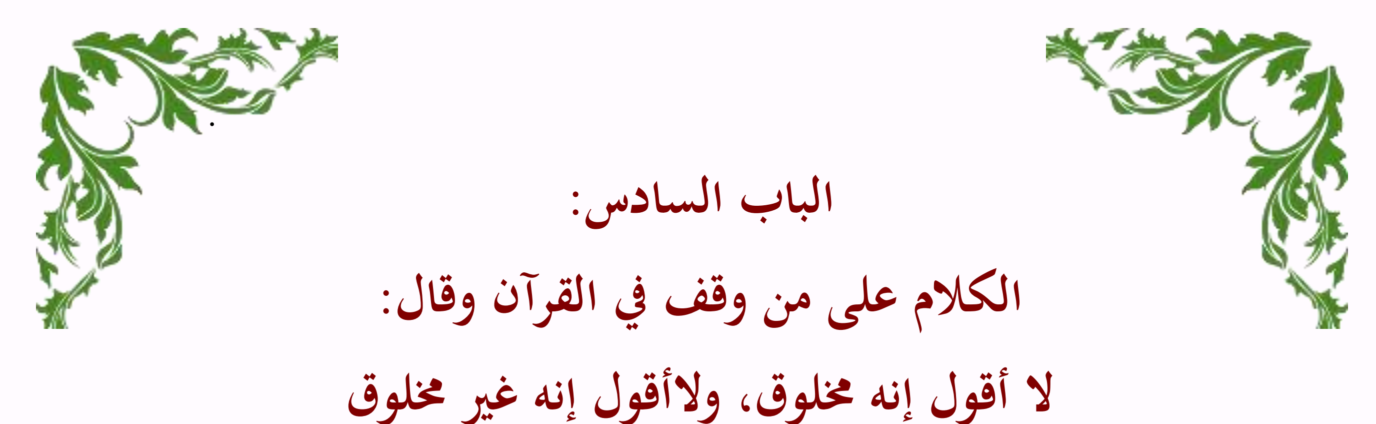
وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن المفضل، وعبدالله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس، وأبو نعيم، وقبيصة بن عقبة، وسليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام بذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مَقنَعٌ، والحمد لله رب العالمين.

وقد احتججنا لصحة قولنا: إن القرآن غير مخلوق، من كتاب الله عز وجل، وما تضمنه من البرهان، وأوضحه من البيان، ولم نجد أحدا ممن تُحمل عنه الآثارُ، وتُنقلُ عنه الأخبار، ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس، وجهال من جُهَّالهم، لا موقع لهم، والحِجَاجُ الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قولهم ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمدا كثيرا.







الباب السادس:

الكلام على من وقف في القرآن وقال:

لا أقول إنه مخلوق، ولاأقول إنه غير مخلوق

٤٠- جواب:

يقال لهم: لم زعمتم ذلك وقلتموه؟

فإن قالوا: قلنا ذلك؛ لأن الله لم يقل في كتابه إنه مخلوق، ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجمع عليه المسلمون، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق، ولا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجمع عليه المسلمون، فتوقفنا لذلك، ولم نقل إنه مخلوق، ولا إنه غير مخلوق.

يقال لهم: فهل قال الله تعالى لكم في كتابه قفوا فيه، ولا تقولوا إنه غير مخلوق، وقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق، وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟

فإن قالوا: نعم، بهتوا.

وإن قالوا: لا.

قيل لهم: فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التي بها ألزمتم أنفسكم التوقف.

ثم يقال لهم: ولم أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟

فإن قالوا: لم نجده.

قيل لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن، فليس موجودا فيه؟ ثم إنا نوجدهم ذلك، ونتلو عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا، واستدللنا على أن القرآن

غير مخلوق، كقوله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ الأعراف ٥٤، وكقوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ النحل ٤٠، وكقوله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الكهف ١٠٩، وسائر ما احتججنا في ذلك من آي القرآن.

ويقال لهم: يلزمكم أن تقفوا في كل ما اختلف الناس فيه، ولا تقدموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دلَّ على صحتها دليل، فلم لا تقولون إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع؟.

٤١ – مسألة:

فإن قال قائل: حدِّثُونا، أتقولون: إن كلام الله في اللوح المحفوظ.

قيل له: كذلك نقول؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي لَوۡحٍ مَّحۡفُوظٍ﴾ البروج ٢٢، فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله عز وجل: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ العنكبوت ٤٩، وهو متلو بالألسنة، قال الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ القيامة ١٦، والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال عز وجل: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة ٦[1].

---

[1] قال ابن جرير الطبري في صريح السنة (ص ١٨ تحقيق بدر يوسف المعتوق) في قوله تعالى ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾، وقوله عز وجل ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾:" فأخبر جل ثناؤه، أنه في اللوح المحفوظ مكتوب، وأنه من لسان محمد صلى الله عليه وسلم مسموع، وهو قرآن واحد من محمد صلى الله عليه وسلم مسموع، في اللوح المحفوظ مكتوب، وكذلك هو في الصدور محفوظ، وبألسن الشيوخ والشباب متلو".

٤٢– مسألة:

فإن قال قائل: حدِّثُونا عن اللفظ بالقرآن، كيف تقولون فيه؟.

قيل له: القرآن يُقرأ في الحقيقة، ويُتلى، ولا يجوز أن يقال يلفظ به؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول إنه كلام ملفوظ به؛ لأن العرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة من فمي فمعناه رميت بها، وكلام الله عز وجل لا يقال يلفظ به، وإنما يقال: يُقرأ، ويُتلى، ويُكتب، ويُحفظ.

وإنما قال قوم: لفظنا بالقرآن، ليثبتوا أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم، وقولهم بخلقه، فدلَّسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، ولا يجوز أن يقال: إن شيئا من القرآن مخلوق؛ لأن القرآن بكامله غير مخلوق[1].

٤٣– مسألة:

إن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنبياء ٢؟

---

[1] ذكر إبراهيم الحربي (تـ ٢٨٥هـ) في رسالته في أن القرآن غير مخلوق (ص ٣٥) عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: افترقت الجهمية على فرق فرقة قالوا القرآن مخلوق وفرقة قالوا كلام الله وسكتت وفرقة قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق قال الله تعالى في كتابه﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ، فجبرئيل عليه السلام تسمع من الله تعالى ليسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبرئيل ويسمعه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من النبي صلى الله عليه وسلم فالقرآن كلام الله غير مخلوق".

وقال عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١٦٤/١) سألت أبي رحمه الله قلت: إن قوما يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق، فقال: " هم جهمية وهم أشر ممن يقف ، هذا قول جهم، وعظم الأمر عنده في هذا، وقال: هذا كلام جهم "، وسألته عمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال: قال الله عز وجل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" حتى أبلغ كلام رب"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس". سمعت أبي رحمه الله يقول: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي"، سمعت أبي رحمه الله، وسئل عن اللفظية، فقال: " هم جهمية وهو قول جهم، ثم قال: لا تجالسوهم ".

قيل له: الذكر الذي عناه الله عز وجل ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ووعظه إياهم، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات ٥٥، وقد قال الله تعالى: ﴿ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ الطلاق ١٠ – ١١، فسمى الرسول ذكرا، والرسول محدث.

وأيضا فإن الله عز وجل قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يخبر أنهم لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل: لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثا، ولو قال قائل: ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميميا، فكذلك القول فيما سألونا عنه[١].

---

[١] ما ذكره المؤلف وجه في تفسير الآية، وواحد من جوابين لأئمة أهل السنة في الرد على احتجاج المعتزلة بهذه الآية، وهما:

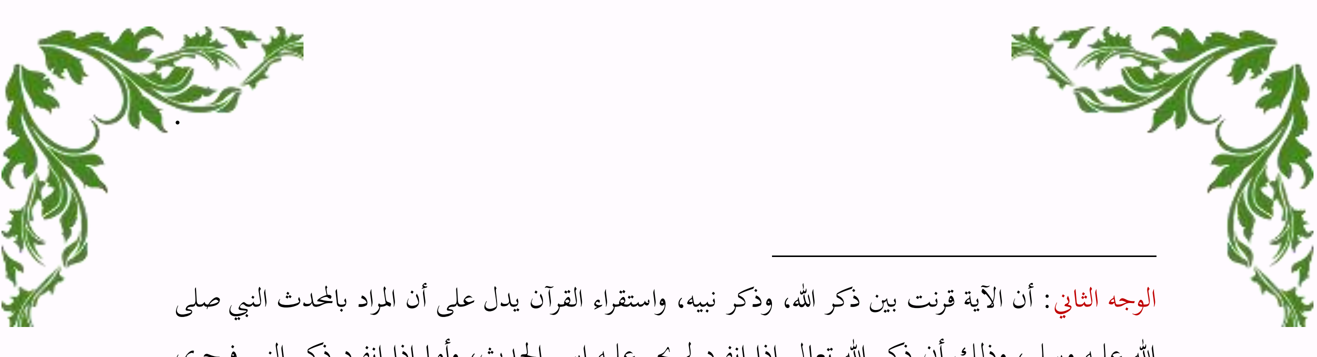
التفسير الأول: أن المراد بالمحدث هنا ليس القرآن، فلا يضر أن يكون المعنى أنه محدث أي مخلوق، وبيان ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن قوله (محدثا) نكرة تحتمل القرآن وغيره، فلا يلزم تفسيرها بالقرآن.

فروى ابن بطة في الإبانة (رقم ٤٢٩) عن الإمام أحمد أيضا أنه قال: ال لي بعضهم: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ أفيكون محدث إلا مخلوقا؟ قال: فقلت لهم: قال الله عز وجل ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا لام ".

وروى ابن بطة في الإبانة (رقم ٤٣٠) عن الإمام أحمد بنحو هذه القصة قال: فقلت لهم: هذا نكرة، فقد يكون على جميع الذكر، والذكر معرفة وهو القرآن".

وروى ابن بطة في الإبانة (رقم ٤٣١) عن الإمام أحمد أنه قال: احتجوا علي بهذه الآية ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، أي: أن القرآن محدث، فاحتججت عليهم بهذه الآية ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، قلت: فهو سماه الذكر، وقلت: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، فهذا يمكن أن يكون غير القرآن محدثا، ولكن ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾، فهو القرآن، ليس هو محدثا"، قال: فبهذا احتججت عليهم".



الوجه الثاني: أن الآية قرنت بين ذكر الله، وذكر نبيه، واستقراء القرآن يدل على أن المراد بالمحدث النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن ذكر الله تعالى إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، وأما إذا انفرد ذكر النبي فيجري عليه اسم الحديث.

فمن الأول: قوله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾.

ومن الثاني: قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فذكر النبي صلى الله عليه وسلم له عمل، والله له خالق محدث.

والدلالة على أنه جمع بين ذكرين لقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلغ ومذكر، وقال الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾، فلما اجتمعوا في اسم الذكر جرى عليهم اسم الحدث، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق، ولاحدث، فوجدنا دلالة من قول الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان لايعلم فعلمه الله" قاله الإمام أحمد في الرد على الجهمية (ص ١٢٤ تحقيق صبري بن سلامة شاهين).

التفسير الثاني: أن المراد حدوث نزوله وما فيه من العلم بالأحكام على النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الكرجي القصاب في النكت (٤/١٣٩): إنما معنى الحديث في اللغة ما يحدث عند الناس، مما لم يكن لهم به عهد، ولا عرفوه، وكان توحيد الله، وخلع الأنداد، وتلاوة القرآن مما لم يكن لهم به عهد، فحدث عندهم، وكان ما عهدوا من آبائهم، ومن سلف قبلهم ترك توحيد الله، وجعل الشركاء معه، وعهد الشعر، والخطب، فكان توحيد الله، وتلاوة كلامه –معًا– حديثين عندهما، لا أنهما أحدثا بالخلق ".

وقال ابن بطة في الإبانة (٦/١٤٩): معنى قوله ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾، أراد: محدثا علمه، وخبره، وزجره، وموعظته عند محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما أراد: أن علمك يا محمد ومعرفتك محدث بما أوحي إليك من القرآن، وإنما أراد: أن نزول القرآن عليك يحدث لك ولمن سمعه علما وذكرا لم تكونوا تعلمونه، ألم تسمع إلى قوله ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾. وقال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾. وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، فأخبر أن الذكر المحدث هو ما يحدث من سامعيه وممن علمه وأنزل عليه، لا أن القرآن محدث عند الله، ولا أن الله كان ولا قرآن، لأن القرآن إنما هو

٤٤- مسألة:

وإن سألونا عن قول الله عز وجل: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾.

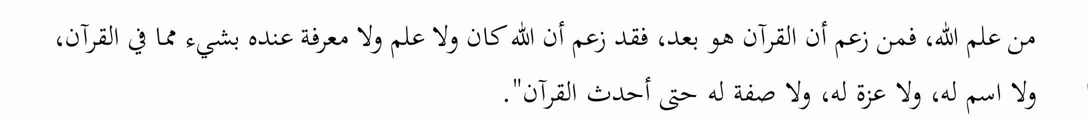
قيل لهم: الله عز وجل أنزله وليس مخلوقا.

فإن قالوا: فقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾والحديد مخلوق.

قيل لهم: الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون جسما مواتا، ولذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون مخلوقا، وإن كان الحديد مخلوقا.

٤٥- مسألة:

ويقال لهم: قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به وهو غير مخلوق، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله، فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق.


من علم الله، فمن زعم أن القرآن هو بعد، فقد زعم أن الله كان ولا علم ولا معرفة عنده بشيء مما في القرآن، ولا اسم له، ولا عزة له، ولا صفة له حتى أحدث القرآن".




الباب السابع:
ذكر الاستواء على العرش

-٤٦

إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟.

قيل له: نقول إن الله عز وجل مستو على عرشه[١] كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾طه ٥، وقد قال الله عز وجل ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾فاطر ١٠، وقال ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ النساء ١٥٨، وقال عز وجل: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ السجدة ٥، وقال حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ غافر ٣٦-٣٧،

---

[١] جاء في نسخة د. فوقية زيادة ليست في النسخ الأخرى، وهي (استواء يليق به من غير طول استقرار) وقال العصيمي إن ذلك (ليس في النسخ التي بين أيدينا)، وقد ذكر العصيمي أن النسخة التي اعتمدت عليه د. فوقية معيبة باعترافها، لأنها قالت في وصفها (وقد اعتبرتها النسخة الأم؛ لأنها تخلو من التقديم والتأخير المخلين بالمعنى، وليس بها خروم ذات قيمة، بخلاف النسخ الأخرى، ولأن ناسخها كان يضبط الألفاظ إلى حد كبير، غير أنه يجب أن يلاحظ أن ما بها من زيادات في حاجة إلى المراجعة الدقيقة، لاستبعاد ما علق بها من عبارات مدسوسة. ورغم أن هذه الزيادات تؤكد بصفة عامة اتجاه السلف فقد ظهر تصريح يخالف هذا الاتجاه.

مثال ذلك ما ورد في صفحة (٨١) لتفسير الاستواء من أنه بالقهر والقدرة، فهذا تصريح لابد وأنه بيد أحد قراء المخطوط الميالين إلى الاعتزال والذين هم في نفس الوقت على جهل بحقيقة الأمور. ويؤكد هذا تعليقه بصفحة (٨٢) (قف على هذا الباب، فإن المؤلف تسامح في إيراده هذه العبارات فإنها تدل على الجهات تصريحا وعلى الجسمية ضمنا).

فكذَّب فرعون نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: إن الله عز وجل فوق السموات[1].

وقال عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ الملك: ١٦، فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات، وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ نوح ١٦، ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، وأنه فيهن جميعا[2].

ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله عز وجل مستو

---

[1] قال الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٤٠ تحقيق البدر): في هذه الآية بيان بين ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح، ورام الاطلاع إليه".

وقال ابن خزيمة في التوحيد (١/٢٥٨ تحقيق الشهوان):ففرعون عليه لعنة الله يأمر ببناء صرح، فحسب أنه يطلع إلى إله موسى، وفي قوله: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ دلالة على أن موسى قد كان أعلمه أن ربه جل وعلا أعلى وفوق، وأحسب أن فرعون إنما قال لقومه:﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ استدراجا منه لهم".

[2] احتج بهذه الآية على علو الله تعالى على عرشه الإمام أحمد بن حنبل (تـ ٢٤١هـ) في الرد على الجهمية (ص ١٤٦) والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٤٠، ١٩٩) والنقض على المريسي (١/٢٢٥، ٤٤٤، ٤٩٢، ٥٠٩) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٥٥).

وفي مناقب الشافعي للبيهقي (١/٣٩٧-٣٩٨) عن الشافعي أنه قال: معنى قوله في الكتاب: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ من فوق السماء على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السماوات، فهو على العرش كما أخبر بلا كيف، بائن من خلقه، غير مماس من خلقه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. ونحوه في تفسير الشافعي للبيهقي (٣/١٠٦٣، ١٢٤١) والخلافيات للبيهقي (٦/٣٤٠).

على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يهبطوونها إذا دعوا إلى الأرض[١].

٤٧- سؤال:

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة. ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ فالله سبحانه قادر عليه وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها، لكان مستويا على العرش، وعلى السماء، وعلى الأرض، وعلى الحشوش والأقذار؛ لأنه قادرٌ على الأشياء مستولٍ عليها، وإذا كان قادرا على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، وجب أن يكون معناه استواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها.

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية: أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم، وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا[٢].

---

[١] قال الدارمي في النقض على المريسي (١/٢٢٨-٢٢٩): وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء، وحدوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية".

[٢] قال الإمام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية (ص ١٤٤ تحقيق صبري شاهين): الرد على الجهمية في زعمهم أن الله في كل مكان.




فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء. فقالوا: أي مكان؟ فقلنا: أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء ".

وقال فيه أيضا (ص ١٥٥-١٥٦): وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟ فيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لابد له من واحد منها.

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا كفرا أيضا حين زعم أنه دخل في كل مكان وحش قذر رديء.

وإن قال: خلقهم خارجا عن نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السنة".

وقال الدارمي في الرد على الجهمية (ص ٤٠ تحقيق البدر): أقرت هذه العصابة بهذه الآيات بألسنتها، وادعوا الإيمان بها، ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها، فقالوا: الله في كل مكان، لا يخلو منه مكان. قلنا: قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه، إذ ادعيتم أنه في كل مكان. فقالوا: تفسيره عندنا: أنه استولى عليه وعلاه. قلنا: فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله حتى خص العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه، وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه؟ فأي معنى إذا لخصوص العرش إذ كان عندكم مستويا على جميع الأشياء كاستوائه على العرش تبارك وتعالى.

هذا محال من الحجج، وباطل من الكلام، لا تشكون أنتم إن شاء الله في بطوله واستحالته، غير أنكم تغالطون به الناس".

وقال الدارمي في النقض على المريسي (٤٩٣/١ تحقيق الألمعي): شعرت أيها المعارض أنك وصفته بأقبح حلول في الأماكن أفحش مما عبت على غيرك؛ لأنا قد أينا له مكانا واحدا، أعلى مكان، وأطهر مكان وأشرف مكان: على عرشه العظيم المقدس المجيد، فوق السماء السابعة العليا، حيث ليس معه هناك إنس ولا جان ولا بجنبيه حش ولا مرحاض ولا شيطان.

وزعمت أنت والمضلون من زعمائك أنه في كل مكان، وفي كل حش ومرحاض، وبجنب كل إنسي وجان، أفأنتم تشبهونه بالحلول في الأماكن، أم نحن؟ هذا واضح بين مذهبكم ودعواكم، صرحت بها أيها المعارض في غير موضع من كتابك، ولكنك تقول الشيء فتنساه، ثم تنقضه على نفسك وأنت تشعر به حتى يأخذ بحلقك. الحمد لله الذي أعاننا عليك بالنسيان، وكثيرة الهذيان".

٤٨- جواب:

ويقال لهم: إذا لم يكن مستويا على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره، كما قال ذلك أهل العلم، ونقلة الآثار، وحملة الأخبار، وكان الله عز وجل في كل مكان، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض، والأرض فوقه والسماء فوق الأرض، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا: إن الله تحت التحت، والأشياء فوقه، وإنه فوق الفوق، والأشياء تحته، وفي هذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه، وفوق ما هو تحته، وهذا المحال المتناقض، تعالى الله عن افترائكم عليه علوا كبيرا.

٤٩- دليل آخر:

ومما يؤكد أن الله عز وجل مستو على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى عفان عن حماد بن سلمة قال: حدثنا عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، حتى يطلع الفجر "[١].

وروى عبدالله بن بكر قال: حدثنا هشام بن أبي عبدالله عن يحي بن أبي كثير عن أبي جعفر أنه سمع أبا هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا بقي ثلث

---

[١] **صحيح**: رواه أحمد (رقم ١٦٧٤٥، ١٦٧٤٧) والدارمي (رقم ١٥٢١) وابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (رقم ٤١٨٢) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٥٠٧) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١١٩٩) والبزار (رقم ٣٤٣٩، ٣٤٤٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٤٨٧) من طريق حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير به. وسنده صحيح.

الليل ينزل الله تبارك وتعالى، يقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه، حتى ينفجر الفجر"[(١)].

وروى عبدالله بن بكر السهمي قال: حدثنا هشام بن أبي عبدالله عن يحيي بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة قال: حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال: قفلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالكديد –أو قال بقديد– فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:" إذا مضى ثلث الليل –أو قال: ثلثا الليل– نزل الله عز وجل إلى السماء، فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الفجر"[(٢)].

[(١)] **صحيح**: رواه الحارث في عواليه (رقم ٦٤) والخطيب في تاريخ بغداد (١٦٧/١٧) من طريق عبد الله بن الحسن الهاشمي كلاهما عن عبد الله بن بكر السهمي به.

ورواه أحمد (رقم ٧٥٠٩، ١٠٧٥٦) والطيالسي في مسنده (رقم ٢٦٣٨) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ١٢٩) والنسائي في الكبرى (رقم ١٠٢٣٧) وابن خزيمة في التوحيد (٣٠٤/١) والدارقطني في النزول (رقم ٤٩).

ورواه مسلم (رقم ٧٥٨/١٧٠) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ٤٩٧) من طريقين عن الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.

وهشام أوثق من الأوزاعي في يحيى بن أبي كثير، قد تكلم الإمام أحمد في أحاديث الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير.

ورواه سفيان عن الأوزاعي عن يحي بن ابي كثير عن أبي جعفر عن أبي هريرة، رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (رقم ٤٧٧) عن شعيب بن شعيب بن إسحق عن عبد الوهاب بن سعيد عن سفيان به.

فواق الدستوائي في روايته عن الأوزاعي.

[(٢)] **صحيح**: رواه أحمد (رقم ١٦٢١٥، ١٦٢١٨) ولطيالسي (رقم ١٣٨٧) والدارمي (رقم ١٥٢٢، ١٥٢٣) وابن خزيمة في التوحيد (٣١١/١) ومن طريقه الصابوني في الاعتقاد (ص ١٠٥ مع الكواكب الدرية) من طرق عن هشام الدستوائي والآوزاعي كلاهما عن يحي بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة بن عرابة الجهني به. وسنده صحيح.

تتمة: اعترض الجهمية على الاستدلال بأحاديث النزول على علو الله عز وجل فوق عرشه، وقالوا: المراد نزول رحمه وأمره"، ورد على ذلك وبين بطلانه الدارمي (تـ ٢٨٠هـ) في النقض على المريسي (٢١٤/١–

٥٠- دليل آخر:

قال الله عز وجل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ النحل ٥٠، وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ المعارج ٤، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فصلت ١١، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ الفرقان ٥٩، وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ السجدة ٤، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه.

٥١-دليل آخر:

وقال عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الفجر ٢٢، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ البقرة ٢١٠، وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱﴾ النجم ٨ – ١٨.

---

٤١٥ تحقيق الألمعي) فقال:" يقال لهذا المعارض: وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان، ولا لمذهبه برهان؛ لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان، فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار؟

ويوقت من الليل شطره أو الأسحار؟ أفبأمره ورحمته يدعو العباد إلى الاستغفار؟ أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا: "هل من داع فأجيب؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطي؟ " فإن قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر اللذين يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما دون الله. هذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟ وقد علمتم ذلك ولكن تكابرون.

وما بال رحمته وأمره ينزلان من عنده شطر الليل، ثم لا يمكثان إلا إلى طلوع الفجر ثم يرفعان؛ لأن رفاعة يرويه يقول في حديثه: "حتى ينفجر الفجر".

وقد علمتم -إن شاء الله- أن هذا التأويل أبطل باطل، لا يقبله إلا كل جاهل".

وقال عز وجل لعيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ آل عمران ٥٥، وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۝١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ النساء ١٥٧ – ١٥٨.

وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إلى السماء[(١)].

ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هُمْ رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم يقولون جميعا: يا ساكن العرش، ومن حلفهم جميعا: لا والذي احتجب بسبع سماوات[(٢)].

---

(١) يعني مع قوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وقوله تعالى ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، فهذا الإجماع يدل على أن الله تعالى في السماء.

(٢) قال الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص ٢٢٠) وفي "كتاب العرش له (٢/٣٨٠ فقرة ٦): قال الحافظ أبو العباس أحمد بن ثابت الطرقي (ت ٥٢١هـ): قرأت كتاب أبي الحسن الأشعري الموسوم ب الإبانة أدلة على إثبات الاستواء، قال في جملة ذلك:(ومن دعاء أهل الإسلام إذا هم رغبوا إلى الله يقولون يا ساكن العرش)، ومن حلفهم (لا والذي احتجب بسبع).

ونقله ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (١/١٢٥، ١٤١، ٤٠٦) و(٣/٧٤٥) و(٤/٤٥٧) و(٨/١٢٠، ١٤٨) وابن القيم في الصواعق المرسلة (٢/٨٤٥، ٨٧٠) والمعلمي اليماني في التنكيل (١١/ ٥٣٧) عن الإبانة للأشعري.

قال الألباني في مختصر العلو (ص٢٤٠): وفي قوله: "يا ساكن العرش" شيء، لأنه لم يرد في خبر صحيح فيما علمت".

كأن الشيخ يشير إلى ضعف حديث أبي سعيد الخدري في المهدي وفيه:" يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض" رواه أحمد (رقم ١١٣٢٦، ١١٤٨٤) وغيره وسنده ضعيف.

وله شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند نعيم في الفتن (رقم ٩٨٦) وعنه الحاكم (رقم ٨٥٣٧) قال الذهبي: سنده ساقط.

وساهد آخر من حديث شهر بن حوشب عند الداني في الفتن (رقم ٤٩٣، ٥١٩) وسنده ضعيف جدا.

وقوله (ساكن السماء) ظاهره الرب تبارك وتعالى من باب الإخبار، ويحتمل أن يريد به الملائكة.

وجاء عن داود النبي عليه السلام أن كان يطيل الصلاة ، ثم يركع ، ثم يرفع رأسه ، ثم يقول:" إليك رفعت رأسي يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء ".




رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (رقم ٤٥٥) واللالكائي في الاعتقاد (رقم ٦٦٩) عن علي بن مسلم حدثنا سيار حدثنا جعفر أخبرنا ثابت البناني به.

قال الذهبي في العلو (ص ٦٧ رقم ١٣٤): إسناده صالح، وصححه في الأربعين في صفات رب العالمين (رقم ٣٧).

ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (رقم ٣٩٧) عن محمد بن الحسين عن إسماعيل بن زياد عن عامر بن يساف عن مالك بن دينار به.

وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/٣١٠-٣١١) عن محمد بن مسلم الطائفي عن سلمة بن شبيب قال :كنت عند أحمد بن حنبل فدخل عليه رجل في يده عكازة عليه أثر السفر فقال: من فيكم أحمد؟ فأشاروا إلى أحمد، فقال: إني ضربت البر والبحر من أربع مائة فرسخ، أتاني الخضر عليه السلام وقال: ائت أحمد بن حنبل فقل له: إن ساكن السماء راض عنك، لما بذلت نفسك في هذا الأمر".

ورواه ابن عساكر (٥/٣١٥-٣١٦) من طريق الطبراني عن محمد بن الفضل السقطي ومحمد بن الحسن بن علي بن بحر كلاهما عن سلمة بن شبيب قال: كنا في أيام المعتصم يوما جلوسا عند أحمد بن حنبل ... القصة، وفيه: إن ساكن السماء الذي على عرشه راض عنك، والملائكة راضون عنك، بما صبرت نفسك لله".

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/٣١٥) وابن الجوزي في مناقب أحمد بن حنبل (ص ٦١٤) من طريقين عن سلمه بن شبيب ، وفيه:" إن ساكن العرش والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك".

وهذه الآثار بمعنى واحد، والمراد بها علو الله تعالى على عرشه من باب الإخبار، لا من باب الصفات والتسمية، والأول أوسع من الثاني.

تنبيه: هكذا استدل الأشعري بهذه المقولة على علو الله تعالى واستوائه على عرشه، وقد خالفه في ذلك بعض المنتسبين إليه، وكفروا من قال ذلك.

قال الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٣٩ تحقيق حلمي محمد فوده): إذا قال الكافر: لا إله إلا ساكن السماء، لم يكن مؤمنا، لأن سكان السماء الملائكة، وإن قال: لا إله إلا الله ساكن السماء، كان هذا زيادة كفر منه، لأن السكن غير جائز على الله تعالى، واحتظار الأمكنة ليس من صفاته".

وتبعه على ذلك الرافعي في فتح العزيز (١١/١١٩) والنووي في روضة الطالبين (١٠/٨٥) وابن الرفعة في كفاية النبيه (١٦/٣٢٢).

٥٢-دليل آخر:

وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾، وقد خصت الآية البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة، وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول: ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو أرسل رسولا، وننزل أجناسا لم يعمهم بالآية، فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم.

٥٣-دليل آخر:

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾، وقال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾، وقال: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، وقال عز وجل: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه، ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه[١] سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه، فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل.

---

(١) قال العصيمي في تحقيق الإبانة (ص٤٣٢): في نسخة فوقية ص ١١٧ زيادة لفظة (بلا كيف ولا استقرار)، وهذه الزيادة انفردت بها نسخة فوقية عن جميع المخطوطات، كما خلت منها كتب السلف الذين نقلوا عن الأشعري من الإبانة ".

٥٤-دليل آخر:

قال الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فسمى نفسه نورا، والنور عند الأمة لا يخلو أن يكون أحد معنيين: إما أن يكون نورا يسمع، أو نورا يُرى، فمن زعم أن الله يُسمع ولا يُرى، فقد أخطأ في روايته في نفيه رؤية ربه، وتكذيبه بكتابه، ويكذبه قول نبيه صلى الله عليه وسلم.

وروت العلماء عن عبدالله بن عباس أنه قال:" تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله تعالى، فإن السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك"[١].

---

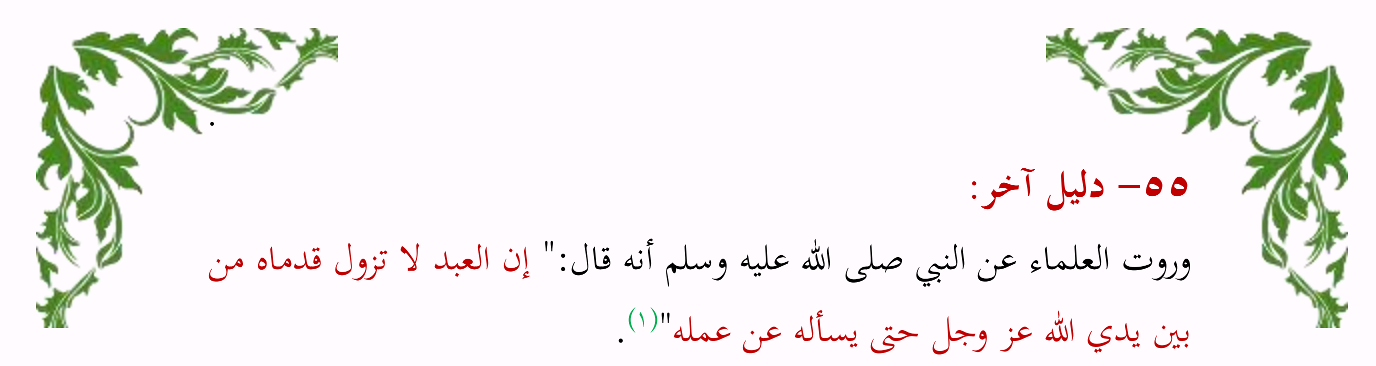
[١] حديث (تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله) حسن بطرقه وشواهد عن ابن عباس وغيره، وفي رواية (فكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا) وجاء ذلك عن أبي هرية وأبي ذر الغفاري وابن عمر ومرسل الحسن البصري وغيرهم.

وفصل في تخريجه الألباني في الصحيحة (رقم ١٧٨٨).

ورواية الباب: عند أبي الشيخ في العظمة (٢١٢/١ رقم ٢، ٣) وابن بطة في الإبانة (رقم ١٠٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم ٨٨٧) من طريق عاصم بن علي عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:" تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذات الله، فإن ما بين كرسيه إلى السماء السابعة سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك تبارك وتعالى".

وهذا سند ضعيف، عاصم بن علي بن عاصم ضعيف من قبل حفظه، وفي حفظ أبيه علي بن عاصم ضعف، وهو مع ذلك روى عن عطاء بن السائب بعد اختلاطه كما في الكواكب النيرات (ص ٣٢٨)، فهذه ثلاث علل تقضي بضعف الحديث بهذه الزيادة.

وروى الدارمي في النقض على المريسي (٤٢٢/١، ٤٧١، ٥٢٠ ط. الألمعي) وابن خزيمة في التوحيد (٢٤٢/١) و(٨٨٥/٢) والطبراني في الكبير (رقم ٨٩٨٧) وأبو الشيخ في العظمة (١٠٤٧/٣ رقم ٥٦٥) وابن أبي زمنين في السنة (رقم ٣٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم ٨٥١، ٨٥٢) واللالكائي في الاعتقاد (رقم ٦٥٩) من طرق عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "بين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله، فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه" وسنده حسن، وهو موقوف.



٥٥- دليل آخر:

وروت العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله"[١].

وله شاهد مرفوع عن أبي ذر: رواه حرب في مسائله (١١١٠/٣) والبزار (رقم ٤٠٧٥) وأبو الشيخ في العظمة (٥٥٧/٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (رقم ٨٥٠) من طرق عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي نصر عن أبي ذر الغفاري به مرفوعا.

ورجاله ثقات، لكنه منقطع بين أبي نصر وأبي ذر الغفاري، فلم يسمع منه شيئا، إن كان أبو نصر هو حميد بن هلال، وإلا فمجهول.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى، عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد، وأبو نصر هذا أحسبه حميد بن هلال ولم يسمع من أبي ذر".

[١] **صحيح**: رواه الترمذي (رقم ٢٤١٧) والدارمي في مسنده (رقم٥٥٤) وأبو يعلى (رقم ٧٤٣٤) من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة الأسلمي مرفوعا:" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه".

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وله شواهد عن ابن مسعود وأبي سعيد وابن عباس ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأسانيدها ضعيفة، لكن يقوي بعضها بعضا.

أما ابن مسعود: فرواه البزار (رقم ١٤٣٥) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (رقم ٨٤٦) وأبو يعلى (رقم ٥٢٧١) والطبراني في الأوسط (رقم ٧٥٧٦) والصغير (رقم ٧٦٠) من طريق الحسين بن قيش (حنش) عن عطاء عن ابن عمر عن ابن مسعود به، وحنش ضعيف، لكنه حسن في المتابعات والشواهد.

وأما أبو سعيد: فرواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (رقم ٨٤٧) من طريق اود بن الجارود عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري به.

وأما ابن عباس: فرواه الطبراني في الكبير (١١/١٠٢رقم ١١١٧٧) والأوسط (رقم ٩٤٠٦) والثعلبي في تفسيره (رقم ٣٤٨٤) من طريق أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم مولى بني هاشم عن حسين بن الحسن الأشقر عن هشيم بن بشير عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس به وزاد "وحبنا أهل البيت". وسنده ضعيف، والزيادة منكرة لعدم ورودها من وجه معتبر.

وروت العلماء أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال: يا رسول الله! إني أريد أن أعتقها في كفارة فهل يجوز عتقها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:" أين الله؟"، قالت: في السماء، قال:" فمن أنا"؟ قالت: أنت رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" أعتقها فإنها مؤمنة"[1]، وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء.

وأما معاذ بن جبل: فرواه الطبراني في الكبير (٢٠/٦٠ رقم ١١١) والآجري في أخلاق العلماء (ص ٧٧) وتمام في فوائده (رقم ١٤٨٠) من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان الثوري عن صفوان بن سليم عن عدي بن عدي عن الصنابحي عن معاذ بن جبل به.

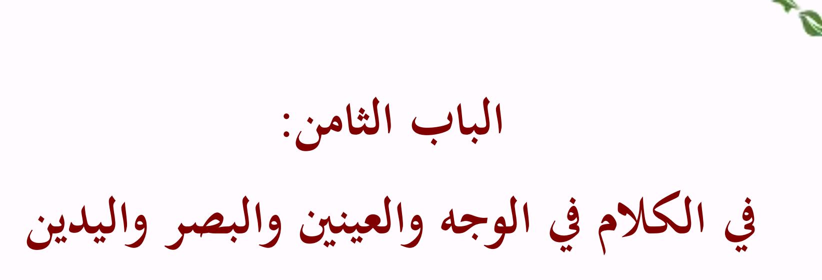
وقد وهم فيه ابن أبي رواد عن الثوري في قوله (صفوان بن سليم) وصوابه (ليث بن أبي سليم)، وكذلك في رفعه، والصواب موقوف.

وأما أبو الدرداء: فرواه الطبراني في الأوسط (رقم ٤٧١٠) من طريق عبد الله بن حكيم أبي بكر الداهري عن محمد بن سعيد الشامي عن إسماعيل بن عبيد الله عن أم الدرداء عن أبي الدرداء به.

وأما أنس بن مالك: فرواه ابن أبي فضالة في فوائده (رقم ٢٢) من طريق محمد بن علي بن محمود بن علي بن الحارث عن الحسين بن داود البلخي عن شقيق بن إبراهيم الزاهد عن أبي هاشم الزاهد عن أنس بن مالك به.

وأما جابر بن عبد الله: فرواه الخطيب في المتفق والمفترق (٣/١٧٨٥ رقم ١٣٤٠) من طريق الدارقطني عن أحمد بن محمد بن أبي عثمان النيسابوري عن محمد بن جعفر القاضي عن محمد بن قتيبة بن سعيد السمرقندي عن أبيه عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله به.

[1] رواه مسلم (رقم ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي، وليس فيه أنها (أمة سوداء)، وقد جاء ذكر الأمة السوداء من حديث أبي هريرة وأبي جحيفة ورجل من الأنصار كما فصلت تخريجها في الكواكب الدرية على العقيدة الصابونية (ص ٧١).



الباب الثامن:

في الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾، وقال عز وجل: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، فأخبر أن له وجها لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك.

وقال عز وجل: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾، وقال: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾، فأخبر عز وجل أن له وجها وعينا، لايكيف ولا يُحد.

وقال عز وجل: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، وقال: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾، وقال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته.

ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى؛ لأن النصارى لم تثبت الله سميعا بصيرا إلا على معنى أنه عالم، كذلك قالت الجهمية، ففي الحقيقة قول الجهمية أنهم قالوا: إن الله عالم، ولا نقول: سميعا بصيرا على غير معنى عالم، وكذلك قول النصارى.

وقالت الجهمية: إن الله لا علم له، ولا قدرة، ولا سمع له، ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد، والتكذيب بأسماء الله عز وجل، فأعطوا ذلك لفظا، ولم يُحَصِّلوا قولا في المعنى، ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم[1].

---

[1] قال الدارمي في الرد على الجهمية (ص ١٣٠ تحقيق البدر): ثم قالوا: ما نقول إن الله من فوق عرشه يعلم ما في الأرض، ولكن علم الله هو الله بزعمهم، والله بزعمهم في كل مكان، ليس له علم به يعلم، ولا هو يسمع بسمع، ولا يبصر ببصر، إنما سمعه وبصره وعلمه بزعمهم شيء واحد، فلا السمع عندهم غير

وزعم شيخ منهم مقدَّمٌ فيهم[١] أن علم الله هو الله، وأن الله عز وجل علم، فنفى العلم من حيث أوهم أنه أثبته، فأُلزِمَ أن يقول: يا علم اغفر لي؛ إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله على قياسه علما وقدرة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٥٦- مسألة:

فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجها؟.

قيل له: نقول ذلك خلافا لما يقوله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[٢].

البصر، ولا البصر غير السمع، ولا العلم غير البصر، هو كله بزعمهم سمع وبصر وعلم، وهو بكليته في كل مكان، إن علم علم بكله، وإن سمع سمع بكله، وإن رأى رأى بكله.

ويزعمون أن علم الله بمنزلة النظر والمشاهدة، لا يعلم بالشيء حتى يكون، فإذا كان الشيء علم به علم كينونته، لا بعلم لم يزل في نفسه قبل كينونته، ولكن إذا حدث الشيء كان هو عند الشيء، ومعه الشيء بنفسه، فإن أراد ذلك الشيء، كان هو يدل الشيء بزعمهم من مكانه، فذلك إحاطة علم الله بالأشياء عندهم، لا أن يكون علم بشيء منها في نفسه قبل كينونته، فتبارك الله رب العالمين، وتعالى عما يصفون.

هذا هو الرد لكتاب الله والجحود لآيات الله، وصاحب هذا المذهب يخرجه مذهبه إلى مذهب الزندقة حتى لا يؤمن بيوم الحساب، لأن الذي لا يقر بالعلم السابق بالأشياء قبل أن تكون، يلزمه في مذهبه أن لا يؤمن بيوم الحساب، وبقيام الساعة والبعث والثواب والعقاب، لأن العباد إنما لزمهم الإيمان بها لإخبار الله بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأنه محاسبهم يوم الحساب، مثيبهم، ومعاقبهم"..

[١] هو أبو الهذيل العلاف كما سيذكره المؤلف في الفقرة (رقم ٦٥) من أوائل الباب التاسع.

[٢] ذكر الأشعري في المقالات (١/١٣٧) عن النظام المعتزلي (ت ٢٢١-٢٢٩هـ) أنه كان يقول: ذكر الله - سبحانه - الوجه على التوسع لا لأنه له وجها في الحقيقة وإنما معنى ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ ويبقى ربك".

وحكى في المقالات (١/١٧٤) عن أبي الهذيل العلاف من المعتزلة أنه قال: وجه الله هو الله".

وحكى الدارمي في النقض على المريسي (٢/٧٠٥-٧٠٦ تحقيق الألمعي) عن المريسي وأصحابه أنهم قالوا: ﴿وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ ما توجه به إلى ربك من الأعمال الصالحة، وقوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ يقول: ثم قبلة الناس يتوجهون إليها، وقوله: ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ ثَمَّ قبلة الله".

٥٧- مسألة:

فإن سئلنا: أتقولون أن لله يدين؟.

قيل: نقول ذلك، وقد دل عليه قوله عز وجل: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾، وقوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" خلق الله آدم بيده، فمسح ظهره بيده، فاستخرج منه ذريته"[(١)]، فثبتت اليد، وقوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

ثم نقض عليهم هذا القول فقال: فيقال لهذا المعارض: لم تدع غاية في إنكار وجه الله ذي الجلال والإكرام، والجحود به وبآياته التي تنطق بالوجه، حتى ادعيت أن وجه الله الذي وصفه بالجلال والإكرام مخلوق، لأنك ادعيت أنها أعمال مخلوقة، يوجه بها إليه ونعم وإحسان. والأعمال كلها مخلوقة لا شك فيها، فوجه ربك ذي الجلال والإكرام في دعواك مخلوق، فزعمت أيضا أنها قبلة الله، والقبلة أيضا مخلوقة، فادعيت أن كل ما ذكر الله تعالى في كتابه من ذكر وجهه: وجه مخلوق، ليس لله منها وجه معه ولا هو ذو وجه في دعواك. وكتاب الله المكذب لك في دعواك، وهو ما تلوث أيها المعارض من هذه الآيات التي كلها ناقضة لمذهبك، وآخذة بحلقك، أو تأثر تفسيرك هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأثر مأثور منصوص مشهور؟ ولن تفعله أبدا ..." الخ النفيس.

(١) **صحيح**: وقد جاء عن عمر وابن عباس وأبي هريرة.

أما عمر بن الخطاب: فرواه أبو داود (رقم ٤٧٠٣، ٤٧٠٤) والترمذي (رقم ٣٠٧٥) وأحمد (رقم ٣١١) وغيرهم من طريق مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة الأودي عن عمر بن الخطاب به، ورجاله ثقات، غير نعيم بن ربيعة الأودي، وهو مجهول، وذكره ابن حبان في الثقات (٤٧٧/٥).

وأما ابن عباس: فرواه أحمد (رقم ٢٢٧٠) وغيره من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس به.

وعلي بن زيد ويوسف بن مهران ضعيفان لكن يعتبر بهما، فيتقوى حديثهما بما قبله وما بعده.

ورواه الحاكم (رقم ٤٠٠٠) من طريق جعفر بن محمد الصائغ عن الحسن بن محمد المروزي عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به، وصححه ووافقه الذهبي.

وأما أبو هريرة: فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره (رقم ٨٥٣٥) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الحاكم (رقم ٣٢٥٧) من طريق أبي نعيم عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة به. وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم:" أن الله خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده"[(١)].

فالحديث بهذه الطرق صحيح بلا مرية، فيكون الصواب مع الترمذي والحاكم والذهبي.

(١) **صحيح**: روى البيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٢٥ رقم ٦٩٢) من طريق عون بن عبد الله بن الحارث الهاشمي من بني نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله بن الحارث عن أبيه رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده".

ورجاله ثقات لكنه مرسل، ويشهد له شواهد في جميع ما ذكره.

أما اليد: فالأحاديث كثيرة، والقرآن نصَّ على ذلك في مواضع.

وأما التوراة: فروى البخاري (رقم ٦٦١٤) ومسلم (رقم ٢٦٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخطَّ لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجَّ آدم موسى، فحج آدم موسى ثلاثا ".

وأما جنة عدن: فروى مسلم (رقم ١٨٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في حديث فيه:" أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها. فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر" قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾ السجدة ١٧".

فائدة: الأربعة المذكورة في هذه الأحاديث ليس فيها ذو روح غير آدم عليه السلام، فدل على أن الله تعالى لم يخلق أحدا من الروحانيين بيده غير آدم، وقد نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم.

فذكر الدارمي في النقض على المريسي (١/٢٣٠ تحقيق الألمعي) أن الله تعالى" ولي خلق الأشياء بأمره، وقوله، وإرادته، وولي خلق آدم بيد مسيسا لم يخلق ذا روح بيديه غيره، فلذلك خصه وفضله، وشرف بذلك ذكره، لولا ذلك ما كانت له فضيلة من ذلك على شيء من خلقه".

وقال الدارمي في النقض على المريسي (١/٢٤٠ تحقيق الألمعي): لما قال: خلقت آدم بيدي علمنا أن ذلك تأكيد ليديه وأنه خلقه بهما مع أمره وإرادته. فاجتمع في آدم تخليق اليدين نصا والأمر والإرادة ولم يجتمعا في غيره من الروحانين؛ لأن الله تعالى لم يذكر أنه مس خلقا ذا روح بيديه غير آدم، إذ لم يذكر ذلك في أحد ممن سواه ولم يخص به بشرا غيره من الأنبياء وغيرهم".

وقال عز وجل: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" كلتا يديه يمين"[1]، وقال عز وجل: ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾.

وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا ﴿بِيَدَيَّ﴾ و يعني به النعمة[2].

وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل: (فعلت بيديّ) ويعني النعمة، فبطل أن يكون معنى قول الله عز وجل ﴿بِيَدَيَّ﴾النعمة.

وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: (لي عليه يد) بمعنى: لي عليه نعمة[3]، ومن دافعنا عن استعمال اللغة، ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها ودفع ذلك، دفع عن أن تكون

---

[1] رواه مسلم (رقم ١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

قال الدارمي في النقض على المريسي (٢٨٧/١ -٢٨٨ تحقيق الألمعي):" أرأيتم إذا تأولتم أن يد الله نعمته أفيحسن أن تقولوا في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يطوي الله السموات بيمينه يوم القيامة" أنه يطويها بنعمته؟ أم قوله: "المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن" وكلتا نعمتي الرحمن نعمة واحدة؟ هذا أقبح محال وأسمج ضلال وهو مع ذلك ضحكة وسخرية ما سبقكم إلى مثلها أعجمي أوعربي".

[2] ذكر الدارمي (تـ ٢٨٠هـ) في النقض على المريسي (٢٨٤/١ تحقيق الألمعي) أن هذا قول بشر المريسي فقال: وقد ادعى المريسي أيضا وأصحابه أن يد الله نعمته".

ثم ذكر نقضه عليهم فقال:" قلت لبعضهم إذا يستحيل في دعواكم أن يقال: خلق الله آدم بنعمته، أم قوله ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ أنعمتان من أنعمه قط مبسوطتان؟ فإن أنعمه أكثر من أن تحصى، أفلم يبسط منها على عباده إلا ثنتين وقبض عنهم من ما سواهما في دعواكم؟ فحين رأينا كثرة نعم الله المبسوطات على عباده ثم قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ علمنا أنها بخلاف ما ادعيتم، ووجدنا أهل العلم ممن مضى يتأولونها خلاف ما تأولتم، ومحجتهم أرضى، وقولهم أشفى ".

ثم روى بأسانيده عن عكرمة وابن أبي امليكة وعاصم الجحدري، ثم قال:" فمن يلتفت بعد هذا إلى تأويل هذا المريسي، ويدع تأويل هؤلاء الأئمة ؟".

[3] قال الدارمي في النقض على المريسي (٢٨٩/١ تحقيق الألمعي): إذا ادعيت أن اليد عرفت في كلام العرب أنها نعمة قلنا لك: أجل، ولسنا بتفسيرها منك أجهل غير أن تفسير ذلك يستبين في سياق كلام

اليد بمعنى النعمة، إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل ﴿بِيَدَيَّ﴾ يعني نعمتي إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادعى متفقين، وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: (بيديَّ) يعني نعمتيَّ، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه، ولن يجد إليه سبيلا.

٥٨- مسألة:

ويقال لأهل البدع: لم زعمتم أن معنى قوله تعالى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يعني نعمتيَّ، أزعمتم ذلك إجماعا، أو لغة؟ فلا يجدون ذلك في الإجماع، ولا في اللغة.

وإن قالوا: قلنا ذلك من القياس.

المتكلم حتى لا يحتاج له مثلك إلى تفسير، إذا قال الرجل: لفلان عندي يد أكافئه عليها، علم كل عالم بالكلام أن يد فلان ليست ببائنة منه موضوعة عند المتكلم، وإنما يراد بها النعمة التي يشكر عليها.

وكذلك إذ قال: فلان لي يد وعضد وناصر، علمنا أن فلانا لا يمكنه أن يكون نفس يده عضوه، ولا عضده، فإنما عني به النصرة والمعونة والتقوى، فإذا قال: ضربني فلان بيده وأعطاني، الشيء بيده، وكتب لي بيده، استحال أن يقال: ضربني بنعمته ،علم كل عالم بالكلام أنها اليد التي بها يضرب، وبها يكتب، وبها يعطي، لا النعمة كما قال الله تعالى "﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾" أي أولي البصر والعقول بدين الله؛ لأن كل الناس أولي أيدي وأبصار فما خص هؤلاء الأنبياء بها؟ " علم كل عالم أنها ليست بالأيدي التي يضرب بها ويكتب لما أن الناس كلهم أولو أيدي وأبصار، التي هي الجوارح، ولا يجوز لك أيها المريسي أن تنفي اليد التي هي اليد لما أنه وجد في فرط كلام العرب أن اليد قد تكون نعمة وقوة، ولكن هذا في سياق الكلام معقول"، وذلك في سياق الكلام معقول" فلما قال الله عز وجل: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ استحال فيهما كل معنى إلا اليدين. كما قال العلماء الذين حكينا عنهم.

فليس من ذكر هذه الأيدي شيء إلا والشاهد بتفسيرها ينطق في نفس كلام المتكلم، فإن صرفت منه معنى مفهوما إلى غير مفهوم، استحال، وإن صرفت عاما إلى خاص استحال، وإن صرفت خاصا منه إلى عام استحال أو بطل معناه، وأظن أنه ليس بك من الجهل بمعاني الكلام كل ما لا يعقل ما قلنا، ولكنك فيه كالغرق تتعلق بكل عود".

قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله: ﴿بِيَدَىَّ﴾ ولا يكون معناه إلا نعمتيَّ؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن تفسير كذا وكذا، مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾، وقال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾، وقال ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ الزخرف ٣، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾، ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره، ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لايحسن لسان العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه، عُلم أنهم إنما علموه لأنه بلسانهم نزل، وليس في لسانهم ما ادعوه.

٥٩- مسألة:

وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾، قالوا: الأيدي القوة، فوجب أن يكون معنى قوله: ﴿بِيَدَىَّ﴾ بقدرتيَّ.

وقيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجوه آخرها: أن الأيدي ليس بجمع لليد، لأن جمع يد أيدي، وجمع اليد التي هي نعمته أيادي، وإنما قال: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَىَّ﴾، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: ﴿بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾.

وأيضا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتيَّ، وهذا ناقض لقول مخالفنا، وكاسر لمذهبهم؛ لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة، فكيف يثبتون قدرتين.

وأيضا فلو كان الله عز وجل عنى بقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَىَّ﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك مزية، والله عز وجل أراد أن يُري فضل آدم عليه السلام إذ خلقه بيده دونه، ولو كان خالقا لإبليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن للتفضيل عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجا به على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك،

وقال له مُوبِّخا على استكباره على آدم أن يسجد له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾، دل على أنه ليس معنى الآية القدرة، إذا كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعا بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين؛ ولم يشارك إبليس آدم عليه السلام في أن خُلق بهما.

وليس يخلو قوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أن يكون معنى ذلك: إثبات يدين نعمتين، أو يكون معناه ذلك إثبات يدين جارحتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين، أو يكون معناه إثبات يدين، ليسا نعمتين، ولا جارحتين، ولا قدرتين، لا يوصفان إلا كما وصف الله عز وجل، فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين، لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت بيديَّ، وهو يعني نعمتيَّ، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين، ولا يجوز عند خصومنا أن نعني قدرتين.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة، صح القسم الرابع، وهو أن معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين، ليسا جارحتين، ولا قدرتين، ولا نعمتين، لا يوصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليسا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت.

٦٠– مسألة:

وأيضا فلو كان معنى قوله عز وجل: ﴿بِيَدَيَّ﴾ نعمتيَّ، لكان لا فضيلة لآدم عليه الصلاة والسلام على إبليس في ذلك على مذهب مخالفنا؛ لأن الله عز وجل قد ابتدأ إبليس على قولهم كما ابتدأ بذلك آدم عليه السلام، وليس تخلو النعمتان أن يكونا عنى بهما: بدن آدم عليه السلام، أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم عليه السلام. فلو كان عنى بدن آدم، فالأبدان عند مخالفنا من المعتزلة جنس واحد، وإذا كانت الأبدان عندهم جنسا واحدا، فقد حصل في جسد إبليس على مذاهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم عليه السلام.

وكذلك إن عني عرضين، فليس من عرض فعله في بدن آدم من لون أو حياة أو قوة أوغير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك، وإنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم عليه السلام في ذلك فضيلة، فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لم يعن نعمتيَّ[1].

٦١- مسألة:

ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يدين ليستا نعمتين؟.

فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: ولم قضيتم: إن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟، فإن رجعونا إلى شاهدنا وإلى ما نجده فيما بيننا من الخلق، فقالوا: اليد إذ لم تكن نعمة في الشاهد، لم تكن إلا جارحة.

---

[1] قال الدارمي في النقض على المريسي (١/٢٥٥، ٢٦٠ تحقيق الألمعي): ما عرفنا لآدم من ذريته ابنا أعق ولا أحسد منه، إذ ينفي عنه أفضل فضائله وأشرف مناقبه، فيسويه في ذلك بأخس خلق الله؛ لأنه ليس لآدم أفضل من أن الله بيده ومن بين خلائقه، ففضله بها على جميع الأنبياء والرسل والملائكة، ألا ترون موسى حين التقى مع آدم في المحاورة احتج عليه بأشرف مناقبه فقال: أنت الذي خلقك الله بيده؟ ولو لم تكن هذه مخصوصة لآدم دون من سوه ما كان يخصه بها فضيلة دون نفسه، إذ هو وآدم في خلق يدي الله سواء في دعوى المريسين ولذلك قلنا إنه لم يكن لآدم ابن أعق منه، إذ ينفي عنه ما فضله الله به على الأنبياء والرسل والملائكة المقربين ... وأي عقوق لآدم أعظم من أن يقول الله: خلقت أباك آدم بيدي دون من سواه من الخلائق فيقول: لا، ولكن خلقته بإرادتك، كما خلقت القردة والخنازير، والكلاب الخنافس العقارب، سواء".

وقال أيضا (١/٢٩٩): فافهم أيها المريسي أنك تأولت في يدي الله، أفحش مما تأولت اليهود؛ لأن اليهود قالوا: يد الله مغلولة، وادعيت أنها مخلوقة، ولما أنك تأولتها النعم والأرزاق وهي مخلوقة، فماذا لقي الله من عمايتكم هذه؟ تدعون أن يدي الله مخلوقتان، إنهما عندكم رزقاه حلاله وحرامه، وموسوعه ومقتوره، وهذه كلها مخلوقة".

قيل لهم: إن عملتم على الشاهد، وقضيتم به على الله عز وجل، فكذلك لم نجد حيا من الخلق إلا جسما لحما ودما، فاقضوا بذلك على الله عز وجل، وإلا كنتم لقولكم تاركين، ولاعتلالكم ناقضين، وإن أثبتم حيا لا كالأحياء منا، فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين، ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟.

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبِرا حكيما إلا إنسانا، ثم أثبتم أن للدنيا مدبِّرا حكيما ليس كالإنسان، وخالفتم الشاهد، ونقضتم اعتلالكم، فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين، من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

٦٢- مسألة:

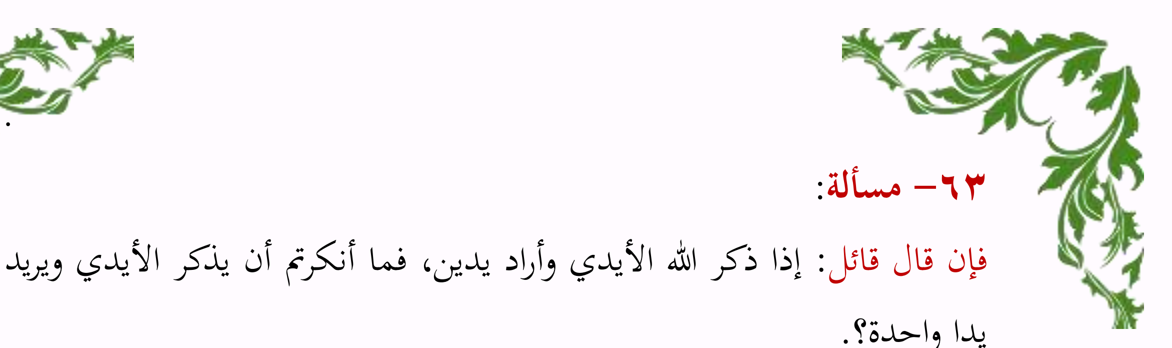
فإن قالوا: إذا أثبتم لله يدين لقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فلم لا أثبتم له أيدي لقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾.

قيل لهم: قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك، وجب أن يكون الله عز وجل ذكر أيدي، ورجع إلى إثبات يدين، لأن الدليل قد دل على صحة الإجماع.

وإذا كان الإجماع صحيحا، وجب أن يرجع من قوله ﴿أَيْدِينَآ﴾إلى يدين؛ لأن القرآن على ظاهره، ولانزيله عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر[1]، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقة لا يزول عنها إلا بحجة.

---

[1] استعمال صيغة الجمع وإرادة المثنى كثير في لغة العرب، وقد جاء في القرآن في مواضع منها قوله تعالى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ يريد بذلك قلب عائشة وحفصة، وهما اثنان، وقوله تعالى ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ يريد بذلك الأخوين فترث الأم معهما السدس، وقوله



٦٣- مسألة:

فإن قال قائل: إذا ذكر الله الأيدي وأراد يدين، فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يدا واحدة؟.

قيل له: ذكر الله عز وجل أيدي وأراد يدين، لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال: أيد كثيرة، وقول من قال: يدا واحدة، فقلنا: يدان؛ لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر.

تعالى﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ يريد بقوله ﴿عَلَيْهِمُ﴾ أي عليهما بالتثنية.

ولكثرة ذلك اختلف في أقل الجمع، فقيل: ثلاثة، وهو قول الجمهور، وقيل: اثنان، وهو قول بعض اللغويين، وذلك أنه إذا ضم شيء إلى شيء صارا جميعا بعد أن كانا فردين فجمعا، ليعلم أن الاثنين جمع، وهو قول عمر وزيد بن ثابت ومالك في رواية وداود الظاهري والقاضي الباقلاني والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني والغزالي، وهو أيضا قول الخليل وسيبويه والكوفيين من النحويين.

وقال ابن فارس في حلية الفقهاء (ص ٢٠٩): وأما الكتابة، فمن قولك: كتبت الشيء: إذا جمعته، فكأنه كتب عليه بما وقف عليه من مال، وجمعت عليه نجوم يؤديها منها ما وقف سيده، ولذلك المعنى لم يجز عند الشافعي أن يكون ذلك على أقل من نجمين، لأن أقل الجمع اجتماع شيئين".

وقال الباقلاني في التقريب والإرشاد (٣/١٦): وقد أنكر من الناس كون الاثنين جمعا، والذي نقوله أنهما أقل الجمع".

وقال فيه أيضا (٣/٣٢٢): وقد اختلف الناس في أقل الجمع الداخل تحت اللفظ من الصحابة رضوان الله عليهم.

فقال عثمان بن عفان وزيد بن ثابت:" إن أقل الجمع اثنان"، وبه قال جلة من الفقهاء منهم مالك بن أنس ومن قال بقوله/ وعليه كثير من أهل اللغة".

والمقصود من هذا أن قوله تعالى ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ يراد به اليدان، وهو ظاهر في ذلك في قول جماعة العلماء الذين ذكرتهم في أقل الجمع، وعلى قول من قال ثلاثة، فيجوز عندهم حمله على الاثنين بالقرينة المعتبرة، وهي هنا الإجماع المانع من إثبات الأيدي الكثيرة كما قرره المؤلف رحمه الله تعالى.

٦٤- مسألة:

فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ وقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ على المجاز؟.

قيل له: حكم كلام الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يُخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا لحجة، ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص، فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يُعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قول الله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ على ظاهره وحقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يُعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة، ولو جاز ذلك لجاز لمدَّعٍ أن يدعي أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدَّعيه بغير برهان، لم يجز لكم ما أدعيتموه أنه مجاز بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين، إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيديَّ، وهو يعني النعمتين.







الباب التاسع:

الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

قال الله عز وجل: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ وذكر العلم في خمسة مواضع من كتابه، وقال: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، وذكر القوة فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾، وقال: ﴿ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾.

وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لا علم له، ولا قدرة، ولا حياة، ولاسمع، ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله عالم قادر حي سميع بصير، فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك، فأتوا بمعناه؛ لأنهم إذا قالوا: لاعلم لله، ولا قدرة له، فقد قالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر، ووجب ذلك عليهم، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل، لأن الزنادقة قال كثير منهم: إن الله ليس بعالم ولا قادر ولا حيٍّ ولا سميع ولا بصير، فلم تقدر المعتزلة أن تُفصح بذلك، فأتت بمعناه، وقالت: إن الله عالم قادر حي سميع بصير من طريق التسمية، من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر.

٦٥- مسألة:

وقد قال رئيس من رؤسائهم، وهو أبو الهذيل العلاف: علم الله هو الله، فجعل الله عز وجل علما، وأُلْزِم، فقيل له: إذا قلت: إن علم الله هو الله فقل: يا علم اغفر لي وارحمني، فأبى ذلك، فلزمته المناقضة.

واعلموا رحمكم الله أن من قال: عالم ولا علم كان مناقضا، كما أن من قال علم ولا عالم كان مناقضا، وكذلك القول في القدرة والقادر، والحياة والحي، والسمع والبصر، والسميع، والبصير.

٦٦- جواب:

ويقال لهم: خبِّرونا أن من زعم أن الله متكلم قائل، لم يزل آمرا ناهيا، لا قول له ولا كلام، ولا أمر ولا نهي، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فكذلك من قال: إن الله عالم ولا علم له، كان مناقضا خارجا عن جملة المسلمين.

وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علما لم يزل، وقد قالوا: علم الله لم يزل، وعلم الله سابق في الأشياء، ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث، ونازلة تنزل: كل هذا سابق في علم الله، فمن جحد أن لله علما، خالف المسلمين، وخرج من اتفاقهم.

٦٧- جواب:

ويقال لهم: إذا كان الله مريدا أفله إرادة؟

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فإذا أثبتم مريدا لا إرادة له، فأثبتوا قائلا لا قول له، وإن أثبتوا الإرادة.

قيل لهم: فإذا كان المريد لا يكون مريدا إلا بإرادة، فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالما إلا بعلم، وأن يكون لله علم كما أثبتم له إرادة.

٦٨- مسألة:

وقد فرقوا بين العلم والكلام، فقالوا: إن الله عز وجل علَّم موسى وفرعون، وكلَّم موسى، ولم يُكلِّم فرعون.



فكذلك يقال: علَّم موسى الحكمة وفصل الخطاب، وآتاه النبوة، ولم يُعلِّم ذلك فرعون، فإن كان لله كلام؛ لأنه كلَّم موسى ولم يُكلِّم فرعون، فكذلك لله علم، لأنه علَّم موسى، ولم يُعلِّم فرعون.

ثم يقال لهم: إذا وجب أن لله كلاما به كلم موسى دون فرعون إذ كلم موسى دونه، فما أنكرتم إذا علَّمهما جميعا أن يكون له علم به علمهما جميعا؟.

ثم يقال لهم: قد كلم الله الأشياء بأن قال لها كوني، وقد أثبتم لله قولا، فكذلك إن علم الأشياء كلها، فله علم.

٦٩- جواب:

ثم يقال لهم: إذا أوجبتم أن لله كلاما وليس له علم؛ لأن الكلام أخص من العلم، والعلم أعم منه، فقولوا: إن لله قدرة، لأن العلم أعم عندكم من القدرة؛ لأن من مذاهب القدرية أنهم لا يقولون إن الله يقدر أن يخلق الكفر، فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم، فينبغي لهم أن يقولوا على اعتلالهم: إن لله قدرة.

٧٠- جواب:

ثم يقال: أليس الله عالما، والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف له بأنه متكلم مُكلِّم؟ ثم لم يجب؛ لأن الكلام أخص من أن يكون الله متكلما غير عالم، فلم لا قلتم: إن الكلام -وإن كان أخص من العلم- أن ذلك لا ينفي أن يكون لله علم، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالما.

٧١- جواب:

ويقال لهم: من أين علمتم أن الله عالم؟ .

فإن قالوا: بقوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.




قيل لهم: ولذلك فقولوا: إن لله علما بقوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾، وبقوله: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾، وكذلك قولوا: إن لله قوة لقوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾.

وإن قالوا: قلنا: إن الله عالم، لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة واتساق التدبير.

قيل لهم: فلم لا تقولون: إن لله علما لما ظهر في العالم من حكمه وآثار تدبيره؟ لأن الصنائع الحكمية لا تظهر إلا من ذي علم، كما لا تظهر إلا من عالم، وكذلك لا تظهر إلا من ذي قوة، كما لا تظهر إلا من قادر.

٧٢- جواب:

ويقال لهم: إذا نفيتم علم الله فهلا نفيتم أسماءه؟.

فإن قالوا: كيف ننفي أسماءه وقد ذكرها في كتابه؟

قيل لهم: فلا تنفوا العلم والقوة؛ لأنه تبارك وتعالى ذكر ذلك في كتابه العزيز.

٧٣- جواب:

ويقال لهم: قد علَّم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، ولا يجوز أن يُعلِّمه ما لا يعلمه، فكذلك لا يجوز أن يُعلِّم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا علم لله به، تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيرا.

٧٤- جواب

ويقال لهم: أليس إذا لعن الله الكافرين فلعنه لهم معنى، ولعن النبي صلى الله عليه وسلم لهم معنى؟

فإن قالوا: نعم.

فيقال لهم: فما أنكرتم من أن الله إذا علَّم نبيه صلى الله عليه وسلم شيئا فكان للنبي صلى الله عليه وسلم ولله سبحانه عِلْمٌ، وإذا كنا متى أثبتناه غاضبا على الكافرين

فلابد من إثبات غضب، وكذلك إذا أثبتناه راضيا عن المؤمنين فلابد من إثبات رضى، وكذلك إذا أثبتناه حيا سميعا بصيرا فلابد من إثبات حياة وسمع وبصر.

٧٥- جواب:

ويقال لهم: وجدنا اسم عالم اشتق من عِلْمٍ، واسم قادر اشتق من قدرة، وكذلك اسم حي اشتق من حياة، واسم سميع اشتق من سمع، واسم بصير اشتق من بصر، ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة، أو لإفادة معنى، أو على طريق التلقيب، فلا يجوز أن يسمى الله عز وجل على طريق التلقيب باسم ليس فيه إفادة معنى، وليس مشتقا من صفة.

فإذا قلنا: إن الله عز وجل عالم قادر فليس كذلك تلقيبا، كقولنا: زيد وعمرو، وعلى هذا إجماع المسلمين، وإذا لم يكن ذلك تلقيبا، وكان مشتقا من عِلْمٍ، فقد وجب إثبات العلم، وإن كان ذلك لإفادة معناه، فلا يختلف ما هو لإفادة معناه، ووجب إذا كان معنى العالم منا أن له علما أن يكون: كل عالم فهو ذو علم، كما إذا كان قولي: موجود مقيدا فينا الإثبات، كان الباري تعالى واجبا إثباته، لأنه سبحانه وتعالى موجود.

٧٦-مسألة:

ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية: أتقولون إن لله علما بالأشياء سابقا فيها، وبوضع كل حامل، وحمل كل أنثى، وبإنزال كل ما أنزل؟.

فإن قالوا: نعم، أثبتوا العلم، ووافقوا.

وإن قالوا: لا.

قيل لهم: جحد منكم لقول الله عز وجل: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾، ولقوله: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ ولقوله: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾.

وإذا كان قول الله عز وجل: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أوجب أنه عليم يعلم الأشياء كذلك، فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علما بالأشياء سبحانه وبحمده؟.

٧٧- جواب:

ويقال لهم: لله عز وجل علم بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه، فهل هو مريد لذلك؟ وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان؟.

فإن قالوا: نعم، وافقوا.

وإن قالوا: إذا أراد الإيمان فله إرادة.

قيل لهم: وكذلك إذا فرَّق بين أوليائه وأعدائه فلابد من أن يكون له علم بذلك، وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك، وليس للخالق عز وجل علم بذلك؟ هذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضيلة على الخالق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٧٨- جواب:

ويقال لهم: إذا كان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم له، فإذا زعمتم أن الله عز وجل لا علم له، لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخالق، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٧٩- جواب:

ويقال لهم: إذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، فما أنكرتم من أنه لابد من إثبات علم الله؟ وإلا ألحقتم به النقصان جل وعز عن قولكم وعلا، ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، ومن قال ذلك في الله عز وجل وصف الله سبحانه بما لا يليق به، فكذلك إذا كان من قيل له من الخلق لا

علم له لحقه الجهل والنقصان، فوجب أن لا يُنفى ذلك عن الله عز وجل، لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان.

٨٠- جواب:

ويقال لهم: هل يجوز أن تنسق الصنائع الحكمية ممن ليس بعالم؟

فإن قالوا: ذلك محال، ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من عالم قادر حيّ.

قيل لهم: وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكمية التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة، فإن جاز ظهورها لأ من ذي علم، فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حي؟.

وكل مسألة سألناهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع والبصر.

٨١- مسألة:

وزعمت المعتزلة أن قول الله عز وجل: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ معناه عليم.

قيل لهم: فإذا قال الله عز وجل: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ وقال: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾، فهل معنى ذلك عندكم عَلِمَ.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، أعلم وأعلم إذا كان بمعنى ذلك العلم.

٨٢- مسألة

ونفت المعتزلة صفات رب العالمين، وزعمت أن معنى سميع بصير، بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن السمع هو بصره ، وهو رؤيته، وهو كلامه، وهو علمه، وهو الله عز وجل، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

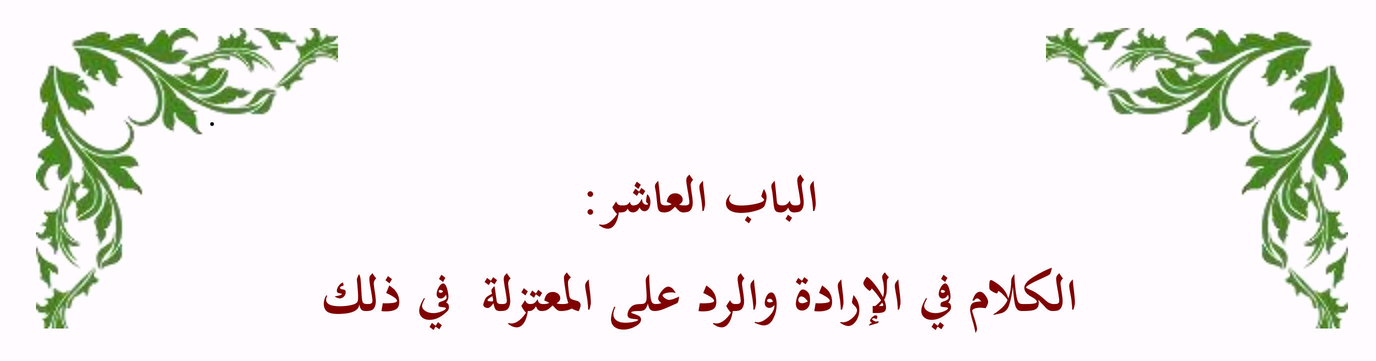
فيقال للمعتزلة: إذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى عالم، فهلا زعمتم أن معنى قادر بمعنى عالم؟ وإذا زعمتم أن معنى سميع وبصير بمعنى عالم قادر، فهلا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟ وإذا زعمتم أن معنى حي معنى قادر، فلم لا زعمتم أن معنى قادر معنى عالم؟.

فإن قالوا: هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدورا.

قيل لهم: ولو كان معنى سميع بصير معنى عالم لكان كل معلوم مسموعا، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم.







الباب العاشر:

الكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك

٨٣- مسألة

يقال لهم: ألستم تدعون أن الله عز وجل لم يزل عالما؟.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فلم لا تقولون: إن من لم يزل عالما أنه يكون في وقت من الأوقات، فلم يزل مريدا أن يكون في ذلك الوقت، وما لم يزل عالما أنه لا يكون، فلم يزل مريدا أن لا يكون، وأنه لم يزل مريدا أن يكون ما علم كما علم؟.

فإن قالوا: لا نقول: إن الله لم يزل مريدا؛ لأن الله مريد بإرادة مخلوقة.

يقال لهم: ولم زعمتم أن الله عز وجل مريد بإرادة مخلوقة؟ وما الفصل بينكم وبين الجهمية في زعمهم أن الله عالم بعلم مخلوق، وإذا لم يجز أن يكون علم الله مخلوقا، فما أنكرتم أن لا تكون إرادته مخلوقة؟.

فإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثا؛ لأن ذلك يقتضي أن يكون حدث بعلم آخر، كذلك لا إلى غاية.

قيل لهم: فما أنكرتم أن لا يكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن ذلك يقتضي أن تكون حدثت عن إرادة أخرى، ثم كذلك لا إلى غاية.

وإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثا؛ لأن من لم يكن عالما ثم علم لحقه النقصان.

قيل لهم: ولا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن من لم يكن مريدا ثم أراد لحقه النقصان، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثا مخلوقا.

٨٤- مسألة أخرى:

ويقال لهم: إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان وهو لا يريده، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون فلم يؤمنوا، فقد وجب على قولكم: أن أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله ألا يكون كان؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه الله عندكم أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان، وما لا يشاء لا يكون.

٨٥- مسألة أخرى:

ويقال لهم: يستفاد من قولكم: أن أكثر ما شاء أن يكون إبليس كان؛ لأن الكفر أكثر من الإيمان، وأكثر ما كان هو شاءه، فقد جعلتم مشيئة إبليس أنفذ من مشيئة رب العالمين، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه؛ لأن أكثر ما شاءه كان، وأكثر ما كان قد شاءه، وفي هذا إيجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين، تعالى الله عز وجل عن قول الظالمين علوا كبيرا.

٨٦- مسألة أخرى:

ويقال لهم: أيما أولى بصفة الاقتدار: من إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة، وإذا لم يرده لم يكن؟ أو من يريده أن يكون فلا يكون، ويكون ما لا يريد؟.

فإن قالوا: من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار كابروا.

وقيل لهم: إن جاز لكم ما قلتموه، جاز لقائل أن يقول: من يكون ما لا يعلمه أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه.

وإن رجعوا عن هذه المكابرة، وزعموا أن من إذا أراد أمرا كان، وإذا لم يرده لا يكون أولى بصفة الاقتدار، لزمهم على مذاهبهم أن يكون إبليس لعنه الله أولى بالاقتدار من الله عز وجل؛ لأن أكثر ما أراده كان، وكان أكثر ما كان قد أراده.

وقيل لهم: إذا كان من إذا أراد أمرا كان، وإذا لم يرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار، فيلزمكم أن يكون الله عز وجل إذا أراد أمرا كان، وإذا لم يرده لم يكن، لأنه أولى بصفة الاقتدار.

٨٧- مسألة:

ويقال لهم: أيما أولى بالألوهية والسلطان: من لا يكون إلا ما يعلمه، ولا يغيب عن علمه شيء، ولا يجوز ذلك عليه؟، أو من يكون ما لا يعلمه، ويعزب عن علمه أكثر الأشياء؟.

فإن قالوا: من لا يكون إلا ما يعلمه، ولا يعزب عن علمه شيء أولى بصفة الألوهية.

قيل لهم: فكذلك من لا يريد كون شيء إلا كان، ولا يكون إلا ما يريده، ولا يعزب عن إرادته شيء، أولى بصفة الألوهية كما قلتم ذلك في العلم.

وإن قالوا ذلك تركوا قولهم، ورجعوا عنه، وأثبتوا الله عز وجل مريدا لكل كائن، وأوجبوا أنه لا يكون إلا ما يريد أن يكون.

٨٨- مسألة:

ويقال لهم: إذا قلتم: إنه يكون في سلطانه تعالى ما لايريد، فقد كان إذن في سلطانه ما كرهه، فلابد من نعم.

فيقال لهم: فإذا كان في سلطانه ما يكرهه، فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما يأبى كونه؟ فإن أجابوا إلى ذلك.

قيل لهم: فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف والفقر، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.







٨٩- مسألة

ويقال لهم: أليس لما فعل العباد ما يسخطه تعالى، وما يغضب عليهم إذا فعلوه، فقد أغضبوه وأسخطوه؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فلو فعل العباد مالا يريد وما يكرهه لكانوا قد أكرهوه، وهذه صفة القهر، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٩٠-مسألة:

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، فلابد من نعم.

فيقال لهم: فمن زعم أن الله تعالى فعل ما لا يريد، وأراد أن يكون من فعله ما لا يكون، لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساه غافل عنه، أو أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه، فلابد من نعم.

فيقال لهم: فكذلك من زعم أنه يكون في سلطانه عز وجل ما لا يريده من عبيده لزمه أحد أمرين: إما أن يزعم أن ذلك كان عن سهو وغفلة، أو يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه.

٩١- مسألة:

ويقال لهم: أليس من زعم أن الله عز وجل فعل ما لا يعلمه، قد نسب الله سبحانه إلى ما لا يليق به من الجهل؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فكذلك من زعم أن عبد الله فَعَلَ ما لا يريده، لزمه أن ينسب الله سبحانه إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده.

فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلون ما لا يعلم الله، نسب الله تعالى إلى الجهل، فلابد من نعم.



فيقال لهم: فكذلك إذا كان في كل فعل فعله الله وهو لايريده، إيجاب سهو وضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، فكذلك إذا كان من غيره ما لايريده، وجب إثبات سهو وغفلة أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد، ولافرق في ذلك بين ما كان منه، وما كان من غيره.

٩٢- مسألة:

ويقال لهم: إذا كان في سلطان الله ما لا يريده وهو يعلمه، ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده، فما أنكرتم أن يكون في سلطانه ما لا يعلمه ولا يلحقه النقصان؟ فإن لم يجز هذا، لم يجز ما قلتموه.

٩٣-مسألة:

إن قال قائل: لم قلتم: إن الله مريد لكل كائن أن يكون، ولكل ما لا يكون ألا يكون؟.

قيل له: الدليل على ذلك: أن الحجة قد وصفت أن الله عز وجل خلق الكفر والمعاصي، وسنبين ذلك بعد هذا الموضع من كتابنا، وإذا وجب أن الله سبحانه خالق لذلك، فقد وجب أنه مريد له؛ لأنه لا يجوز أن يخلق مالا يريده.

٩٤- وجواب آخر:

أنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله عز وجل من اكتساب العباد ما لا يريده، كما لا يجوز أن يكون من فعله المجمع على أنه فعله ما لا يريده؛ لأنه لو وقع من فعله ما لا يعلمه، لكان في ذلك إثبات النقصان، وكذلك القول لو وقع من عباده ما لا يعلمه، فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده ما لا يريده، لأن ذلك يوجب أن يقع عن سهو وغفلة، أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، كما يجب ذلك لو وقع عن فعله المجمع على أنه فعله ما لا يريده.

وأيضا فلو كانت المعاصي وهو لا يشاء أن تكون، لكان قد كره أن تكون، وأبى أن تكون، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى، وهذا صفة الضعف، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقد أوضحنا أن الله لم يزل مريدا على الحقيقة الذي علمه عليها، فإذا كان الكفر مما يكون، وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون.

٩٥- مسألة:

ويقال لهم: إذا كان الله عز وجل علم أن الكفر يكون، وأراد أن لا يكون، فقد أراد أن يكون ما علم على خلاف ما علم، وإذا لم يجز ذلك، فقد أراد أن يكون ما علم كما علم.

٩٦- مسألة:

ويقال لهم: لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون، أن يكون قبيحا فاسدا؟.

فإن قالوا: لأن مريد السفه سفيه.

قيل لهم: ولم قلتم ذلك؟ أوليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فأراد ألا يقتل أخاه لئلا يعذب، وأن يقتله أخاه حتى يبوء بإثم قتله له، وسائر آثامه التي كانت عليه، فيكون من أصحاب النار، فأراد قتل أخيه الذي هو سفه، ولم يكن بذلك سفيها، فلم زعمتم أن الله سبحانه إذا أراد سفه العباد، وجب أن ينسب ذلك إليه؟.

٩٧- مسألة:

ويقال لهم: قد قال يوسف عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾، وكان سجنهم إياه معصية، فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه

إليه، ولم يكن بذلك سفيها، فما أنكرتم من أن لا يجب إذا أراد الباري سبحانه سفه العباد بأن يكون قبيحا منه، خلافا للطاعة أن يكون سفيها.

٩٨- مسألة أخرى:

ويقال لهم: أليس من يرى منا حرم[1] المسلمين كان سفيها، والله سبحانه يراهم ولا ينسب إلى السفه؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فما أنكرتم أن من أراد السفه منا كان سفيها، والله سبحانه يريد سفه السفهاء، ولا ينسب إليه أنه عز وجل سفيه، تعالى الله عن ذلك.

٩٩- مسألة أخرى:

ويقال لهم: السفيه منا إنما كان سفيها لما أراد السفه؛ لأنه نهي عن ذلك؛ ولأنه تحت شريعة من هو فوقه، ومن يحد له الحدود، ويرسم له الرسوم، فلما أتى ما نهي عنه كان سفيها، ورب العالمين جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة، ولا فوقه من يحد له الحدود، ويرسم له الرسوم، ولا فوقه مبيح ولا حاظر، ولا آمر ولا زاجر، فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحا أن ينسب إلى الى السفه سبحانه وتعالى.

١٠٠- مسألة أخرى

ويقال لهم: أليس من خلى بين عبيده وبين إمائه منا يزني بعضهم ببعض، وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكون سفيها، ورب العالمين عز وجل قد خلى بين عبيده

---

[1] هكذا في نسخة د. فوقية (حرم) بالحاء المهملة، وهو الأصح معنى، ولهذا اخترناه، ومعنى حرم المسلمين أي نساءهم، والنظر إليهن من المحظورا في حق الرجال إلا ما أبيح، والله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، فهو مطلع عليهن ظاهرا وباطنا.

وفي الأصل، ونسخة العصيمي (جرم) بالجيم، فعلق عليه العصيميم (ص ٤٤٩) وقال: كلام غير صحيح على إطلاقه. فإننا نرى الجرائم والمعاصي ولسنا سفهاء إذا كنا منكرين لها وغير راضين عنها، وإنما يكون سفيها من يراها شريطة أن يرضى عنها فليس مجرد الرؤية توجب السفه. ولعل مقصد المؤلف الراضي عن هذه المنكرات أو غير المنكر لها ولو في القلب".

وإمائه يزني بعضهم ببعض، وهو يقدر على التفريق بينهم وليس سفيها، وكذلك من أراد السفه منا كان سفيها، ورب العالمين عز وجل يريد السفه وليس سفيها.

١٠١- مسألة أخرى:

ويقال لهم: من أراد طاعة الله منا كان مطيعا، كما أن من أرد السفه كان سفيها، ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعا، فكذلك يريد السفه وليس سفيها.

١٠٢- مسألة أخرى:

ويقال لهم: قال الله عز وجل﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾، فأخبر أنه لو شاء ألا يقتتلوا ما اقتتلوا، قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من القتال، فإذا وقع القتال فقد شاءه، كما أنه قال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾، فقد وجب أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر، وأنهم إذا لم يردهم إلى الدنيا لم يعودوا، وكذلك لو شاء الله ألا يقتتلوا ما اقتتلوا، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا.

١٠٣- مسألة:

ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، وإذا حق القول بذلك فما شاء أن يؤتى كل نفس هداها؛ لأنه إنما لم يؤتها هداها لما حق القول بتعذيب الكافرين، وإذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها.

فإن قالوا: معنى ذلك لو شئنا لأجبرناهم على الهدى و اضطررناهم إليه.

قيل لهم: فإذا أجبرهم على الهدى واضطرهم إليه أيكونون مهتدين؟.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كان إذا فعل الله الهدى كانوا مهتدين، فما أنكرتم لو فعل كفر الكافرين لكانوا كافرين، وهذا هدم لقولهم؛ لأنهم زعموا أنه لايفعل الكفر إلا كافر.

ويقال لهم أيضا: على أي وجه يؤتيهم على الهدى لو آتاهم إياه وشاء ذلك لهم؟

فإن قالوا: على الإلجاء.

قيل لهم: وإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه على طريق الإلجاء؟.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ما حق منه من القول أنه يملأ جهنم، وإذا كان لو ألجأهم لم يكن نافعا لهم ولا مزيلا للعذاب عنهم، كما لم ينفع فرعون قوله الذي قاله عند الغرق والإلجاء، فلا معنى لقولكم؛ لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداها، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب.

١٠٤- مسألة أخرى:

ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾، فأخبر أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لبسط للكافرين الرزق، وجعل لبيوتهم سقفا من فضة، لكنه لم يبسط لهم الرزق، ولم يجعل للكافرين سقفا من فضة، فما أنكرتم من أنه لو لم يرد أن يكون الكافرون ما خلقهم، مع علمه بأنه إذا خلقهم كانوا كافرين، كما أنه لو أراد أن يكون الناس على الكفر مجتمعين لجعل للكافرين سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون؛ لكنه لم يجعل للكافرين سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون، لئلا يكون الناس جميعا على الكفر متطابقين، إذا كان في علمه أنه لو فعل ذلك لكانوا جميعا على الكفر متطابقين.







الباب الحادي عشر:
في تقدير أعمال العباد والاستطاعة
والتعديل والتجويز

يقال للقدرية: هل يجوز أن يُعلِّم الله عز وجل عباده شيئا لا يعلمه؟.

فإن قالوا: لا يُعلِّم الله عباده شيئا إلا وهو عالم به.

قيل لهم: فكذلك لا يُقدِرهم على شيء إلا وهو عليه قادر، فلابد من الإجابة إلى ذلك.

فيقال لهم: فإذا أقدرهم على الكفر فهو قادر على أن يخلق الكفر له،م وإذا قدر على خلق الكفر لهم فلم أثبتم أن يخلق كفرهم فاسدا متناقضا باطلا، وقد قال الله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وإذا كان الكفر مما أراد الله فقد فعله وقدَّره.

١٠٤- مسألة:

ويُردُّ عليهم في اللطف، يقال لهم: أليس الله عز وجل قادرا على أن يفعل بخلقه من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا؟ وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا؟ كما قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وكما قال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ الآية، فلابد من نعم.

فيقال لهم: فما أنكرتم من أنه قادر أن يفعل بهم لطفا لو فعله بهم لآمنوا أجمعون، كما أنه قادر أن يفعل بهم أمرا لو فعله بهم لكفروا كلهم.






١٠٥–مسألة أخرى:

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل:﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ وقال: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾، يعني في وسط الجحيم، قال: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾، ما الفضل الذي فعله بالمؤمنين الذي لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان؟ ولو لم يفعله ما زكى منهم من أحد أبدا؟ وما النعمة التي لو لم يفعلها لكان من المحضرين؟، وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص به المؤمنين؟.

فإن قالوا: نعم، تركوا قولهم، وأثبتوا لله عز وجل نعما وفضلا على المؤمنين ابتدأهم بجميعه، ولم ينعم بمثله على الكافرين، وصاروا إلى القول بالحق.

وإن قالوا: قد فعل الله ذلك أجمع بالكافرين كما فعله بالمؤمنين.

قيل لهم: فإذا كان الله عز وجل قد فعل ذلك أجمع بالكافرين، فلم يكونوا زاكين، وكانوا للشيطان متبعين، وفي النار محضرين.

وهل يجوز أن يقول للمؤمنين: لولا أني خلقت لكم الأييد والأرجل لكنتم للشيطان متبعين؟ وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين.

فإن قالوا: لا يجوز ذلك.

قيل لهم: وكذلك لا يجوز ما قلتموه، وهذا يبين أن الله عز وجل اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يعط الكافرين، وفضل عليهم المؤمنين.

١٠٦– في الاستطاعة

ويقال لهم: أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله عز وجل فضلا وإحسانا؟

فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون توفيقا وتسديدا؟ فلابد من الإجابة إلى ذلك.

ويقال لهم: فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان، فما أنكرتم أن يكونوا موفَّقين للإيمان، ولو كانوا موفَّقين مسدَّدين لكانوا ممدوحين، وإذا لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على الإيمان قادرين، وجب أن يكون الله عز وجل اختص بالقدرة على الإيمان المؤمنين.

١٠٧–مسألة أخرى

ويقال لهم: لو كانت القدرة على الكفر قدرة على الإيمان فقد رغب إليه في القدره على الكفر، فلما رأينا المؤمنين يرغبون إلى الله عز وجل في قدرة الإيمان، ويزهدون في قدرة الكفر، علمنا أن الذي رغبوا فيه غير الذي زهدوا فيه.

١٠٨– مسألة أخرى

ويقال لهم: أخبرونا عن قوة الإيمان أليست فضلا من الله عز وجل؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فالتفضل أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به، وله أن يتفضل به؟ فلابد من الإجابة إلى ذلك، لأن ذلك هو الفرق بين الفضل وبين الاستحقاق.

ويقال لهم: وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان، وإن خذلهم لم يعطهم قدرة على الإيمان، وهذا هو قولنا ومذهبنا.

١٠٩– مسألة

ويقال لهم: هل يقدر الله على توفيق يوفِّق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين؟

فإن قالوا: لا. نطقوا بتعجيز الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وإن قالوا: نعم، يقدر على ذلك، ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا، تركوا قولهم، وقالوا بالحق.







١١٠ – مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ وعن قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قيل لهم: معنى ذلك أنه لا يريد أن يظلمهم؛ لأنه قال: وما الله يريد ظلما لهم، ولم يقل: لا يريد ظلم بعضهم لبعض، فلم يرد أن يظلمهم، وإن كان أراد ظلم بعضهم لبعض، أي فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن يتظالموا.

١١١– مسألة

وإن سألوا عن قول الله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ الملك ٣، قالوا: والكفر متفاوت، فكيف يكون من خلق الله؟.

والجواب: عن ذلك أن الله عز وجل قال: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ الملك: ٣ – ٤، فإنما عنى حينئذ وما ترى في السموات من فطور؛ لأنه ذكر خلق السموات ولم يذكر الكفر، وإذا كان هذا على ما قلنا بطل ما قالوه، والحمد لله رب العالمين.

١١٢ – مسألة

ويقال لهم: هل تعرفون لله عز وجل نعمة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه خُصَّ بها دون أبي جهل ابتداء؟.

فإن قالوا: لا، فحش قولهم.

وإن قالوا: نعم، تركوا مذهبهم؛ لأنهم لا يقولون: إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين.





١١٣- مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ ص ٢٧ – ٢٨، فقالوا: هذه الآية تدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل.

والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل أراد تكذيب المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا إعادة، فقال تعالى: ما خلقت ذلك وأنا لا أثيب من أطاعني، ولا أعاقب من عصاني، كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشور ولا ثواب ولا عقاب، ألا تراه قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وبين ذلك بقوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ أي لا نسوي بينهم في أن نفنيهم أجمعين ولا نعيدهم، فيكون سبيلهم سبيلا واحدا.

١١٤ – مسألة:

وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ النساء ٧٩.

والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل قال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ النساء ٧٨، يعني الخصب والخير ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني الجدوبة والقحط والمصائب، ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ أي لشؤمك، قال الله عز وجل: يا محمد ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء: ٧٨، في قولهم ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، فحذف قولهم؛ لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه؛ لأن القرآن لا يتناقض، ولا يجوز أن يقول في آية: إن الكل من عند الله، ثم يقول في الآية الأخرى التي تليها: إن الكل ليس

من عند الله، على أن ما أصاب الناس هو غير ما أصابوه، وهذا يبين بطلان تعلقهم بهذه الآية، ويوجب عليهم الحجة.

١١٥ – مسألة

وإن سألوا عن قول الله عز وجل﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات ٥٦.

فالجواب عن ذلك: أن الله عز وجل إنما عنى المؤمنين دون الكافرين؛ لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثيرا من خلقه، فالذين خلقهم لجهنم وأحصاهم وعدَّهم وكتبَهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء أمهاتهم غير الذي خلقهم لعبادته.

١١٦ – في التكليف

ويقال لهم: أليس قد كلف الله عز وجل الكافرين أن يسمعوا الحق ويقبلوه ويؤمنوا بالله؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فقد قال الله عز وجل: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ هود: ٢٠، وقال: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ الكهف: ١٠١، وقد كلفهم استماع الحق.

١١٧– مسألة

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ القلم ٤٢، أليس قد أمرهم عز وجل بالسجود في الآخرة؟ وجاء في الخبر"أن المنافقين يجعل في أصلابهم كالصفائح فلا يستطيعون السجود"[١].

---

[١] **صحيح**: رواه مسلم (رقم ٣٠٢/١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا، وفيه:" فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة. كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ..." الحديث.

وله شاهد من حديث ابن مسعود: رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (رقم ٢٩) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١٢٠٣) والدارقطني في الرؤية (رقم ١٦٣) من طريق زيد بن أنيسة، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (رقم ٢٨٧) وابن خزيمة في التوحيد (٥٨٣/٢) والطبراني في الكبير (رقم ٩٧٦٣) والدارقطني في الرؤية (رقم

و في هذا تثبيت لما نقوله من أنه لا يجب لهم على الله عز وجل إذا أمرهم أن يُقدِرهم، وهو بطلان قول القدرية.

١١٨ – في إيلام الأطفال

ويقال لهم: أليس قد آلم الله عز وجل الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم؟ كنحو الجذام الذي يقطع أيديهم وأرجلهم وغير ذلك مما يؤلمهم به، وكان ذلك سائغا جائزا.

فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كان هذا عدلا فما أنكرتم أن يؤلمهم في الآخرة، ويكون ذلك منه عدلا.

فإن قالوا: آلمهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء.

قيل لهم: فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء، وكان ذلك منه عدلا فلم لا يؤلم أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم ويكون ذلك منه عدلا؟.

وقد قيل في الخبر" إن الأطفال المشركين تؤجج لهم نار يوم القيامة، ثم يقال لهم: اقتحموها، فمن اقتحمها أدخله الجنة، ومن لم يقتحمها أدخله النار"[(١)].

---

١٦٢) والحاكم في المستدرك (رقم ٢٤٢٤) من طريقين عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود مرفوعا.

وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في مختصر العلو (ص ١١٠ رقم ٦٩) وصحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٩١/١٦).

وله شاهد من حديث أبي موسى الأشعري: رواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٦٣٠) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه به.

ورجاله ثقات غير علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، لكنه يتقوى بما قبله.

[(١)] **ضعيف**: تقد تخريجه في الباب الثاني، فقرة (رقم ٤٨) فليراجع.

وقد قيل في الأطفال، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم:" إن شئت أسمعتك ضغاءهم في النار"[1].

١١٩- مسألة

ويقال لهم: أليس قد قال الله تبارك و تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ المسد: ١ – ٣.

وأمره مع ذلك بالإيمان، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن، وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن. وأمره مع ذلك أن يؤمن، ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون، ولا يقدر القادر على أن يؤمن، وأن يعلم أنه لا يؤمن، وإذا كان هذا هكذا، فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه، لأنه أمره أن يؤمن، وأنه يعلم أنه لا يؤمن.

١٢٠- مسألة

ويقال لهم: أليس أمر الله عز وجل بالإيمان من علم أنه لا يؤمن؟

فمن قولهم: نعم، يقال لهم: فأنتم قادرون على الإيمان ويتأتى لكم ذلك ؟[2].

---

[1] **ضعيف جدا**: رواه أحمد (رقم ٢٥٧٤٣) والطيالسي في مسنده (رقم ١٥٧٦) وابن عبد البر في التمهيد (١٢٢/١٨) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٤٤١/٢-٤٤٢ رقم ١٠٤١) من طريق أبي عقيل يحي بن المتوكل عن بهية عن عائشةرضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا:" لو شئت لأسمعتك تضاغيهم في النار يعني الأطفال " .

وهذا إسناد ضعيف جدا، وفيه أبو عقيل يحي بن المتوكل مولى بهية، وهو متروك كما في ترجمته، ولهذا قال الحافظ في الفتح (٢٩٠/٣): وهو حديث ضعيف جدا".

قال ابن عبد البر: أبو عقيل هذا صاحب بهية لا يحتج به عند أهل العلم بالنقل".

و به ضعفه الهيثمي في المجمع (٢١٧/٧) والألباني في ظلال الجنة (٩٥/١) والأرناؤط في تحقيق العواصم لابن الوزير (٢٤٨/٧) وقال ابن الجوزي في العلل : لا يصح وأعله بما تقدم.

وقال ابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود (٣١٦/١٢ عون المعبود) بعد ذكره لحديث عائشة هذا: حديث واه يعرف به واه وهو أبو عقيل".

[2] يعني لو فرضنا أنكم على هذه الصفة، فهل تقولون إنكم قادرون على الإيمان ويتأتى لكم ذلك؟

فإن قالوا: لا، وافقوا، وإن قالوا: نعم، زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا.

١٢١- الرد على المعتزلة

قال أبو الحسن الأشعري:

ويقال لهم: أليس المجوس أثبتوا أن الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله عز وجل عليه، فكانوا بقولهم هذا كافرين؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر، والله عز وجل لا يقدر عليه، فقد زدتم على المجوس في قولهم؛ لأنكم تقولون معهم: إن الشيطان يقدر على الشر والله لا يقدر عليه[١].

وهذا مما بينه الخبر عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:" إن القدرية مجوس هذه الأمة"[٢]، وإنما صاروا مجوس هذه الأمة لأنهم قالوا بقول المجوس.

١٢٢- مسألة

وزعمت القدرية: أنا نستحق اسم القدر؛ لأنا نقول: إن الله –عز وجل– قدر الشر والكفر، فمن يثبت القدر كان قدريا دون من لم يثبته.

يقال لهم: القدريُّ هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل، وأنه يُقَدِّرُ أفعاله دون خالقه، وكذلك هو في اللغة؛ لأن الصائغ هو من زعم أنه يصوغ دون من يقول: إنه يصاغ له، والنجار هو من يضيف النجارة إلى نفسه دون من زعم أنه يُنجَرُ له، فلما كنتم تزعمون أنكم تُقدِّرون أعمالكم وتفعلونها دون ربكم، وجب أن

---

[١] يعني أنكم شاركتم المجوس في قدرة الشيطان على ما لا يقدر الله عز وجل عليه، وزدتم على المجوس أن الكافرين من البشر أيضا يقدرون على ما لا يقدر الله عليه.

[٢] حسن: تقدم تخريجه في الباب الأول في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة.

تكونوا قدرية، ولم نكن نحن قدرية، لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا عز وجل، ولم نقل: إنا نُقدِّرها دونه، وقلنا: إنها تُقدر لنا.

١٢٣- جواب

ويقال لهم: إذا كان من أثبت التقدير لله عز وجل قدريا، فيلزمكم إذا زعمتم أن الله عز وجل قدر السموات والأرض، وقدر الطاعات أن تكونوا قدرية، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم، وانتقض كلامكم.

١٢٤ – مسألة في الختم

يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ﴾ البقرة ٧، وقال عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ الأنعام ١٢٥، فخَبِّرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم؟.

فإن قالوا: نعم، تناقض قولهم.

وقيل لهم: وكيف القفل الذي قال الله عز وجل: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ محمد ٢٤ مع الشرح، والضيق مع السعة، والهدى مع الضلال؟ إن كان هذا جازا أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هو ضد التوحيد، والكفر والإيمان معا في قلب واحد إن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه.

فإن قالوا: الختم والضيق والضلال لا يجوز أن يجتمع مع شرح الله الصدر.

قيل لهم: وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال، وإذا كان هكذا فما شرح الله صدور الكافرين للإيمان، بل ختم على قلوبهم، وأقفلها عن الحق، وشدد عليها، كما دعا نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام على قومه، فقال: رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾يونس ٨٨، وقال الله عز وجل: ﴿قَدۡ

﴿أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾يونس ٨٩، وقال عز وجل يخبرا عن الكافرين أنهم قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ فصلت ٥، فإذا خلق الله الأكنةَ في قلوبهم والقفلَ والزيغَ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾الصف ٥؛ والختمَ وضيقَ الصدر، ثم أمرهم بالإيمان الذي علم أنه لا يكون، فقد أمرهم بما لا يقدرون عليه.

وإذا خلق الله في قلوبهم ما ذكرناه من الضيق عن الإيمان، فهل الضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم، وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم.

١٢٥- جواب:

ويقال لهم: قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ الإسراء ٧٤، وقال تعالى مخبرا عن يوسف: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ يوسف ٢٤، فحدثونا عن ذلك التثبيت والبرهان، هل فعله الله عز وجل بالكافرين أو ما هو مثله؟.

فإن قالوا: لا، تركوا القول بالقدر.

وإن قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كان لم يركن إليهم من أجل التثبيت فيجب لو كان فعل ذلك بالكافرين أن لا يثبتوا عن الكفر، وإذا لم يكونوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بالنبي صلى الله عليه وسلم من التثبيت الذي لما فعله به لم يركن إلى الكافرين.

١٢٦- مسألة في الاستثناء

يقال لهم: خبّرونا عن مطالبة رجل بحق، فقال له: والله لأعطينك ذلك غدا إن شاء الله، أليس الله شائيا أن يعطيه حقه؟.

فمن قولهم: نعم.

يقال لهم: أفرأيتم إن جاء الغد فلم يعطه حقه، أليس لايحنث؟ فلابد من نعم.

فيقال لهم: فلو كان الله مشيئا أن يعطيه حقه لحنث إذا لم يعطه، كما لو قال: والله لأعطينك حقك إذا طلع الفجر غدا، ثم طلع الفجر ولم يعطه يكون حانثا.

١٢٧- مسألة في الآجال

يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ الأعراف ٣٤، و قال ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ المنافقون ١١، فلابد من نعم.

يقال لهم: فخبرونا عمن قتله قاتل ظلما، أتزعمون أنه قتل في أجله أو بغيرأجله؟.

فإن قالوا: نعم، وافقوا وقالوا بالحق، وتركوا القدر.

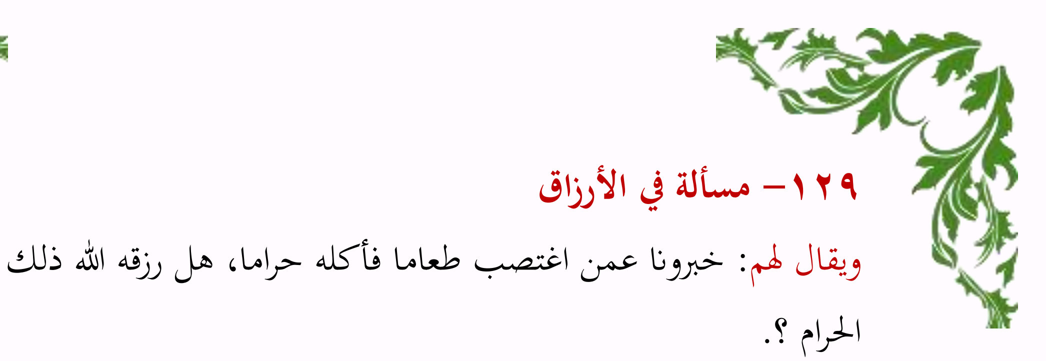
وإن قالوا: لا.

قيل لهم: فمتى أجل هذا المقتول؟.

فإن قالوا: الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لتزوج امرأة علم أنها امرأته، وإن لم يبلغ إلى أن يتزوجها، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يقتل وبقي لكفر أن يكون النار داره، وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ إليه أجلا له، على أن هذا القول لا يفيد لقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾.

١٢٨ – مسألة أخرى

ويقال لهم: إذا كان القاتل عندكم قادرا على ألا يقتل هذا المقتول فيعيش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيره إلى أجله، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يبقي العباد ويبلغهم ويخرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين.



١٢٩- مسألة في الأرزاق

ويقال لهم: خبرونا عمن اغتصب طعاما فأكله حراما، هل رزقه الله ذلك الحرام ؟.

فإن قالوا: نعم تركوا القدر.

وإن قالوا: لا.

قيل لهم: فمن أكل جميع عمره الحرام فما رزقه الله شيئا اغتذى به جسمه.

ويقال لهم: إذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام، ويطعمه إياه إلى أن مات، فرازق هذا الإنسان عندكم غير الله؟ وفي هذا إقرار منهم أن للخلق رازقين: أحدهما يرزق الحلال، والآخر يرزق الحرام، وأن الناس تنبت لحومهم وتشتد عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به.

وإذا قلتم: إن الله لم يرزقه الحرام، لزمكم أن الله لم يغذه به، ولا جعله قواما لجسمه، وأن لحمه وجسمه قام، وعظمه اشتد بغير الله عز وجل، وهو ممن رزقه الحرام، وهذا كفر عظيم إن احتملوا.

١٣٠- مسألة أخرى في الأرزاق

ويقال لهم: لم أبيتم أن يرزق الله الحرام؟

فإن قالوا: لأنه لو رزق الحرام لملَّك الحرام.

يقال لهم: خبِّرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش من يرزقهما ذلك؟.

فإن قالوا: الله.

قيل لهم: فهل ملَّكهما؟ وهل للبهيمة مِلك؟.

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لملَّك الحرام، وقد يرزق الله الشيء ولا يملكه؟.

ويقال لهم: هل أقدر الله العبد على الحرام ولم يملكه إياه؟.

فإن قالوا: نعم.

يقال لهم: فما أنكرتم أن يرزقه الحرام، وإن لم يملكه إياه.

١٣١- جواب

يقال لهم: إذا كان توفيق المؤمنين بالله فما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله؟ وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين للإيمان، فقولوا: عصمهم من الكفر، وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم؟.

فإن أثبتوا أن الله خذلهم. قيل لهم: فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم؟.

فإن قالوا: نعم وافقوا.

وإن قالوا: لا. قيل لهم: فما ذلك الخذلان الذي خلقه؟.

فإن قالوا: تخليته إياهم والكفر.

قيل لهم: أوليس من قولكم إن الله عز وجل خلى بين المؤمنين وبين الكفر؟

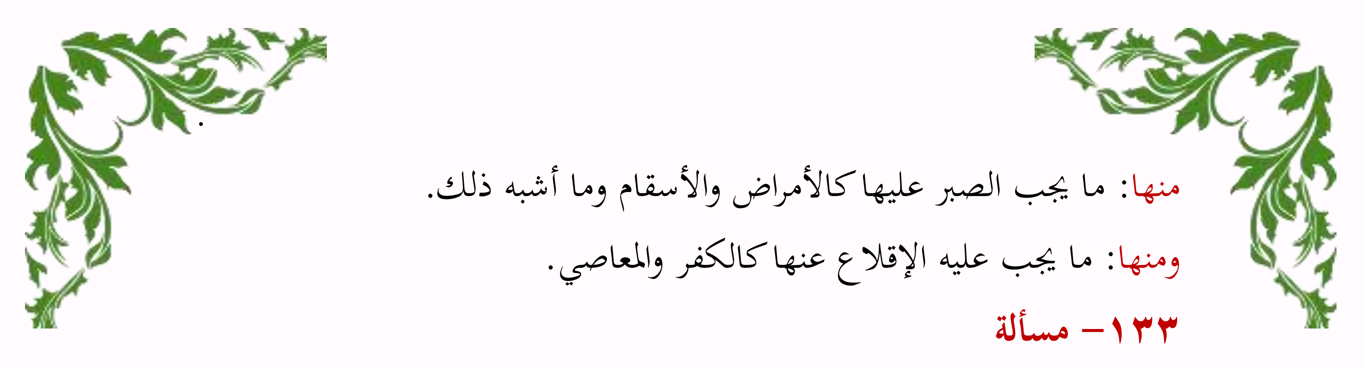
فإن قالو: نعم.

قيل لهم: فإذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر، فقد لزمكم أن يكون خذل المؤمنين؛ لأنه خلى بينهم وبين الكفر، وهذا خروج عن الدين، فلابد لهم أن يثبتوا لهم الخذلان للكفر الذي خلقه الله فيهم، فيتركوا القول بالقدر.

١٣٢- مسألة

إن سأل سائل من أهل القدر، فقال: هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها، أو بلية يجب عليه الصبر عليها.

قيل له: العبد لا يخلو من نعمة وبلية، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها، والبلايا على ضربين:



منها: ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك.

ومنها: ما يجب عليه الإقلاع عنها كالكفر والمعاصي.

١٣٣– مسألة

وإن سألوا فقالوا: أيما خير، الخير أو مَن الخيرُ منه؟.

قيل لهم: من كان الخير منه، متفضلا به، فهو خير من الخير.

فإن قالوا: فأيما شرٌّ، الشر أو مَن الشر منه؟.

قيل لهم: من كان الشر منه، جائرا به، فهو شر من الشر، والله عز وجل يكون منه الشر خلقا، وهو عادل به، فكذلك لا يلزمنا ما سألتم عنه، على أنكم ناقضون لأصولكم؛ لأنه إن كان مَن كان الشر منه، فهو شر من الشر، وقد خلق الله عز وجل إبليس الذي هو شر من الشر الذي يكون منه، فقد خلق ما هو شر من الشرور كلها، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم.

١٣٤–مسألة في الهدى

يقال للمعتزلة: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ البقرة ١ – ٢، فأخبر أن القرآن هدى للمتقين؟ فلا بد من نعم.

يقال لهم: أوليس قد ذكر الله عز وجل القرآن فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾فصلت ٤٤، فخبر أن القرآن عليهم عمى؟ فلابد من نعم.

ويقال لهم: فهل يجوز أن يكون من خبر الله عز وجل أن القرآن له هدى هو عليه عمى؟، فلابد من لا.

فيقال لهم: فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله أنه له هدى، كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى.






١٣٥–مسألة أخرى:

ثم يقال لهم: إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى لمن قبل ولمن لم يقبل، فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر إضلالا لمن قبل ولمن لم يقبل، فإن كان دعاء إبليس إلى الكفر إضلالا للكافرين الذين قبلوا عنه دون المؤمنين الذين لم يقبلوا عنه، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله عز وجل إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه، وإلا فما الفرق بين ذلك؟.

١٣٦–مسألة أخرى:

ويقال لهم: أليس قال الله عز وجل: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦، قيل يدل قوله: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ على أنه لم يضل الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال يضل به الكل، فلما قال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ علمنا أنه لم يضل الكل؟ فلا بد من نعم.

يقال لهم: فما أنكرتم أن قوله:﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ دليل على أنه لم يرد به الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال ويهدي به الكل، فلما قال: ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ علمنا أنه لم يهد الكل، وفي هذا إبطال قولكم: إن الله هدى الخلق أجمعين.

١٣٧ – مسألة أخرى:

ويقال لهم: إذا قلتم: إن دعاء الله إلى الإيمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نفعا وصلاحا وتسديدا للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر، وإن لم يكونوا من الكفر معتصمين، وأن يكون توفيقا للإيمان وإن لم يوفقوا للإيمان.

وفي هذا ما يجب أن الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان وإن كانوا كافرين، وهذا مما لا يجوز، لأن الكافرين مخذولون، وكيف يكونون موفقين للإيمان وهم مخذولون؟.

فإن جاز أن يكون الكافر موفقا للإيمان، فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متفقا، فإن استحال هذا، فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه.

١٣٨ – مسألة في الإضلال:

يقال لهم: أضل الله الكافرين عن الإيمان أو عن الكفر؟.

فإن قالوا: عن الكفر.

قيل لهم: فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه وهم كافرون؟.

وإن قالوا: أضلهم عن الإيمان تركوا قولهم.

وإن قالوا: نقول: إن الله أضلهم ولم يضلهم عن شيء.

قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء؟ فإن استحال أن يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان، فما أنكرتم من أنه محال أن يضل الكافرين لا عن الإيمان.

١٣٩ – مسألة أخرى:

ويقال لهم: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إبراهيم ٢٧؟

فإن قالوا: معنى ذلك أنه يسميهم ضالين، ويحكم عليهم بالضلال.

قيل لهم: أليس خاطب الله العرب بلغتها، فقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ الشعراء ١٩٥ وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ إبراهيم ٤، فلابد من نعم.

يقال لهم: فإذا كان أنزل الله عز وجل القرآن بلسان العرب، فمن أين وجدتم في لغة العرب، أن يقال أضل فلان فلانا، أي سماه ضلالا؟

فإن قالوا: وجدنا القائل يقول: إذا قال رجل لرجل: ضال: قد ضلَّلته.

قيل لهم: قد وجدنا العرب يقولون: ضلَّل فلانا إذا سماه ضالا. ولم نجدهم يقولون أضل فلان فلانا بهذا المعنى، فلما قال عز وجل: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إبراهيم:

٢٧، لم يجز أن يكون ذلك معنى الاسم والحكم، إذا لم يجز في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانا إذا سماه ضالا بطل تأويلكم إذا كان خلاف لسان العرب[1].

١٤٠ – مسألة أخرى

ويقال لهم: إذا قلتم: إن الله أضل الكافرين بأن سماهم ضالين، وليس ذلك في اللغة على ما ادعيتموه، فيلزمكم إذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم قوما ضالين فاسدين بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن سماهم ضالين فاسدين. وإذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الاسم والحكم كما ادعيتم.

١٤١ – مسألة أخرى

ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ الكهف ١٧، وقال عز وجل: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ﴾ آل عمران ٨٦، فذكر أنه لا يهديهم، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ يونس ٢٥، فجعل الدعاء عاما والهدى خاصا، وقال: ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ البقرة ٢٦٤، فإذا أخبر الله عز وجل أنه لا يهدي القوم الكافرين، فكيف يجوز لقائل أن يقول: إنه يهدى الكافرين، مع إخباره بأنه لا يهديهم، ومع قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ القصص ٥٦، ومع قوله: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ البقرة ٢٧٢، ومع قوله: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ السجدة ١٣، وإن جاز هذا جاز أن يقال: أضل الله المؤمنين مع قوله: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ﴾، ومع قوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ البقرة ٢، فإن لم يكن ذلك، فما أنكرتم أنه لا

[1] خلاصة هذا الجواب: التفريق بين (أضل) على وزن (أفعل) وبين (ضلل) على وزن (فعلل) فالأول ثلاثي مزيد بحرف، والثاني رباعي مجرد، وفرق بين دلالة المجرد والمزيد.

يجوز أن يهدي الكافرين مع قوله: ﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، ومع سائر الآيات التي طالبناكم بها.

١٤٢ – مسألة

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ﴾ الجاثية ٢٣، فلابد من نعم.

يقال لهم: فأضلهم ليضلوا أو ليهتدوا؟

فإن قالوا: أضلهم ليهتدوا.

قيل لهم: وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا، وإن جازهذا، جاز أن يهديهم ليضلوا؟ وإذا لم يجز أن يهدي المؤمنين ليضلوا، فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا.

١٤٣ – مسألة

ويقال لهم: إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا، فما أنكرتم أن ينفعهم فلا ينتفعون، وأنه يصلحهم فلا ينصلحون، وإذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه، فما أنكرتم من أنه يضر من لا تلحقه المضرة، فإن كان لا يضر إلا من يلحقه الضرر، فكذلك لا ينفع إلا منتفعا، ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعا، جاز أن يُقدِّر من ليس مقتدرا، وإذا استحال ذلك استحال أن ينفع من ليس منتفعا، ويهدي من ليس مهتديا.

١٤٤ – مسألة

مسألة تسألونا عنها: تقولون: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ﴾ البقرة ١٨٥، فما أنكرتم أن يكون القرآن هدى للكافرين والمؤمنين.

قيل لهم: الآية خاصة، لأن الله عز وجل قد بيّن لنا أنه هدى للمتقين، وخبَّرنا أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض، فوجب أن يكون قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أراد المؤمنين دون الكافرين.

١٤٥ – مسألة

فإن قال قائل: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ يس ١١، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ النازعات ٤٥، وقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتبع الذكر ومن لم يتبع، ومن خشي ومن لم يخش.

قيل له: نعم.

فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون قوله: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ أراد به هدى لهم ولغيرهم.

قيل لهم: إن معنى قول الله عز وجل: ا﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ إنما أراد به ينتفع بإنذارك من اتبع الذكر، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ أراد أن الإنذار ينتفع به من يخشى الساعة ويخاف العقوبة فيها، وإن الله عز وجل قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أنذر الكافرين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ البقرة ٦، وهذا هو خبر عن الكافرين، وقال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ الشعراء ٢١٤، وقال: ﴿أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ فصلت ١٣، وهذا خطاب للكافرين، فلما أخبر الله عز وجل في آيات من القرآن أنه أنذر الكافرين، كما في خبر الله في آيات أنه أنذر من يخشاها، وأنذر من اتبع الذكر، وجب بالقرآن أن الله قد أنذر المؤمنين والكافرين، فلما أخبرنا الله أنه هدى للمتقين




وعمى على الكافرين، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين، وجب أن يكون القرآن هدى للمؤمنين دون الكافرين[١].

١٤٦ – مسألة

إن سأل سائل عن قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فصلت ١٧، فقال: أليس ثمود كانوا كافرين، وقد أخبر الله أنه هداهم؟

قيل له: ليس الأمر كما ظننت.

والجواب في هذه الآية على وجهين:

أحدهما: أن ثمود على فريقين: كافرين ومؤمنين.

وهم الذين أخبر أنه أنجاهم مع صالح بقوله عز وجل: ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾هود ٦٦، فالذين عنى الله عز جل من ثمود أنه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين، لأن الله عز وجل قد بيّن لنا في القرآن أنه لا يهدي الكافرين، والقرآن لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضا، فإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين، ثم أخبر في موضع أنه هدى ثمود، علمنا أنه إنما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.

والوجه الآخر: أن الله عز وجل عنى قوما من ثمو وكانوا مؤمنين، ثم ارتدوا، فأخبر أنه هداهم فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الإيمان، وكانوا في حال هداهم مؤمنين.

فإن قال قائل معترضا في الجواب الأول: كيف يجوز أن يقول: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: ﴿فَاسْتَحَبُّوا﴾ ويعني الكافرين منهم، وهم غير مؤمنين؟.

يقال له: هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول: ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ ويعني المؤمنين من ثمود، ويقال: ﴿فَاسْتَحَبُّوا﴾ يعني الكافرين منهم، وقد ورد القول بمثل

---

[١] خلاصة هذا الكلام التفريق بين الإنذار والهدى، فالإنذار عام في المؤمنين والكافرين، وهو عمل كلف به النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بعده أمته والمؤمنون به، وأما الهدى والهداية فمن فعل الله تعالى، وقد خصه في المؤمنين.

هذا، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الأنفال ٣٣ يعني الكافرين، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعني المؤمنين، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الأنفال ٣٤، يعني الكافرين، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا أن يكون ظاهره لجنس، والمراد به جنسان، فبطل ما اعترض به المعترض، ودل على جهله[١].

---

[١] هذا البحث في الهدى والهداية مبني على أن المراد بالهدى في القرآن يراد به هداية التوفيق والتسديد، ويمكن الجواب على أدلة المخالف بحمل ما ورد مورد العموم، أو ورد في الكافرين بأن المراد به هداية الدلالة والإرشاد، وما اختص به المؤمنون يراد به هداية التوفيق والتسديد.

وقد ورد في القرآن ذلك، فقد نفى الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم الهداية تارة فقال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وأثبت له الهداية تارة فقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وعلى هذا تحمل آية فصلت ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾، فقوله ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ يعني هداية الدلالة والإرشاد.




الباب الثاني عشر:

ذكر الروايات في القدر

روى معاوية بن عمرو قال: حدثنا زائدة قال: ثنا سليمان الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق-:"إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه في أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك، قال: فيؤمر بأربع كلمات، يقال: اكتب أجله، ورزقه، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح" قال:" فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"(١).

---

(١) **صحيح**: رواه ابن بطة في الإبانة (رقم ١٣٩٤) عن أبي بكر بن أيوب وأبي بكر أحمد بن سلمان عن بشر بن موسى عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن الأعمش به. وسنده صحيح.

ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٨١/٢) من طريق أبي غالب عن زائدة عن منصور عن زيد بن وهب نحوه.

ثم قال أبو الشيخ: لم يذكر: عن منصور غيره، وقد رواه زائدة عن الأعمش، وعنده أحاديث يتفرد بها، وقد خرجتها في فوائد الأصبهانيين".

والحديث: رواه البخاري (رقم ٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤) ومسلم (رقم ٢٦٤٣) من طرق عن الأعمش به، وهو عن الأعمش متواتر، رواه السفيانان وشعبة وأبو معاوية ووكيع ويحي القطان وابن نمير وأبو عوانة وأبو الأحوص وعبد الواحد بن زياد وزهير بن معاوية ويحي بن زكريا بن أبي زائدة وإسماعيل بن زكريا وإبراهيم بن طهمان وحفص بن غياث وداود الطائي ومحمد بن فضيل وأبو أسامة ومحمد بن عبيد الطنافسي وخالد الحذاء وعلي بن مسهر وجرير الضبي وجرير بن حازم وأبو شهاب الحناطوشريك القاضي وعمار بن

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" احتج آدم وموسى قال موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال: فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلماته، تلومني على عمل كتبه الله عليَّ قبل أن يخلق الله السماوات، قال: فحج آدم موسى"[١].

وروى حديث "حج آدم موسى" مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون: إن الله تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون؛ لأن الله عز وجل إذا كتب ذلك، وأمر بأن يكتب، فلا يكتب شيئا لا يعلمه جل عن ذلك وتقدس، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ الأنعام ٥٩،

زريق ومحاضر ويحيى الحماني ويوسف السمتي وداود بن عيسى، فهؤلاء واحد وثلاثون وقفنا على رواياتهم، وليس هنا موضع التفصيل.

وطريقه أشهر الطرق وأصحها، لكنه لم يتفرد بها، ولا تفرد بالحديث شيه زيد بن وهب.

أما الأعمش: فتابعه سلمة بن كهيل عند أحمد (رقم ٣٩٣٤) وابن وهب في القدر (رقم ٤٤) والفريابي في القدر (رقم ١٢٧) والنسائي في الكبرى (رقم ١١١٨٢) والطحاوي في المشكل (رقم ٣٨٦٧-٣٨٦٩) والبزار (رقم ١٧٦٧)، وابن عون عند الطبراني في الصغير (رقم ٢٠٠) ، وحبيب بن حسان عند الإسماعيلي في معجمه (ص ٤٨٠) وأبي نعيم في الحلية (٢٤٤/٨).

وأما زيد بن وهب: فتابعه أبو الطفيل عند مسلم (رقم ٢٦٤٥) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٧٩)، ومخارق بن سليم عند الفريابي في القدر (رقم ١٢٨)، وعلقمة والأسود عند البزار (رقم ١٥٥١)، وأبو عبيدة بن عبد الله عند ابن بطة (رقم ١٣٩٨).

[١] **صحيح**: رواه أحمد (رقم ٩١٧٦) وابن خزيمة في التوحيد (٢٥٢/١) عن معاوية بن عمرو به.

ورواه الترمذي (رقم ٢١٣٤) والدارمي في الرد على الجهمية (رقم ٢٩٣) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١٤١) والبزار (رقم ٩١٨٧، ٩١٨٨) من طرق عن الأعمش به.

[٢] رواه مالك في الموطأ (رقم ٣٣٣٦/ ٦٧٦ تحقيق الأعظمي) ومن طريقه رواه مسلم (رقم ١٤/٢٦٥٢).

وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَا﴾ هود ٦، وقال: ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ المجادلة ٦، وقال: ﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ مريم ٩٤، وقال: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ الطلاق ١٢، ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ الجن ٢٨، وقال ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ البقرة ٢٩، فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها.

وقد أخبر الله عز وجل أن الخلق يبعثون ويحشرون، وأن الكافرين في النار يخلدون، وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يدخلون، وأن القيامة تقوم، ولم تقم القيامة بعد، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد قال الله في أهل النار: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ الأنعام ٢٨، فأخبر عما لا يكون أن لو كان كيف يكون.

وقال: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ طه ٥١ - ٥٢، ومن لا يعلم الشيء قبل كونه لا يعلم بعد تقضيه، تعالى عن قول الظالمين علوا كبيرا.

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة عن سليمان الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن ربيعة قال: كنا عند عبد الله، قال: فذكروا رجلا فذكروا من خُلُقِه، فقال القوم: أما له من يأخذ على يديه؟ قال عبد الله: أرأيتم لو قطع رأسه كنتم تستطيعون أن تجعلوا له رأسا؟ قالوا: لا.

قال عبد الله: إن النطفة إذا وقعت في المرأة مكثت أربعين يوما، ثم انحدرت دما، ثم تكون علقة مثل ذلك، ثم تكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملك فيقول: اكتب أجله، وعمله، ورزقه، وأثره، وخلقه، وشقي أو سعيد، وإنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خُلُقه حتى تغيروا خَلْقه"[١].

---

[١] رواه الطبراني في الكبير (رقم ٨٨٨٥) عن محمد بن النضر عن معاوية بن عمرو به، ورجاله ثقات.

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى النبيُ صلى الله عليه وسلم فقعد ونحن حوله، ومعه مخصرة له فنكت بها ورفع رأسه، فقال صلى الله عليه وسلم: " ما منكم من نفس منفوسة إلا قد كتب مكانها من الجنة أوالنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة"، فقال رجل من القوم: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان من أهل السعادة يصير إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى الشقاوة؟ فقال:" اعملوا فكل ميسر، أما أهل الشقاوة فميسرون لعمل الشقاوة، وأما أهل السعادة فميسرون لعمل السعادة"، ثم قال: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ الليل ٧ - ١٠[١].

وروى موسى بن إسماعيل قال: ثنا حماد قال: أنا هشام بن عروة عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه مكتوب في الكتاب من أهل النار، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار، فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وأنه مكتوب في الكتاب أنه

ورواه الفريابي في القدر (رقم ١٣١) من طريق علي بن مسهر، وهناد في الزهد (٥٩٩/٢) عن أبي معاوية، والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٢٨٣) والطبراني في الكبير (رقم ٨٨٨٤) وابن بطة في الإبانة (رقم ١٤٢٥) والبيهقي في القضاء والقدر (رقم ٤٧٩) عن أبي نعيم كلهم عن الأعمش به.

[١] **صحيح**: رواه أبو عوانة في المستخرج (رقم ١١٥٩١) وابن مردوية في جزء عم (رقم ٣٨٢) من طريقين عن معاوية بن عمرو به، وسنده صحيح.

ورواه أحمد (رقم ١٠٦٧) والترمذي (رقم ٣٣٤٤) عن ابن مهدي عن زائدة به، وسنده صحيح.

ورواه البخاري (رقم ٤٩٤٩) ومسلم (رقم ٢٦٤٧) من طريق الأعمش عن سعد بن عبيدة به.

ورواه البخاري (رقم ١٣٦٢، ٤٩٤٨) ومسلم (رقم ٢٦٤٧) من طريق منصور عن سعد بن عبيدة به.

من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنة"[1].

وهذه الأحاديث تدل على أن الله عز وجل علم ما يكون أنه يكون وكتبه، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار، وخلقهم فريقين: فريقا في الجنة وفريقا في السعير، وبذلك نطق كتابه إذ يقول: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ الأعراف ٣٠، وقال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ الشورى ٧، وقال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ

---

[1] **صحيح**: رواه أحمد (رقم ١٣٦٩٥، ٢٤٧٦٢) وإسحاق (رقم ٨٣٧) وأبو يعلى (رقم ٤٦٦٨) وابن بطة في الإبانة (رقم ١٣١٨) والبيهقي في القضاء والقدر (رقم ١١٦) والاعتقاد (ص ١٨٤) من طرق عن حماد بن سلمة به. وسنده على شرط مسلم.

ولم أقف على رواية موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة التي ذكرها المؤلف.

وقد روى الضياء في المختارة (٥/٢٣٩ رقم ١٨٦٥) من طريق موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أنس به.

ثم قال: ورواه يزيد بن هارون وعفان بن مسلم وإبراهيم السامي عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس به لم يذكروا الحسن.

وكذلك رواه وهيب بن خالد بن عجلان البصري وخالد بن عبد الله الطحان الواسطي عن حميد عن أنس موقوفا، وقال: وقد رفعه حميد مرة ثم كفَّ عنه".

قلت: اختلف في الحديث على حماد بن سلمة على وجوه:

الأول: عن حماد عن هشام بن عروة به، وهو حديث الباب كما تقدم.

الثاني: حماد بن سلمة عن حميد به، وقد تقدم الاختلاف عليه في ذكر الحسن، فذكره التبوذكي، وأسقطه عفان عند أحمد (رقم ١٣٦٩٥) وإبراهيم بن الحجاج السامي عند أبي يعلى (رقم ٣٨٢٩) وخالد الطحان عند أبي يعلى (رقم ٣٧٥٦) والحجاج بن المنهال عند ابن بطة في الإبانة (رقم ١٣١٧)

الثالث: حماد عن خالد الحذاء عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود به، رواه ابن الأعرابي في معجمه (رقم ٩٧٦) من طريق مؤمل بن إسماعيل عن حماد به.

وقد توبع على الوجه الأول: فرواه ابن حبان (رقم ٣٤٦) من طريق الدراوردي، والحارث في مسنده (رقم ٧٤١ زوائده) من طريق محمد بن عبد الله، وعبد الله بن موهب عند ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٢٥٢) ثلاثتهم عن هشام بن عروة به.

وَسَعِيدٌ﴾ هود ١٠٥، فخلق الله الأشقياء للشقاء، والسعداء للسعادة، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الأعراف ١٧٩.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم:" إن الله عز وجل خلق للجنة أهلا، وللنار أهلا"[١].

١٤٧- دليل في القدر

ومما يدل على بطلان قول القدرية قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الأعراف ١٧٢.

وقد جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره كأمثال الذر، ثم قررهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم"[٢]؛ لأنه قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ﴾، قال الله عز وجل: ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آد حجة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول، ثم من بعد الإقرار جحدوه.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قبض قبضة للجنة، وقبض قبضة للنار، ميز بعضها من بعض، فقلبت الشقوة على أهل الشقوة، والسعادة على أهل السعادة"[٣].

---

[١] رواه مسلم (رقم ٢٦٦٢) عن عائشة رضي الله عنها.

[٢] **صحيح**: تقدم تخريجه (ص ١٣١) الباب الثامن في إثبات اليدين.

[٣] **صحيح**: وجاء من حديث أنس بن مالك وأبي موسى الأشعري رجل من الصحابة.

أما حديث أنس: فرواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٢٤٨) وأبو يعلى (رقم ٣٤٢٢، ٣٤٥٣) وابن عدي في الكامل (٤٨٧/٢) من طريق الحكم بن سنان أبي عون العبدي عن ثابت البناني عن أنس مرفوعا:" إن الله قبض قبضة، فقال: للجنة برحمتي، وقبض قبضة فقال: للنار، ولا أبالي ".

ورجاله ثقات غير الحكم بن سنان فهو ضعيف، لكنه يتقوى بشواهده.

قال الله عز وجل مخبرا عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ المؤمنون ١٠٦، وكل ذلك أمر قد سبق في علم الله عز وجل، ونفذت فيه إرادته، وتقدمت فيه مشيئته.

وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة قال: حدثنا طلحة بن يحيى القرشي قال: حدثتني عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين أن النبي صلى الله عليه وسلم دُعي إلى جنازة غلام من الأنصار ليصلي عليه، فقالت عائشة: طوبى لهذا يا رسول الله، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءا ولم يدركه، قال:" أو غير ذلك يا عائشة، إن الله عز وجل قد جعل للجنة أهلا وهم في أصلاب آبائهم، وللنار أهلا جعلهم لها وهم في أصلاب آبائهم"[1].

وأما حديث أبي موسى: فرواه ابن أبي عاصم في السنة (رقم ٢٠٣) من طريق روح بن المسيب عن يزيد الرقاشي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى الأشعري مرفوعا بلفظ:" إن الله تعالى يوم خلق آدم عليه السلام قبض بكفيه قبضتين، فوقع كل طيب بيمينه، وكل خبيث بشماله، فقال: هؤلاء أصحاب اليمين وهؤلاء أصحاب الجنة، وهؤلاء أصحاب الشمال وهؤلاء أصحاب النار، ثم ردهم في صلب آدم، فهم يتناسلون على ذلك الآن ".

وأما رجل من الصحابة: فرواه أحمد (رقم ١٧٥٩٤) من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن رجل من الصحابة نحوه.

والحديث خرجه الألباني في الصحيحة (رقم ٤٨).

[1] **صحيح**: رواه أبو عوانة في المستخرج (رقم ١١٦٨٧) عن جعفر بن محمد الصائغ عن معاوية بن عمرو عن زائدة به.

ورواه مسلم (رقم ٢٦٦٢) من طريق وكيع وسفيان الثوري وإسماعيل بن زكرياء ثلاثتهم عن طلحة بن يحيى عن عمته به.

وهكذا رواه ابن عيينة عند الحميدي (رقم ٢٦٧) وأحمد (رقم ٢٤١٣٢)، وأبو نعيم عند العقيلي (٢/٢٢٦) وابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (٢/٩٣٤) وابن عبد البر في التمهيد (١١/٣٦٧ ط. بشار)، وعبيد الله بن موسى عند البيهقي في المعرفة (رقم ٧٤١٤)، وجرير بن عبد الحميد عند ابن حبان (رقم ١٣٨)، وحفص

وهذا يبين أن السعادة قد سبقت لأهلها، والشقاء قد سبق لأهله.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" اعملوا فكل ميسر لما خلق له"[1].

١٤٨- دليل آخر

وقد قال الله عز وجل: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ الكهف ١٧، وقال: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ البقرة ٢٦، فأخبر أنه يضل ويهدي، وقال: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ إبراهيم ٢٧، فأخبرنا أنه فعَّال لما يريد، وإذا كان الكفر مما أراده فقد فعله، وقدره، وأحدثه، وأنشأه، واخترعه، وقد تبين ذلك بقوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الصافات ٩٥ – ٩٦، فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم كان ذلك مخلوقا لله، وقد قال الله تعالى: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ السجدة ١٧، يريد أنه يجازيهم على أعمالهم، فكذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام وكفرهم بالرحمن، ولو كان مما قدروه وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والفعل والقدرة ما ليس لربهم؟ فمن زعم ذلك فقد عجَّز الله عز وجل، تعالى الله عن قول المعجِّزين له علوا كبيرا.

ألا ترى أن من زعم أن العباد يعلمون مالا يعلمه الله عز وجل فكأنَّه قد أعطاهم من العلم ما لم يدخل في علم الله، وجعلهم لله نظراء، فكذلك من زعم أن العباد يفعلون

بن غياث عند الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (رقم ١٧)، ومحمد بن بش العبدي عند الخلال في أحكام الملل (رقم ١٨) كلهم عن طلحة بن يحي القرشي به.

وقد تكلم بعض أهل العلم في هذا الحديث، وحملوا فيه على طلحة بن يحي القرشي، لكنه لم يتفرد به، بل تابع الفضيل بن عمرو الفقيمي عن عائشة بنت طلحة به. رواه مسلم وغيره.

وتابعه أيضا يحي بن إسحاق عند الطيالسي (رقم ١٦٧٩).

[1] رواه البخاري (رقم ٤٩٤٩) ومسلم (رقم ٢٦٤٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويَقدِرون ما لم يقدر عليه، فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن ما لم يجعله للرحمن، تعالى عن قول أهل الزور والبهتان والإفك والطغيان علوا كبيرا.

١٤٩–مسألة

ويقال لهم: هل فعل الكافر الكفر فاسدا باطلا متناقضا؟.

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: وكيف يفعله فاسدا متناقضا قبيحا، وهو يعتقده حسنا صحيحا أفضل الأديان؟.

وإذا لم يجز ذلك؛ لأن الفعل لا يكون فعلا على حقيقته إلا ممن علمه على ما هو عليه من حقيقته، كما لا يجوز أن يكون فعلا ممن لم يعلمه فعلا، فقد وجب أن الله عز وجل هو الذي قدر الكفر وخلقه كفرا فاسدا باطلا متناقضا، خلافا للحق والسداد.








الباب الثالث عشر:

الكلام في الشفاعة والخروج من النار

١٥٠- مسألة

ويقال لهم: قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة[١]، فلمن الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر، أم للمؤمنين المخلصين؟.

فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر وافقوا.

وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها.

قيل لهم: فإذا كانوا موعودين بالجنة وبها مبشرين، والله عز وجل لا يخلف وعده فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم أن لا يدخلهم الله جناته؟ وما معنى قولكم قد استحقوها على الله واستوجبوها عليه؟، وإذا كان الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة، وكان تأخيرهم عن الجنة ظلما، وإنما يشفع الشفعاء إلى الله عز وجل في أن لا يظلم على مذاهبكم، تعالى الله عن افتراءكم عليه علوا كبيرا.

فإن قالوا: يشفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل في أن يزيدهم من فضله، لا في أن يدخلهم جناته.

قيل لهم: أو ليس قد وعدهم الله ذلك؟ فقال تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ النساء ١٧٣، والله لا يخلف وعده، فإنما يشفع إلى الله عز وجل عندكم في أن لا يخلف وعده، وهذا جهل من قولكم، وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق

---

[١] قال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٦٤): وأجمعوا على أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يخرج من النار قوما من أمته بعد ما صاروا حمما، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السبيل".

عقابا أن يوضع عنه عقابه، أو في من لم يعده شيئا أن يتفضل عليه به، فأما إذا كان الوعد بالتفضل سابقا فلا وجه لهذا.

١٥١- مسألة

فإن سألوا عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء ٢٨.

فالجواب عن ذلك: إلا لمن ارتضى فهم يشفعون له.

وقد روي أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر[١].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن المذنبين يخرجون من النار[٢].

---

[١] **صحيح**: وقد جاء من حديث أنس بن مالك مرفوعا:" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"، وهو صحيح بطرقه وشواهده، كما فصلته في الكواكب الدرية على العقيدة الصابونية.

[٢] **صحيح**: رواه البخاري (رقم ٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧) ومسلم (رقم ١٨٢) عن أبي هريرة.

ورواه البخاري (رقم ٦٥٦٠، ٧٤٣٩) ومسلم (رقم ١٨٣) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا.




الباب الرابع عشر:
الكلام في الحوض

وأنكرت المعتزلة الحوض[١]، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه بلا خلاف[٢].

وروي عن عفان قال: حدثنا حماد بن مسلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن أنس بن مالك أنه ذُكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره، فبلغ أنسا فقال: لا جرم والله لأفعلن به، قال: فأتاه فقال: ما ذكرتم من الحوض، قال عبيد الله: هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكره؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من كذا وكذا مرة يقول:" ما بين طرفيه -يعني الحوض- ما بين أيلة ومكة، أو ما بين صنعاء ومكة، وأن آنيته أكثر من نجوم السماء"[٣].

---

[١] قال الأشعري في المقالات (٢/٣٥٤ ط. زرزور): قال أهل السنة والاستقامة: إن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضا يسقي منه المؤمنين ولا يسقي منه الكافرين، وأنكر قوم الحوض ودفعوه".

[٢] وذكر الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٦٥) الإجماع على إثبات الحوض للرسول صلى الله عليه وسلم، فقال بعد ذكر الإجماع على الشفاعة:" وعلى أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضا يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدَّل وغيَّر بعده".

[٣] **صحيح**: رواه أبو الحسن الخلعي في الفوائد المنتقاة الحسان (رقم ٦٢١) من طريق ابن الأعرابي عن الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به. وسنده صحيح.

ورواه أحمد (رقم ١٣٤٠٥) عن الحسن الأشيب ويونس المؤدب، وأبو يعلى (رقم ٢٧٦١) عن عبد الرحمن بن سلام كلهم عن حماد بن سلمة به.

ورواه البزار (رقم ٦٦٥٩) من طريق أشعث الحداني عن الحسن به.

ورواه مسلم بدون القصة (رقم ٢٣٠٣، ٢٣٠٤) من طريق قتادة والكمختار بن فلفل والزهري وعبد العزيز بن صهيب كلهم عن أنس بن مالك به.

وروى أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا ابن أبي زائدة عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" أنا فرطكم على الحوض"[1]، في أخبار كثيرة[2].

---

[1] رواه مسلم (رقم ٢٢٨٩) عن أحمد بن عبد الله بن يونس به.

ورواه البخاري (رقم ٦٥٨٩) ومسلم (رقم ٢٢٨٩) من طرق عن عبد الملك بن عمير به.

[2] لا خلاف بين أهل العلم بالحديث في تواتر أحاديث الحوض، وقد رواه ما يزيد عن خمسين صحابيا، وفي الصحيحين أو أحدهما رواية عشرين صحابيا، وقد أفردت جزء في ذلك يسر الله إتمامه، وهذه مواضع أحاديث العشرين صحابيا في البخاري ومسلم أو أحدهما:

١. أبو هريره: رواه البخاري (رقم ٦٥٨٥) ومسلم (رقم ٣٧/٢٤٧).
٢. أبو سعيد الخدري: رواه البخاري (رقم ٦٥٨٤) ومسلم (رقم ٢٢٩٠/٢٦).
٣. أنس بن مالك: رواه البخاري (رقم ٣٧٩٣) ومسلم (رقم ١٠٥٩/٣٢).
٤. عبد الله بن مسعود: رواه البخاري (رقم ٦٥٧٥) ومسلم (رقم ٢٢٩٧/٣٢).
٥. عبد الله بن عمر: رواه البخاري (رقم ٦٥٧٧) ومسلم (رقم ٢٢٩٩/٣٤).
٦. عبد الله بن عباس: رواه البخاري (رقم ٤٦٢٥) ومسلم (رقم ٢٨٦٠/٥٨).
٧. عبد الله بن عمرو بن العاص: رواه البخاري (رقم ٦٥٧٩) ومسلم (رقم ٢٢٩٢/٢٧).
٨. عقبة بن عامر الجهني: رواه البخاري (رقم ٢٠٤٢) ومسلم (رقم ٢٢٩٦/٣١).
٩. سهل بن سعد: رواه البخاري (رقم ٦٥٨٣) ومسلم (رقم ٢٢٩٠/٢٦).
١٠. جندب بن عبد الله: رواه البخاري (رقم ٦٥٨٩) ومسلم (رقم ٢٢٨٩/٢٥).
١١. حارثة بن وهب: رواه البخاري (رقم ٦٥٩٢) ومسلم (رقم ٢٢٩٨/٣٣).
١٢. أسيد بن حضير: رواه البخاري (رقم ٣٧٩٢) ومسلم (رقم ١٨٤٥/٤٨).
١٣. عبد الله بن زيد بن عاصم: رواه البخاري (رقم ٤٣٣٠) ومسلم (رقم ١٠٦١/١٣٩).
١٤. أسماء بنت أبي بكر: رواه البخاري (رقم٦٥٩٣) ومسلم (رقم ٢٢٩٣/٢٧).
١٥. جابر بن سمرة: رواه مسلم (رقم ٢٣٠٥/٤٤).
١٦. حذيفة بن اليمان: رواه مسلم (رقم ٢٤٨/٣٨).
١٧. أبو ذر الغفاري: رواه مسلم (رقم ٢٣٠٠/٣٦).
١٨. ثوبان مولى الرسول صلى الله عليه وسلم: رواه مسلم (رقم ٢٣٠١/٣٧).
١٩. عائشة بنت أبي بكر: رواه مسلم (رقم ٢٢٩٤/٢٨).




الباب الخامس عشر:

الكلام في عذاب القبر

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر[١].

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[٢].

وروى أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تعوذوا بالله من عذاب القبر"[٣]

---

٢٠. أم سلمة: رواه مسلم (رقم ٢٩/٢٢٩٥).

وهذا القدر يكفي في تواتر حديث الحوض، فكيف إذا اضيف إليها مثلها أو أكثر منها في بقية دواوين السنة.

[١] قال الأشعري في المقالات (٣١٨/٢ ط. زرزور): واختلفوا في عذاب القبر:

١ – فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج.

٢ – ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام.

٣ – ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور".

[٢] قال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر (ص ١٥٩): وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته".

[٣] **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة (رقم ١٢٠٢٧، ٢٩١٣٦) بهذا الإسناد، وسنده صحيح.

ورواه مسلم (رقم ٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

وروى أحمد بن إسحاق الحضرمي قال: حدثنا وهيب قال: حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثتني أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر"[(١)].

وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لولا أن لا تدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني"[(٢)].

---

(١) **صحيح**: سنده صحيح، ولم أقف على رواية الحضرمي هذا عن وهيب.

ورواه البخاري (رقم ١٣٧٦، ٦٣٦٤) وابن أبي شيبة (رقم ٢٩١٤٦) وإسحاق (رقم ٢٢١٦) وأحمد (رقم ٢٧٠٥٦) من طرق عن وهيب بن خالد به.

(٢) رواه مسلم (رقم ٢٨٦٨) بلفظ:" لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"، وليس عنده كلمة "ما أسمعني"، وهي عند أحمد (رقم ١٢٠٩٦) بسند صحيح.

تتمة: أحاديث عذا القبر متواترة جاءت عن أكثر من ثلاثين صحابيا مع ما لها من دلالة القرآن كما يأتي للمؤلف، وفي البخاري ومسلم أو أحدهما عن خمسة عشر صحابيا، وهذه جملة منها مما ثبت لذاته:

١. عائشة: رواه البخاري (رقم ٨٣٢) ومسلم (رقم ٥٨٦).
٢. البراء بن عازب: رواه البخاري (رقم ١٣٦٩) ومسلم (رقم ٢٨٧١).
٣. أم خالد بنت العاص، وهو حديث الباب.
٤. أبو هريرة: رواه البخاري (رقم ١٣٧٧) ومسلم (رقم ٥٨٥).
٥. أنس بن مالك: رواه البخاري (رقم ٢٨٢٣) ومسلم (رقم ٢٧٠٦).
٦. ابن عباس: رواه البخاري (رقم ٢١٨) ومسلم (رقم ٢٩٢).
٧. أبو أيوب الأنصاري: رواه البخاري (رقم ١٣٧٥) ومسلم (رقم ٢٨٦٩).
٨. أسماء بنت أبي بكر: رواه البخاري (رقم ١٨٤) ومسلم (رقم ٩٠٥).
٩. سعد بن أبي وقاص: رواه البخاري (رقم ٦٣٧٠)
١٠. أبو طلحة الأنصاري: رواه البخاري (رقم ٣٩٧٦).
١١. عوف بن مالك: رواه مسلم (رقم ٩٦٣).
١٢. ابن عمر: رواه مسلم (رقم ٢٨٦٦).
١٣. زيد بن ثابت: رواه مسلم (رقم ٢٨٦٧).
١٤. ابن مسعود: رواه مسلم (رقم ٢٦٦٣).
١٥. زيد بن أرقم: رواه مسلم (رقم ٢٧٢٢).




١٦. جابربن عبد الله: رواه مسلم (رقم ٣٠١٢).

١٧. عبد الرحمن بن حسنة: رواه أحمد (رقم ١٧٧٥٨) وابن حبان (رقم ٣١٢٧) بسند صحيح.

١٨. أبو بكرة الثقفي: رواه أحمد (رقم ٢٠٣٧٣) وأبو داود (رقم ٥٠٩٠) بسند صحيح.

١٩. أبيُّ بن كعب: رواه أحمد (رقم ٢١١٤٥) بسند صحيح.

٢٠. امرأة من الصحابة: رواه أحمد (رقم ٢٢٣٢٨) بسند حسن.

٢١. فضالة بن عبيد: رواه أحمد (رقم ٢٣٩٥١) والترمذي (رقم ١٦٢١) بسند صحيح.

٢٢. أم مبشر زوجة زيد بن حارثة: رواه أحمد (رقم ٢٧٠٤٤) بسند حسن.

٢٣. عبد الله بن عمرو بن العاص: رواه النسائي (رقم ٥٤٩٠) بسند حسن.

٢٤. سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة: رواه أحمد (رقم ١٨٣١٢) وابن حبان (رقم ٢٩٣٣) بسند صحيح.

٢٥. واثلة بن الأسقع: رواه أبو داود (رقم ٣٢٠٢) وأحمد (رقم ١٦٠١٨) وابن حبان (رقم ٣٠٧٤) بسند حسن.

٢٦. سلمان الفارسي: رواه ابن حبان (رقم ٤٦٢٥) بسند قوي.

فهذه روايات ثابتة لذاتها، ولم أتتبع طرقها ومخارجها، لأن ذلك ليس مقصودنا في هذا التعليق، وهذا القدر يكفي في التواتر، فكيف إذا أضيف إلى ذلك ما جاء عن عشرة آخرين مما في أسانيدها مقال أو هي ضعيفة، وهم: قيس الجذامي عند أحمد (رقم ١٧٧٨٣)، ويعلى بن مرة عند أحمد (رقم ١٧٥٦٠)، والمقدام بن معد يكرب عند أحمد (رقم ١٧١٨٢) والترمذي (رقم ١٦٦٣) وابن ماجه (رقم ٢٧٩٩)، وعلي بن أبي طالب عند الترمذي (رقم ٣٣٥٥، ٣٥٢٠) وابن خزيمة (رقم ٢٨٤١)، وعبادة بن الصامت عند البزار (رقم ٢٦٨٨) والشاشي (رقم ١٢٦٠)، وعمر بن الخطاب عند النسائي (رقم ٥٤٩٧)، وأبو برزة عند ابن حبان (رقم ٥٧٣٥)، و ميمونة بنت سعد عند ابن سعد في الطبقات (٢٣٦/٨ ط. العلمية) والطبراني في الكبير (٣٧/٢٥ رقم ٦٨)، وأم سلمة عند الطبراني في الكبير(٣١٦/٢٣ رقم ٧١٧) والأوسط (رقم ٦٢١٨) والدعاء (رقم ١٣٥٦) وعقبة بن عامر عند الطبراني في مسند الشاميين (رقم ١١٦٣) بأسانيد فيها ضعف ومقال.

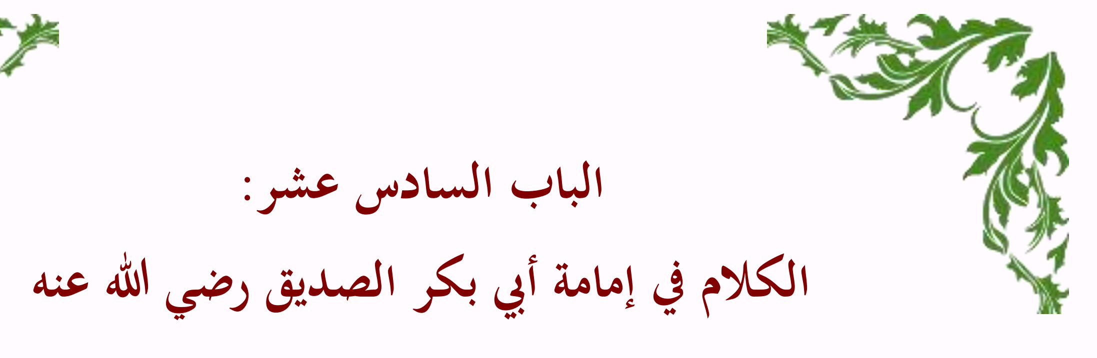
فهذه روايات قرابة أربعين صحابيا رووا عذا القبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم أتتبع مخارجها، وإنما اقتصرت على بعضها لمعرفة أصل الروايات، وقد يكون الواحد منهم روى أكثر من حيث فاقتصرت على بعضها.

١٥٢- دليل آخر

ومما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ غافر ٤٦، فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدواً وعشياً، وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ التوبة ١٠١، مرة بالسيف، ومرة في قبورهم، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ﴾ غليظ في الآخرة.

وأخبر الله عز وجل أن الشهداء في الدنيا يرزقون ويفرحون بفضل الله، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ آل عمران ١٦٩-١٧٠، وهذا لا يكون إلا في الدنيا؛ لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.



الباب السادس عشر:

الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾النور ٥٥، وقال عزوجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾الحج ٤١، وأثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال عز وجل: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ الفتح ١٨.

قد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وسموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايعوه وانقادوا له، وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي، وسياسة الأمة وغير ذلك.

دليل آخر: من القرآن على إمامة الصديق رضي الله عنه

وقد دل الله تعالى على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة (براءة) فقال للقاعدين عن نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم والمتخلفين عن الخروج معه: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ التوبة ٨٣، وقال في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ الفتح ١٥، يعني قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ

مِن قَبۡلُ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ الفتح ١٥، وقال: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ الفتح ١٦ يعنيٱ تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم ﴿كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾، والداعي لهم إلى ذلك غير النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عز وجل له: ﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ﴾، وقال في سورة الفتح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾، فمنعهم عن الخروج مع نبيه صلى الله عليه وسلم، وجعل خروجهم معه تبديلا لكلامه، فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد قال الناس: هم أهل فارس، وقالوا: أهل اليمامة[1]، فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودعا إلى قتالهم، وإن كانوا الروم:

---

[1] هذا الاختلاف في تفسير قوله تعالى ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ الفتح ١٦، على أقوال:

الأول: المراد بالقوم المذكور أهل فارس، وبه قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح عطاء وعبد الرحمن بن أبي ليلى والحسن البصري ومجاهد .

رواه ابن جرير الطبري (٢١٩/٢٢) والبيهقي في الدلائل (١٦٥/٤-١٦٦) وسعيد بن منصور في تفسيره (رقم ١٢٥٩).

الثاني: المراد بهم أهل اليمامة، وبه قال الزهري، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير كما عند اب جرير (٢٢٠/٢٢).

الثالث: المراد بهم هوازن بحنين، وبه قال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة كما عند ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٠/٢٢).

الرابع: لم يأت تفسيرها بعد، وهو مروي عن أبي هريرة كما عند ابن جرير في تفسيره (٢٢١/٢٢).

الخامس: المراد بهم الروم، وهو مروي عن كعب كما عند ابن جرير (٢٢١/٢٢).

واختر ابن جرير عدم التعيين وقال: لم يوضع لنا الدليل من خبر ولا عقل على أن المعني بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عني بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عني بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد".

فقد قاتلهم الصديق أيضا، وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر، وقاتلهم عمر من بعده وفرغ منهم.

وإذا وجبت إمامة عمر وجبت إمامة أبي بكر، كما وجبت إمامة عمر؛ لأنه العاقد له الإمامة، فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما.

وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب أنه أفضل المسلمين رضي الله عنه.

دليل آخر من الإجماع على إمامة أبي بكر رضي الله عنه

ومما يدل على إمامة الصديق رضي الله عنه أن المسلمين جميعا بايعوه وانقادوا لإمامته، وقالوا له: يا خليفة رسول الله، ورأينا عليا والعباس رضي الله عنهما بايعاه رضي الله عنه، وأقرا له بالإمامة.

وإذا كانت الرافضة يقولون: إن عليا هو المنصوص على إمامته، والراوندية[١] تقول: العباس هو المنصوص على إمامته، ولم يكن للناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال:

من قال منهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة الصديق، وهو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وقول من قال: نصَّ على إمامة علي.

---

[١] ذكر الأشعري في المقالات (٣٧/١ تحقيق زرزور) أن الراوندية: زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على العباس بن عبد المطلب ونصبه إماما، ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله، ونص عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله، ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور ".

وقد ذكره كذلك البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٣٤١) والعمراني في الانتصار (٨٢٦/٣) وغيرهما.

[٢] هذا قول بعض أهل السنة القائلين بأن خلافته رضي الله عنه ثبتت بالنص الخفي وذلك بتقديمه في الصلاة، لا بالإجماع، جوابا على عدم دخول سعد بن عبادة في مبايعة أبي بكر الصديق، ونسب هذا القول للحسن البصري وجماعة من أهل الحديث، منهم أحمد بن حنبل.

الغنية لطالبي طريق الحق للجيلاني (١٥٩/١) وأبو الخطاب الكلوذاني في التمهيد في أصول الفقه (٢٦٦/٣، ٣٠٠) ومنهاج السنة لابن تيمية (٤٨٧/١).

وقول من قال: نصَّ على إمامة العباس.

وقول من قال: هو أبو بكر الصديق هو بإجماع المسلمين والشهادة له بذلك.

ثم رأينا عليا والعباس قد بايعاه وأجمعا على إمامته، فوجب أن يكون إماما بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين.

ولا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن علي والعباس خلاف ظاهرهما، ولو جاز هذا لمدعيه لم يصح إجماع، وجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين.

وهذا يسقط حجة الإجماع؛ لأن الله عز وجل لم يتعبدنا في الإجماع بباطن الناس، وإنما تعبدنا بظاهرهم، وإذا كان كذلك فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق.

وإذا ثبتت إمامة الصديق، ثبتت إمامة الفاروق؛ لأن الصديق نص عليه وعقد له الإمامة، واختاره لها، وكان أفضلهم بعد أبي بكر رضي الله عنهما.

وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله.

وثبتت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنهما لعقد من عقدها له من الصحابة رضي الله عنهم من أهل الحل والعقد، ولأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد أُجمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقا؛ لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه، فلما كان لنفسه في وقت الخلفاء قبله، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء، وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم.

هؤلاء الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم.

وقد روى شريح بن النعمان قال: حدثنا حشرج بن نباته عن سعيد بن جمهان، قال: حدثني سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك"، ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم أمسك خلافة علي بن أبي طالب، قال: فوجدتها ثلاثين سنة[1].

---

[1] **حسن** : رواه الترمذي (رقم ٢٢٢٦) من طريق سريج بن النعمان به.

وفيه حشرج بن بناتة، وهو ضعيف، لكنه توبع، قال الترمذي: هذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديثه".

وهو كما قال، فقد رواه البزار (رقم ٣٨٢٧، ٣٨٢٨) وابن الجعد في مسنده (رقم ٣٣٢٣) والخلال في السنة (رقم ٦٤٧) والبغوي في معجم الصحابة (رقم ١٨٢٧) وابن حبان في الثقات (٣٠٤/٢) وفي صحيحه (رقم ٦٩٤٣) والآجري في الشريعة (رقم ١١٧٧- ١١٧٩) من طرق عن سعيد بن جمهان عن سفينة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الخلافة بعدي ثلاثون سنة"، ثم قال لي سفينة: أمسك لأبي بكر سنتين، ولعمر عشرا، ولعثمان اثني عشر، ولعلي ستا".

وسنده حسن، سعيد بن جمهان صدوق، كما في تقريب التهذيب (ص ٢٣٤ ترجمة ٢٢٧٩).

وروى نعيم في الفتن (رقم ٢٥٨) والحارث في مسنده (رقم ٥٩٣ زوائده) وابن أبي عاصم في السنة (رقم ١١٥٧) والعقيلي في الضعفاء الكبير (٢٩٧/١) وابن حبان في المجروحين (٢٧٧/١) والحاكم (رقم ٤٢٨٤) والثعلبي في تفسيره (رقم ١١٨٣) من طريق حشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" هؤلاء يلون الخلافة بعدي".

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وفيه نظر، لأن حشرج بن نباتة ضعيف.

قال ابن كثير في السيرة النبوية (٣٠٩/٢): وهذا الحديث بهذا السياق غريب جدا".

وله شاهد عن عائشة وأبي بكرة الثقفي وأبي هريرة.

أما عائشة: فرواه عيم بن حماد (رقم ٢٥٩) وعبد الله بن أحمد في السنة (رقم ١٤٠٦) عن هشيم بن بشير عن العوام بن حوشب عمن حدثه عن عائشة به نحوه. ورجاله ثقات لكن فيه مبهم.

ورواه الحاكم (رقم ٤٥٣٣) من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثني عمي ثنا يحي بن أيوب ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به.

فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم.

فأما ما جرى من علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم، فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعليٌّ الإمام، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما، كان على تأويل واجتهاد.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه وإنما اشتهر بإسناد واه من رواية محمد بن الفضل بن عطية فلذلك هجر ".

وتعقبه الذهبي فقال: أحمد بن عبد الرحمن بن وهب منكر الحديث".

قلت: خولف فيه عن ابن وهب، فقيل عن ابن وهب عن ابن لهيعة يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن عمرو عن سفينة به.

رواه ابن عدي في الكامل (١٢٨/٩ ترجمة يحيى بن محمد بن يحيى بن أخي حرملة) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١٦/٣٩) عن يحيى بن محمد بن يحيى بن أخي حرملة عن عمه حرملة عن ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن عمرو عن سفينة به.

وشيخ ابن عدي ضعيف، فالأول أصح وأقوى عن ابن وهب.

وأما أبو بكرة: فرواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (١٩٧/٢، ٢٦٧) من طريق أبو شعيب السوسي عن ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: إلى من أؤدي صدقة مالي؟ قال:" إليَّ"، قال: فإن لم أجدك؟ قال:" إلى أبي بكر"، قال: فإن لم أجده؟ قال:" إلى عمر"، قال: فإن لم أجده؟ قال:" إلى عثمان"، ثم ولى منصرفا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" هؤلاء الخلفاء من بعدي".

ورجاله ثقات غير علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف من قبل حفظه.

وأما أبو هريرة: فرواه ابن عدي في الكامل (١١٧/٩-١١٨) من طريق بقية عن يحيى بن خالد عن روح بن القاسم عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم قال: من دخل علي حجري ليضع عمر حجرا إلى جنب حجر أبي بكر ثم قال ليضع عثمان حجرا إلى جنب حجر عمر ثم قال هم الخلفاء بعدي".

ويحيى بن خالد مجهول، وليث بن أبي سليم ضعيف.

فالحديث بهذه الطرق حسن إن شاء الله تعالى، خلافا للألباني في تضعيف الحديث من جميع طرقه كما في الضعيفة له (رقم ٦١٩١).

وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من ينقص أحدا منهم رضي الله عنهم أجمعين.

قد قلنا في الأبرار قولا وجيزا، والحمد الله أولا وآخرا.

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب، وحسن توفيقه، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين.

كتبه:

د. محمود محمد الشبلي

أبو عبد الباري الصومالي



